

قصة الإسكندر المقدوني في الأدب الفارسي

أ.د. شرين عبد النعيم

قصة الإسكندر المقدوني في الأدب الفارسي



إن حب القصص صفة مشتركة بين الشعوب، فالناس جميعا يحبون ترديد القصص وروايتها، وبخاصة إذا كانت هذه القصص تتعلق بالبطولة، كقصة الإسكندر التي هي موضوع بحثنا، فقد حظيت هذه القصة باهتمام الآداب العالمية المختلفة، لبطولة الإسكندر الحربية الفاتحة، فقد بدأ غزوه للعالم، وهو في ريعان الشباب، لم يتجاوز العشرين من عمره، واستطاع في مدة اثني عشر عاما أن يسيطر على بلاد كثيرة في أنحاء العالم المختلفة.

وقد عرف الفرس بحبهم للقصص إلى درجة الوله، كما قال ابن النديم في كتابه الفهرست، وقد دفعهم هذا الحب إلى إعادة رواية أحداث القصة الواحدة مرات ومرات في مختلف العصور، دون أن تفقد القصة جاذبيتها ودون أن يفتر اهتمام الناس بها.

وقصة الإسكندر من القصص التي حظيت باهتمام الفرس على مختلف العصور، وبخاصة بعد أن صالح الفرس الإسكندر. وحاولوا أن يثبتوا أنه إيران الأصل، بل إنهم في القرنين الذي ذكر في القرآن الكريم في سورة الكهف كما سنعلم ذلك، احتفظت القصة بأهميتها وجاذبيتها، ووجدت الاهتمام الإسلامي المتعاقبة.

وواضح مما سبق ذكره أن بحثي هذا يشمل دراسة الأعمال الإسكندر في الأدب الفارسي بعد الإسلام

I.S.B.N. 978-977-276-721-2



6222008910554

قصة الاسكندر المقدوني في

الأدب الفارسي

دراسة نقدية مقارنة

تأليف

أ.د شيرين عبد النعيم محمد حسنين

أستاذ اللغة والأدب الفارسي ووكيل الكلية للدراسات العليا

سابقاً

قسم اللغات الشرقية وآدابها كلية الآداب - جامعة عين شمس

الناشر

المكتب العربي للمعارف

عنوان الكتاب : قصة الاسكندر في الأدب الفارسي
اسم المؤلف : دكتورة/ شيرين عبد النعيم حسنين
تصميم الغلاف : محمد حمدي

جميع حقوق الطبع والنشر
محفوظة للناشر

الناشر
المكتب العربي للمعارف
26 شارع حسين خضر من شارع عبد العزيز فهمي
ميدان هليوبوليس - مصر الجديدة - القاهرة
تليفون/ فاكس: 01283322273-26423110
بريد إلكتروني : Malghaly@yahoo.com

الطبعة الأولى يناير 2014

رقم الإيداع : 2014/2546
التقييم الدولي : I.S.B.N. 978-977-276-721-2

جميع حقوق الطبع والتوزيع مملوكة
للناشر ويحظر النقل أو الترجمة أو
الاقباس من هذا الكتاب في أي شكل كان
جزئيا كان أو كليا بدون إذن خطي من
الناشر، وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة إلى
كل الدول العربية . وقد اتخذت كافة
إجراءات التسجيل والحماية في العالم
العربي بموجب الاتفاقيات الدولية لحماية
الحقوق الفنية والأدبية .

قصة الاسكندر المقدوني في الأدب الفارسي

دراسة نقدية مقارنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن حب القصص صفة مشتركة بين الشعوب، فالناس جميعاً يحبون ترديد القصص وروايتها، وبخاصة إذا كانت هذه القصص تتعلق بالبطولة، كقصة الاسكندر التي هي موضوع بحثنا، فقد حظيت هذه القصة باهتمام الآداب العالمية المختلفة، لبطولة الاسكندر الحربية الفاتحة، فقد بدأ غزوه للعالم، وهو في ريعان الشباب، لم يتجاوز العشرين من عمره، واستطاع في مدة اثني عشر عاماً أن يسيطر على بلاد كثيرة في أنحاء العالم المختلفة.

وقد عرف الفرس بحبهم للقصص إلى درجة الوله، كما قال ابن النديم في كتابه الفهرست، وقد دفعهم هذه الحب إلى إعادة رواية أحداث القصة الواحدة مرات ومرات في مختلف العصور، دون أن تفقد القصة جاذبيتها ودون أن يفتر اهتمام الناس بها.

وقصة الاسكندر من القصص التي حظيت باهتمام الفرس على مختلف العصور، وبخاصة بعد أن صالح الفرس الاسكندر، وحاولوا أن يثبتوا أنه إيراني الأصل، وأنه ذو القرنين الذي ذكر في القرآن الكريم في سورة الكهف كما سنوضح فيما بعد - ولذلك احتفظت القصة بأهميتها وجاذبيتها، ووجدت الاهتمام بها في العصور الإسلامية المتعاقبة.

وواضح مما سبق ذكره أن بحثي هذا سيشمل دراسة الأعمال التي تناولت قصة الاسكندر في الأدب الفارسي بعد الإسلام، وأهم هذه الأعمال حسب ترتيب دراستها هي:

أولاً: قصة الاسكندر كما صورها الفردوسي في منظومته الشاهنامه.
ثانياً: اسكندرنامه القصة النثرية المجهولة المؤلف، المؤلفة في بداية القرن السادس الهجري.

ثالثاً: منظومة اسكندرنامه للشاعر نظامي الكنجوي.

رابعاً: منظومة آئينه سكندري للشاعر أمير خسرواله هلوي.

خامساً: منظومة خردنامه اسكندی للشاعر عبد الرحمن الجامي.

سادسًا: قصة اسكندرنامه لمنوچهر خان حكيم.

وسوف أتناول هذه الأعمال التي سبقت الإشارة إليها بالدراسة والتحليل والنقد، مبينة الظروف التي أثرت على صاحب كل عمل من هذه الأعمال عند انشائه للقصة، وأبرز ملامح شخصية الاسكندر في قصته، ثم أقوم بعمل تقويم لها.

كما أنني سوف أبتعد عن تحقيق كل حادثة، أو مناقشة كل واقعة من الناحية التاريخية إلا إذا لزم الأمر، ذلك لأن الشعراء والكتاب بعد أن نسبوا الاسكندر إلى ذي القرنين، حاولوا تجسيم بطولته، مما جعل الجانب الأسطوري يغلب على أكثر أحداث القصة دون تقيد بزمان أو مكان، لأنهم كانوا يرون أنهم يرون قصة، ولا يكتبون تاريخًا، ويؤكد هذا ما صرح به الشاعر الكبير نظامي الكنجوي عند نظمه لمنظومته اسكندرنامه، التي تعد أعظم عمل تناول الاسكندر في الأدب الفارسي، إذ يقول: "سلكت طريق الصدق مبتعدًا عن الكذب في هذه القصة ولو أنك إذا أردت أن تكتب حقائق صحيحة، فلا ينبغي نظمها، لأنني لو لم أنظمها، لأخرجتها في أبيات معدودة"⁽¹⁾.

ثم قمت في نهاية البحث بعمل خاتمة، سجلت فيها أهم النتائج التي استنبطتها من خلال دراستي لهذه الأعمال، لاهميتها بالنسبة للباحث والدارس لقصة الاسكندر في الأدب الفارسي.

وأخيرًا أرجو أن الله أن أكون قد وفقت من خلال هذا البحث، تقديم دراسة وافية عن شخصية الاسكندر المقدوني كما صورها الأدب الفارسي.

مدينة الشيخ زايد: 2012/4/23.

(1) نظامي كنجوي: شرفنامه، تصحيح وحيد سكردي، طهران 1316ش، ص 69، 70.

| | |
|----------------------------------|---------------------------|
| در آن برده كزرانستی یافتم | سخن را سر زلف برتافتم |
| وگر راست خواهی سخنهای راسانست | نشاید در آرایش نظم خواست |
| گر آرایش نظم از او کم کنم | بکم مایه بیئتش فیراخم کنم |

الباب الأول
الاسكندر المقدوني

أولاً: الصراع بين الفرس والاعريق

قبل الحديث عن الاسكندر وفتوحاته وبخاصة فتحه ايران، ينبغي أن نشير إلى أن الصراع بين الفرس والإعريق لم ينشأ بظهور الاسكندر، بل أن جذوره تمتد إلى ما قبل وجوده، فقد كانت أطماع كل من البلدين تتجه إلى السيطرة على مدن حوض البحر الأبيض المتوسط. ثم اشتد هذا الصراع بعد قيام الدولة الأكمينية (الهخامنشية) التي كانت في ذلك الوقت أكبر وأقوى إمبراطورية في العالم، بينما كانت مدن بلاد الإغريق في صراع وتنافس، مما دفع بعض الإغريق إلى أن يهربوا إلى إيران، بل أن بعض الجنود المرتزقة من الإغريق كان يحاربون في صفوف الجيش الفارسي وفي المعارك التي قامت بين الفرس والإغريق⁽²⁾.

وكان أول عمل قام به الملك قورش (559-529ق.م) مؤسس الدولة الأكمينية بعد أن استتب له الأمر في إيران، هو القيام بعدة حملات توسعية أخضع بها ليديا واستولى على عاصمتها سرديس عام 549ق.م، ثم استولى على مستعمرات اليونان في آسيا الصغرى عام 545ق.م⁽³⁾.

وبعد موت قورش تولى العرش ابنه قمبيز (529-521ق.م) فسار إلى أفريقيا للسيطرة على مصر بهدف تأمين سيطرة الفرس على مركز الصراع وهو حوض البحر الأبيض المتوسط، وذلك لأن حركة استيطان المدن الإغريقية حول منافذ وسواحل هذا البحر، كانت أكبر خطر يهدد الإمبراطورية الفارسية، فلما سمع ملك مصر بقوم قمبيز، أرسل إلى مستعمرات اليونان في جزر البحر الأبيض المتوسط، يطلب العون والمساعدة منها، لأن مستعمرات اليونان في آسيا الصغرى وفينيقية قد أصبحت تحت سيطرة الفرس، لكن هذا الملك مات

(2) حسن بيرينا- عباس إقبال أشيتاني: تاريخ إيران از آغاز تا انقراض، جاجاربه بكوشش دكتور محمد دبیر سیاقي، تهران، ص 64- وسيد الناصري: الإغريق تاريخهم وحضارتهم، الطبعة الثانية، القاهرة 1977، ص 232.
(3) حسن بيرينا - عباس إقبال: المرجع السابق، ص 66.

قبل قدوم حملة الفرس، مما ساعد الفرس على دخول مصر. ومن ثم فإن حملة قمبيز على مصر، لم تكن سوى الخطوة الأولى في المعركة الكبيرة ضد المدن الإغريقية من أجل السيطرة على البحر الأبيض المتوسط⁽⁴⁾.

وبعد موت قمبيز تولى دار الأول عرض إيران (521-486 ق.م) فعبّر مضيق البسفور عام 515 ق.م، واستولى على إقليم تراكييا بمساعدة اليونانيين التابعين لإيران في آسيا الصغرى، ثم واصل زحفه حتى وصل إلى مقدونيا، وسيطر عليها، فصارت تابعة لإيران⁽⁵⁾.

وفي عام 494 ق.م قام أهالي مدينة أيونيا بثورة على حكامهم الإغريق الموالين للفرس، بسبب فداحة الضرائب التي كانوا يدفعونها، وكانت هذه الثورة بتحريض أثينا وبمساعدها، وقد نجح دارا الأول في إحباطها، بعد أن تكلف الكثير⁽⁶⁾.

ولم ينس دارا ما فعله الأثينيون فأراد معاقبتهم عام 492 ق.م عن طريق إرسال حملة، ولكن هياج البحر وقيام العواصف أعاققت استمرار الحملة، فعادت من حيث أتت.

وفي عام 490 ق.م وجه دارا حملته الأولى على اليونان، ونجح اثنتان من قواده في إنزال الجنود في سهل المارثون الذي يبعد ستة وعشرين ميلا عن أثينا، ثم أبحرت القوات متجهة إلى أثينا، فلما سمع الأثينيين بوصول الفرس تحالفوا مع الإسبرطيين للدفاع عن بلاد اليونان، وكان الملك دارا قد أرسل رسولين من قبله لهاتين المدينتين، فقاما بقتلهما خلافا لما هو متعارف بين الدول.

ثم تقابل الجيشان الفارسي والأثيني، فقاتل الأثينيون بشراسة وأنزلوا خسائر فادحة بالجيش الفارسي، وكان الاسطول الفارسي يقف متأهيا بالقرب من

(4) د. سيد الناصري: الإغريق تاريخهم وحضارتهم، ص 233.

(5) حسن بيرينا وعباس إقبال: تاريخ إيران، ص 85-87.

(6) د. سيد الناصري: الإغريق تاريخهم وحضارتهم، ص 239.

الشواطئ الأثينية، لكنه لم يوفق في اقتحام أثينا لسرعة انتقال القوات الأثينية من سهل المارثون إلى العاصمة وتحصينها⁽⁷⁾.

أما الحملة الثانية على بلاد اليونان فكانت في عام 480 ق.م بقيادة خشايار شاه ابن دارا، وشملت جيشا واسطولا جمع من كافة الأجزاء التي تتكون منها الإمبراطورية الفارسية، بما في ذلك قوات من إغريق أيونيا الموالين للفرس. وكان النصر فيها حليف الفرس، فاحتل الفرس مضيق ثرموبيلاي، وتقدم خشايارشاه وجيوشه إلى الجنوب محاولين احتلال دلفي ونهب خزائن معبد الإله أبوللون، ولكن الكهنة تصدوا لهم، وساعدهم على ذلك هبوب عواصف شديدة مما جعل الفرس يولون الأدبار. كما استطاع الأسطول الفارسي دخول أثينا وإحراقها. لكن قائد الأسطول الأثيني استطاع بخدعة حريية أن يدخل الجيش الفارسي في كمين أعدده له، ويحقق نصرا كاملا في عام 480 ق.م، وكان القائد الفارسي يرقب الحملة من ربوة عالية، فلما عرف نتائجها، قرر العودة فورا إلى إيران تاركا نائبه ليشراف على الحملة نيابة عنه.

بعد ذلك انسحب القائد الفارسي بجيشه شمالا، فلاحقته القوات الإغريقية، وأزلت به هزيمة ساحقة في عام 479 ق.م، وقتل فيها قائد الجيش الفارسي نائب خشايارشاه، وكانت هذه الحملة هي الحملة الثانية والأخير للفرس ضد اليونان⁽⁸⁾.

وفي عام 337 ق.م قام فيليب المقدوني والد الأسكندر بإعداد حملة ردا على حملة الفرس على اليونان، للانتقام منهم بعد أن دنسوا شرف المعابد المقدسة، وحتى لا يدفع لهم الجزية التي فرضت عليه من قبلهم، ولكن فيليب اغتيل قبل أن ينفذ ما عزم عليه، ويقال أن من بين أسباب اغتياله أن الفرس هم الذين دبروا مؤامرة قتله، لإعاقة مشروع الحملة ضد بلادهم⁽⁹⁾.

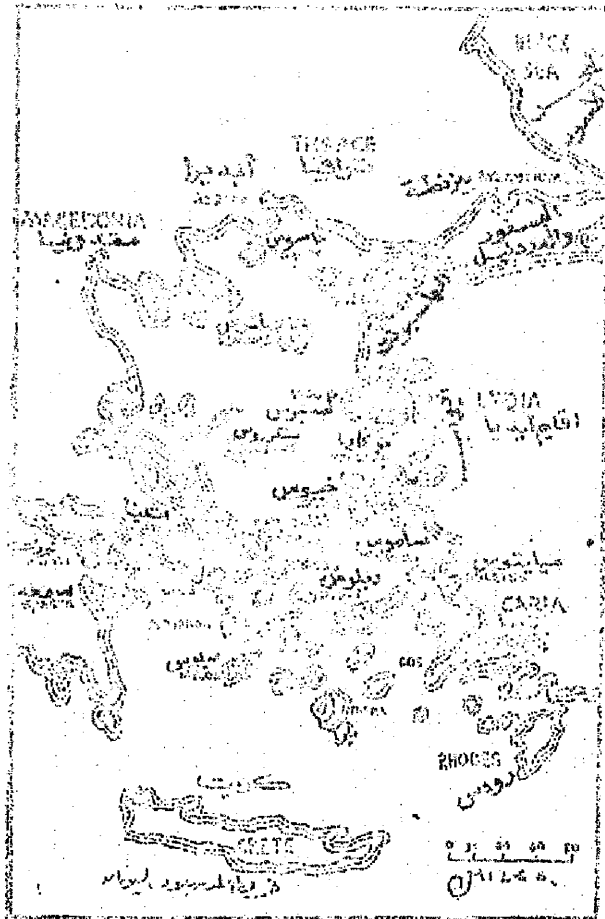
(7) د. سيد الناصري: المرجع السابق، ص 239-240- حسن بيرنيا وعباس إقبال: تاريخ إيران، ص 89-91.

(8) د. سيد الناصري: الإغريق تاريخهم وحضارتهم، ص 242-246- حسن بيرنيا، عباس إقبال: تاريخ إيران، ص 95-96.

J.B Bury: History of Greece, London 1900, p: 271- 295.

(9) بيكو لو سطايا وياكوبوسكي ونيطرو شفسكي وبلنيتسكي واستر ويوا: تاريخ إيران، از دوران باستان تا بايان سده هجروهم ميلادي، ترجمة كريم كشاورز ماتهوان 1354، ص

خريطة

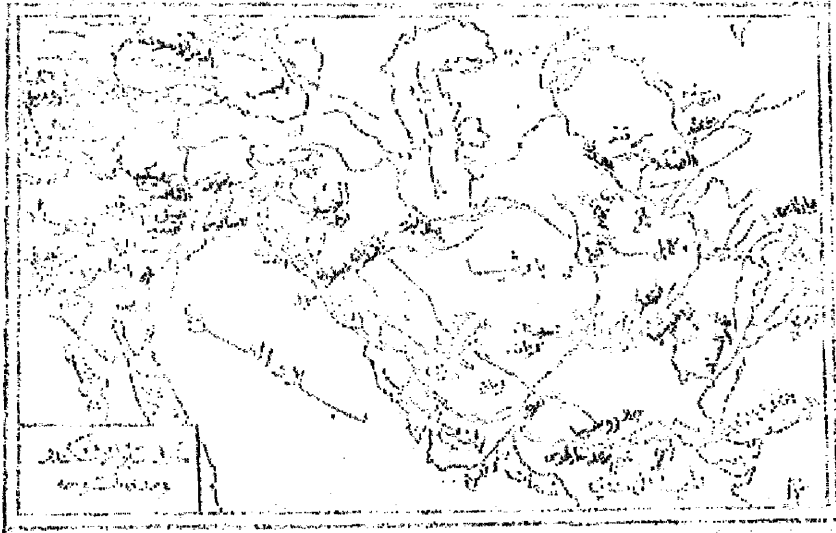


تألفت هذه الخريطة عن كتاب الإغريق تاريخهم وحضارتهم

تأليفه * سيد الناصري *

39- د. سيد الناصري: الإغريق تاريخهم وحضارتهم، ص 501-502، زين العابدين
 مترجم الملك: آئنه سكندري، جلد أول 1326هـ، ص 376.

خريطة



تأليف: د. محمد عبد الحليم (الاسكندرية القديمة) - القاهرة

الطبعة: 1970م - بيروت

ترجمة: د. محمد كامل كمال

ثانياً: الأسكندر المقدوني وفتوحاته

أ- الأسكندر المقدوني:

هو الأسكندر بن فيليب الثاني المقدوني، لقب بالأسكندر الكبير أو الأكبر. أمه يونانية الأصل وتسمى (أولمبياس) (10). ولد عام 356 ق.م ولما بلغ الثانية عشرة من عمره، بدأ أبوه اعداده للملك، فعلمه الفروسية، وأستدعى الفيلسوف ارسطاطليس (أرسطو) إلى القصر المقدوني ليشرف على تربيته، فعلمه أصول التفكير الواقعي والعقلاني والظنرة الموضوعية إلى الأمور، كما علمه العلوم البلاغية وأصول النحو والفلسفة والموسيقى والطبيعة والمساحة. وإلى أرسطو يرجع الفضل في تهذيب الأسكندر وفضل شخصيته لأنه كان ملازماً له، بينما كان أبوه فيليب مشغولاً عنه في معاركه (11).

وقد تزوج الأسكندر مرتين، الأولى من فتاة من منطقة شمال آسيا وتسمى (روكسانه) والثانية روشنك ابنة الملك دارا.

ولما مات أبوه فيليب، تولى هو عرش اليونان ولم يتجاوز العشرين من عمره وذلك عام 235 ق.م. قضى على منافسيه على العرش، وأعد جيوشه لغزو العالم (12).

وقد عاش حتى الثالثة والثلاثين من عمره، وتوفى عام 323 ق.م.

ب- فتوحاته:

كان الأسكندر قد تولى عرش اليونان بعد أن استطاع أبوه فيليب أن يدخل مدن اليونان في حوزة مقدونيا، فوحد الأسكندر الدولة تحت قيادته.

(10) حسن بيرينا: أسكندر، تهران 1344، ص 1736، د. سيد الناصري: الإغريق تاريخهم وحضارتهم، ص 544. دهخدا: لغت نامه: 2459.

(11) John Pentuand Mohaffy: The Story of Notions, London p 4-11.

(12) دهخدا: لغت نامه، تهران 1331 وشمسي، ص 2371. بيكولوسكايبا وآخرون، تاريخ إيران، ترجمة كريم كشاورز، ص 39.

وصارت دولة قوية، وفي نفس الوقت كان النزاع بين أفراد البيت الأكمني حول ولاية العرش قد أفسد الأحوال في إيران، فصارت الأمير فيها تسير من سيئ إلى أسوأ إلى أن وصل الأمر إلى دارا الثالث (336-330 ق.م) الذي كان ملكا ضعيفا مسلوب السلطة.

ولما سمع دارا الثالث بجلوس الأسكندر على العرش، أرسل إليه رسالة يعزبه في وفاة أبيه، ويطلب منه الخراج الذي كانت مقدونيا تدفعه لإيران، وهو عبارة عن زنة بيضة من الذهب عن كل يوم. فرد عليه الأسكندر برسالة يقول فيها: "إن الدجاجة التي كانت تبيض البيض ماتت، فانصرف عن هذا الخراج"⁽¹³⁾. "قادت دارا أن الأسكندر ينوي محاربتة، فأعد جيشا كبيرا من الفرس، واستأجر جنودا مرتزقة من اليونان، وجعلهم تحت قيادة أحد القواد اليونانيين الموالين له، بحيث بلغ عددهم خمسين ألف مقاتل"⁽¹⁴⁾.

وفي نفس الوقت كان الأسكندر أيضا ينوي الاتجاه شرقا للحد من تطاول الفرس، وتدخلهم في شئون اليونان، وللانتقام مما فعله الملك خشايارشاه في اليونان. فعبر مضيق الدردنيل عام 334 ق.م مصطحبا جيشا يزيد عدده عن اثني عشر ألفا من المقدونيين واثني عشر ألفا من الإغريق والمرتزقة، كما اصطحب معه مجموعة من العلماء والباحثين، ليرصدوا مصادر الطبيعة في البلاد المفتوحة"⁽¹⁵⁾.

وكان أول التحام بين جيش الأسكندر والجيش الفارسي عند نهر جرانيقوس، وانتهت المعركة بهزيمة الفرس وهروب دارا الثالث، وأسر الأسكندر ألفين من المرتزقة الإغريق، وأرسلهم للعمل في حقول مقدونيا مدى الحياة عقابا لهم، لإشتراكهم في القتال مع جيوش معادية له"⁽¹⁶⁾.

(13) بناكتي: تاريخ بناكتي، بكوش جعفر شعار، تهران 1348، ص 43.

(14) دهخدا: لغت نامه، ص 2375.

(15) د. سيد الناصري: الإغريق تاريخهم وحضارتهم، ص 514-515.

(16) فتوحات أسكندر مشهور بذو القرنين، مخطوطه، كتبت عام 1228هـ، 1813م،

موجودة بجامعة القاهرة تحت رقم 721 ف.و.و. تارن "الأسكندر الأكبر" ترجمة زكي

على ومراجعة د. محمد سليم سالم، طبع القاهرة 1963م، ص 42.

بعد ذلك تقدم الإسكندر إلى أنقرة، فدخلها ومنها اتجه جنوباً فدخل كيليكية وسيطر على بواباتها الشهيرة، ثم اتجه جنوباً صوب سورية، فسمع بوجود دارا في مدينة سوخي⁽¹⁷⁾ بسوريا، فسارع الإسكندر إليه، والتقى الجيشان في مكان يسمى (اسوس) عام 333 ق.م، وانتهت المعركة بهزيمة دارا الثالث وفراره، والقضاء على جيشه، وأسر الإسكندر لأم دارا وزوجته وابنته وأخته⁽¹⁸⁾.

وبعد هذه المعركة أرسل دارا يعرض الصلح على الإسكندر بشروط مجزية وهي:

- 1- أن يدفع له غرامة حرب كبيرة تقدر حالياً باثني عشرة ألف جنيه.
- 2- أن يتزوج الإسكندر ابنته.
- 3- أن يتنازل للإسكندر عن ممتلكاته الواقعة غربي دجلة والفرات حتى البحر الأبيض المتوسط.

هذا مقابل أن يرد الإسكندر إليه وزوجته وباقي أسرته، لكن الإسكندر رفض، وأعلن أن يبغى مملكة فارس ذاتها وليس ممتلكاتها⁽¹⁹⁾.

وكان لإنتصار الإسكندر في هذه المعركة صدى واسع، فأعلنت جبيل وصيدا بلبنان المبايعة للإسكندر وكذلك فعلت معظم مدن لبنان ما عدا صور، حيث قاومت بشراسة جنود الإسكندر لمدة سبعة شهور، لكنه في النهاية تمكن من تدميرها وهدم جزء من سورها. وردا على قتل أهل صور للأسرى

⁽¹⁷⁾ سوخي: هي إحدى أعمال لواء الإسكندرية في سهل بحيرة أنطاكية.
⁽¹⁸⁾ مخططة فتوحات أسكندر مشهور بنو القرنين و.وتارن: الإسكندر الأكبر ترجمة زكي على، ص 55-61.

Bury: History of Greece, p: 755- 762.

⁽¹⁹⁾ زين العابدين مترجم الملك: أتينه سكندري، جلد أول، 381-383 تارن، الإسكندر الأكبر ترجمة زكي، ص 77-78، حسن بيرنيا وعباس اقبال: المرجع السابق، تاريخ إيران، ص 113. د. سيد الناصري: المرجع السابق، ص 517-518.

المقدونيين، أمر الأسكندر بقتل أهلها والتكليف بهم، وبيعت النساء والأطفال في أسواق الرقيق⁽²⁰⁾.

وفي عام 332 ق.م اتجه جيش الأسكندر جنوبا إلى مدينة غزة، فوجد أن الحامية الفارسية بها قد بتحسينها أملا في الصمود حتى يسترد الملك دارا الثالث قواته، ويعود مرة أخرى لمواجهة الأسكندر. ولكن بعد معركة شرسة وعنيفة نجح جيش الأسكندر في اقتحام المدينة، وتدفق الجنود يهيبون المدينة ويفتكون بأهلها، وبيعت النساء والأطفال، ولقى ما لا يقل عن عشرة آلاف من الفرس والعرب مصرعهم، واستولى الأسكندر وجنوده على كميات كبيرة من البخور والعطور العربية التي اشتهرت بها هذه المدينة.

ثم اتجه الأسكندر بعد ذلك إلى مصر، فلم يجد مقاومة من المصريين بل انهم استسلموا له، وذلك لأن الأسكندر كان قد أشاع مقدما أنه جاء ليحرر مصر من عبودية الفرس، فرحب المصريون بقدمه.

ثم سار الأسكندر بعد أن دخل الغرما (بوابة مصر الشرقية) حتى النيل وعبره من الشرق إلى الغرب في صحبة أسطوله الذي كان قد لحق به ودخل منف (ممفيس) وسط حفاوة كهنتها وشعبها البالغة. ثم زار معبد بتاح، وقدم القرابين إلى عجل أبيس خشوعا له، مما جعل المصريين يقبلونه فرعوننا عليهم.

ومن منف سار غربا متبعا الفرع الغربي للنيل، حتى وصل إلى مدينة كانوب (أبو قير الحالية) حيث شيد فوق شريط من الأرض الرملية يقع بين بحيرة مريوط والبحر الأبيض مدينة الأسكندرية التي سماها باسمه. ومنها سار إلى واحة سيوة لزيارة معبد آمون ليستلهم وحي الإله المصري آمون الذي كان الإغريق يشبهونه بالههم زيوس، فحياه كاهن آمون كاهن للإله وهي التحية التقليدية التي تقدم لأي ملك مصري، فكان هذا له أثره العميق في نفس الأسكندر.

Bury: History of Greece, p. 763- 772.

(20)

تارن: الأسكندر الأكبر، ترجمة زكي على، ص 73- 76.

بعد ذلك رجع الإسكندر إلى منف، فعين مصريين نائبين له على مصر العليا ومصر السفلى، ولكنه وكل الشؤون المالية للإغريق⁽²¹⁾.

ثم رجع الإسكندر مرة أخرى إلى صور، فأعد العدة للمعركة الفاصلة بينه وبين الفرس، ثم سار شرقاً متجهاً إلى إيران، فوصل إلى مدينة نابساكوس على نهر الفرات وسار على الساحل الشرقي متجهاً إلى بابل، لكنه عرف أن الملك دارا يستعد بجيشه لعلاقاته، فتقدم شمالاً والتقى بدارا وجيشه عند سهل جوا جميلا عام 331 ق.م⁽²²⁾. وكان الجيش الفارسي خليطاً مختل النظام، بينما كان جيش الإغريق حسن التدريب، دقيق التنظيم، قوي العدد فاستطاع أن يوقع بالجيش الفارسي الهزيمة في يوم واحد. وفر دارا هارباً وتتبعه الإسكندر حتى اربل⁽²³⁾، لكنه عاد ليتوجه إلى بابل، فلما وصل إليها، رحب به حاكمها الفارسي، لأنه كان قد استاء من هزائم دارا المتلاحقة وهروبه.

ثم دخل الإسكندر بابل، واتبع مع البابليين نفس السياسة التي اتبعها مع المصريين، فألغى القرارات المجحفة التي كان الملك خشايارشاه قد أصدرها ضد العادات القومية البابلية، وأمر بإصلاح المعابد البابلية، وخاصة معبد بعل الكبير الذي دمره خشايارشاه بعد عودته مهزوماً من بلاد اليونان⁽²⁴⁾.

بعد ذلك سار الإسكندر تجاه الجنوب الشرقي إلى شوش مقر القصر الصيفي للملك داراً، واستولى على قلعتها، ووضع يده على كنوز هائلة من الذهب والفضة.

(21) هـ. ايدرسيل: مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، نقله إلى العربية الدكتور أحمد على، القاهرة 1968، ص 38-40.

Z.B.Bury, S.A Cook, T.E.A Deck: The Cambridge Ancient History Cambridge 1927, Volume VI, p: 378.

(22) د. إبراهيم زرقانه وآخرون: حضارة مصر والشرق القديم، طبع مصر، 461 زين العابدين مترجم الملك: آثية سكتري، جلد أول، 3828. مخطوطه فتوحات أسكندر مشهور بذو القرنين.

John Pantaland: The Story of Nations, p: 24.

(23) مدينة تبعد ستين ميلاً عن اربل.
(24) تارن: الإسكندر الأكبر، ترجمة زكي على، ص 93-94. د. سيد الناصري الإغريق تاريخهم وحضارتهم، ص 520.

ثم تقدم بعد ذلك إلى برسبوليس، فدخلها وأباح القتل فيها واستولى على كنوز ملوك الفرس، وأحرق قصر ملوك الدولة الأكمنية ليعلم للإيرانيين انتهاء عهد الدولة الأكمنية، ولينتقم مما فعله خشايارشاه باليونان عند غزوها⁽²⁵⁾.

وفي عام 330 ق.م اتجه الأسكندر إلى همدان، فاستولى عليها وعلى خزائنها، ثم سار عن طريق الري متجها إلى بلخ التي كان دارا قد فر إليها ليتعقبه بنفسه، وبخاصة عندما عرف أن والي قبض على دارا وزوج به في السجن، ليخلص إيران منه، فلما علم الوالي بقدوم الأسكندر صوب بلخ قرر التخلص منه، وطعنه بخنجر طعنة نافذة، وعندما وصل الأسكندر إليه كان قد فارق الحياة، فأمر الأسكندر بأن ترسل جثته مكرمة إلى برسبوليس في موكب حافل، وأن تدفن بنفس المراسم التي كانت معروفة لدى الأكمنيين وفي مقابر أسلافه من ملوك الفرس. وكان لتصرفه هذا أثره العميق في نفوس الفرس⁽²⁶⁾.

وبعد أن سقطت إيران في يد الأسكندر، استولى على الأوستاكتاب نيهم زردشت المجوسي، وأمر بترجمة أجزاء منها تتعلق بالطب والنجوم إلى اليونانية، وبإحراق وإشعال النيران في معابد زردشت⁽²⁷⁾.

ثم اتجه الأسكندر بعد ذلك شمالا إلى بحر قزوين، لتصفية جيوب المقاومة الفارسية، فاستولى على جرجان، ثم اتجه شرقا واستولى على سيستان⁽²⁸⁾.

وفي عام 329 ق.م عبر الأسكندر جبال البرز، ووصل إلى نهر جيخون، سم استولى على سند، ومنها اتجه شرقا إلى قندهار، ومن قندهار تقدم

(25) تارن: الأسكندر الأكبر، ترجمة زكي علي، ص 95-97، مخطوطه فتوحات أسكندر مشهور بنو القرنين، زين العابدين مترجم الملك: آئينه سكندري، جلد أول، ص 384-385.

(26) زين العابدين مترجم الملك: آئينه سكندري، جلد أول، ص 383-483. حسن بيرينا وعباس إقبال: تاريخ إيران، ص 116.

(27) زين العابدين مترجم الملك: آئينه سكندري، جلد أول، ص 385. مخطوطه فتوحات أسكندر مشهور بنو القرنين.

(28) حسن بيرينا وعباس إقبال: تاريخ إيران، ص 117.

إلى نهر كابل وإلى سلسلة جبال الهند (جبال الهملايا). ثم واصل زحفه حتى وصل إلى نهر سيحون، فعبره واستولى على سمرقند، وواصل سيرة جنوب نهر سيحون حيث أنشأ على ضفافه مدينه، سماها اليونانيون الأسكندرية القصوى، ومحلها الآن مدينة طشقند.

وفي عام 327 ق.م عبر الأسكندر سلسلة جبال الهند للمرة الثانية، ثم عبر سهل كابل فنهر السند، وتقدم بجيوشه دون مقاومة تذكر حتى وصل إلى البنجاب.

وفي عام 326 ق.م وصل الأسكندر إلى المحيط الهندي، حيث أنشأ مدينة في منطقة باتاله في دلتا النهر.

وفي عام 325 ق.م ركب الأسكندر الفرع الشرقي لنهر السند حتى وصل إلى مصبه، وقضى يوماً في كراتشي، ثم اخترق صحراء جندوسيا (بلوچستان الحالية) وبعد رحلة شاقة عانى فيها الجيش من الحر والجوع والأمراض، وصل الأسكندر وجيشه إلى كرمان. أما أسطوله فقد غادر ميناء كراتشي بقيادة قائده ويدعى (نيارخوس) متجها غرباً إلى الخليج العربي حتى رسا عند رأس مصدام في بلاد العرب، ومر في بوغاز هرمز حيث تم لقاء الجيش والأسطول، ثم تابع الجيش والأسطول المسير نحو شوش فوصلها في عام 324 ق.م⁽²⁹⁾.

وقد أقيم في شوش حفل كبير احتفاءً باتمام غزو الإمبراطورية الفارسية، حيث تم زفاف الأسكندر على ابنة دارا، وزفاف ثمانين من رجاله على إيرانيات⁽³⁰⁾.

وفي عام 323 ق.م رجع الأسكندر إلى بابل. وهناك أصابته حمى لم يقو جسده المنهك من كثرة الحروب التي قام بها على مقاومتها، فنقلوه إلى قصر

⁽²⁹⁾ تارن: الأسكندر الأكبر، ترجمة زكي علي، ص 114 - 171.

Bury and Athers: The Cambridge Ancient History, p: 387- 437.

⁽³⁰⁾ زين العابدين مترجم الملك: أئنه سكندري، جلد أول، ص 386 - 387. د. إبراهيم

رزقانه وآخرون، حضارة مصر والشرق القديم، ص 462.

سلاطين بابل حيث فاضت روحه وهو في الثالثة والثلاثين من عمره، فنقلوا جثمانه إلى مصر حيث دفن في مدينة الإسكندرية بناء على ما كتبه في وصيته⁽³¹⁾.

(31) تارن: الأسكندر الأكبر، ترجمة زكي على، ص 188.
Bury: The History of Greece, p: 818.

ثالثاً: شخصية ذي القرنين

أجمعت معظم كتب التاريخ والتفاسير⁽³²⁾، على أن ذا القرنين العبد المؤمن الصالح الذي ورد ذكره في القرآن الكريم هو الأسكندر المقدوني استناداً إلى أن الأسكندر بلغ مشرق الأرض ومغربها في غزواته كما تذكر الآية عن ذي القرنين.

ونحن في هذا الصدد ليس أمامنا إلا الآية الكريمة، لكي تثبت لنا هل الصفات والأعمال التي ذكرتها عن ذلك العبد المؤمن الصالح تنطبق على صفات الأسكندر المقدوني وأعماله أم لا؟.

فإذا انطبقت الصفات والأعمال التي وردت في الآية الكريمة على الأسكندر، صح لنا أن نقول أن الأسكندر المقدوني هو ذو القرنين الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، وإذا لم تنطبق فسيكون ذو القرنين هذا شخصاً آخر غير الأسكندر المقدوني.

وقد قال الله تعالى عن ذي القرنين: "ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً، إنا مكننا له في الأرض وأتيناه من كل شيء سبباً، فأنتبع سبباً، حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة، ووجد عندها قوماً، قلنا إذا ذا القرنين إما أن تعذب وأما تتخذ فيهم حسناً، قال أما من ظلم فسوف نعذبه، ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً، وأما من آمن وعمل صالحاً، فله جزاء الحسنى، وسنقول له من أمرنا يسراً، ثم أتبع سبباً، حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً، كذلك وقد أحطنا بما لديه خبراً، ثم أتبع سبباً، حتى إذا بلغ بين السدين، وجد من دونهما قوماً لا يكادون

⁽³²⁾ خواندمير: حبيب السير في أخبار أفرانميشر، جاب دوم، تهران 1353، جلد أول، ص 209. النبهاني: تفسير البهاني، مصر 1338هـ، ص 251. النسفي: تفسير النسفي، القاهرة 1939م، المجلد الثاني، ص 308. الفخر الرازي: تفسير الرازي، مصر 1308هـ، ج. ص 750-751. الشهابي: حاشية الشهابي على تفسير البيهقوي طبع مصر، المجلد 3 و 4، ص 151. أبو ریحان بيروني، ترجمة وآثار الباقيّة أبو ریحان بيروني، تهران 1321، ص 60-61. الترجمة العربية ص 36-37.

يفقهون قولاً، قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً، قال ما مكني فيه ربي خير، فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً، أتوني زير الحديد، حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا، حتى إذا جعله ناراً قال أتوني أفرغ عليه قطراً، فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً، قال هذه رحمة من ربي، فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً⁽³³⁾.

والواضح من الآيات الكريمة أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ذي القرنين، وأن الآيات إجابة عن السؤال. كما تدل الآيات أيضاً على أن الرجل الذي سألوا النبي عليه الصلاة والسلام عنه كانوا يسمونه "ذا القرنين".

وقد بينت الآيات الكريمة أن الله مكن لذي القرنين في الأرض، فأعطاه الملك، وهياً له الأسباب التي يستتب بها ملكه، وينتصر بها على أعدائه.

ثم تبين لنا أيضاً أن ذا القرنين تنقل في الأرض، فرحل جهة الغرب، وظل يواصل سيرة حتى بلغ حد المغرب، فوجد الشمس تغرب في عين حمئة، ووجد هناك قوماً، فتغلب عليهم، لوم يبطش الا بالظالمين منهم، وأكرم المؤمنين، وجازاهم على إيمانهم خيراً، وضرب مثلاً للحاكم العادل الرحيم برعيته.

ثم سار نحو المشرق حتى بلغ أرضاً لا عمران فيها، تسكنها قبائل يدوية، فجاوزها وتقدم حتى وصل إلى مكان مضيق جبلي وراءه قوم مفسدون يسمون: يأجوج ومأجوج، كانوا يشنون الغارات على هذه القبائل، وطلبت منه أن يخلصها من هذا الشر، وفاوضته على أن تدفع له مالا مقابل أن يبني لها سدا يحميهم من غارات يأجوج ومأجوج، فرفض ذو القرنين المال مكتفياً بما أعطاه الله من الأموال، وطلب منهم أن يساعده بقوة سواعدهم ومواد البناء اللازمة، ليبنى لهم سداً منيعاً، يعجز يأجوج ومأجوج عن اقتحامه.

هذا كل ما تقرره الآيات عن ذي القرنين الذي ورد ذكره فيها، وإذا قارناه بما ذكر عن الأسكندر المقدوني من صفات وأعمال، سنجد أنه لا يمكن

(33) سورة الكهف، آيات 83-98.

بأي حال من الأحوال أن يكون ذو القرنين، هو الأسكندر المقدوني وذلك للأسباب الآتية:-

أولاً: أن ذا القرنين الذي ورد ذكره في القرآن الكريم كان ملكاً مؤمناً بالله وبالآخرة، أما الأسكندر فقد كان ملحدًا يعبد الأصنام، فقد سادت الوثنية في أيامه، وكان هو أيضاً كما سبق أن ذكرت يزور معابد الآلهة في البلاد التي يفتحها، ويقدم لها القرابين. كما كانت أمه الميباس تؤمن بالشعوذة، فكانت تذهب إلى سريرها وهي تحتضن ثعباناً ضخماً أملة في الالتقاء والتزواج بالإله زيوس في شكل ثعبان، فلما حملت زادت هواجسها الدينية، فحملت أن الإله أنزل عليها صاعقة أشعلت النيران في كل جسدها. ومن ثم راح الكهنة والمنجمون يجتهدون تفسير هذا الحلم، ويتنبئون بقدسية المولود القادم وشجاعته⁽³⁴⁾.

ثانياً: تذكر الآيات الكريمة أن هذا الملك أقام سداً، ولم تذكر جميع كتب التاريخ التي تحدثت عن الأسكندر وأعماله أنه أقام سداً.

ثالثاً: من المنطقي أن ما ورد في الآيات الكريمة من أنه بلغ مشارق الأرض ومغاربها ليس القصد منه فتوحات الأسكندر شرقاً وغرباً على ضوء دراستنا لفتوحاته.

رابعاً: ذكرت الآيات الكريمة أن ذا القرنين هذا الذي تحدثت عنه كان رحيماً بأهالي البلاد التي فتحها وقد فعل الأسكندر عكس هذا في البلاد التي قاومته أثناء فتحها مثل صور وغزة وغيرهما، فقد أباح القتل العام وبيعت النساء والأطفال في أسواق الرقيق.

خامساً: الملك الذي ورد ذكره في الآيات الكريمة لم يكن حريصاً على المال فحين عرض عليه القم مالا ليبني لهم سداً يحميهم من غارات قبائل يأجوج ومأجوج، رفض مكثفياً بما أعطاه الله من مال، وطلب منهم أن يعينوه

(34) د. سيد الناصري: الإغريق تاريخهم وحضارتهم، ص 469-470.

ويمدوه بمواد البناء اللازمة. وهذا عكس ما فعله الأسكندر في البلاد التي فتحها، فكان يستولى على خزائنها وكنوزها.

سادساً: ويمكن أن نضيف إلى هذه القرائن رأيين أولهما رأى الأستاذ الدكتور عبد النعيم حسنين على ضوء دراسته للأية الكريمة إذا يقول: "إن ما تقرره الآيات التي ذكر فيها ذو القرنين، يؤكد أن - ذا القرنين المذكور في القرآن لا يمكن أن يكون الأسكندر المقدوني بحال من الأحوال، فقد دون تاريخ الأسكندر وأعماله. ولا يوجد شبه في أحواله وأحوال ذي القرنين، ولا يقال عن فتوحاته أنها فتوح في الشرق والغرب، ولم يثبت أنه بني سدا في حياته كلها.

ثم أننا نستطيع أن نجزم بأنه لم يكن مؤمنا بالله، ولا عاد لا - عدلا مطلقا مع الشعوب المغلوبة، كما أنه ليس هناك سبب يسوغ تلقيبه بذي القرنين.

ولعلنا بعد هذا نستطيع أن نقول أن كل ما سجلته الكتب العربية والفارسية عن الأسكندر المقدوني، وأنه هو الذي ذكر في القرآن بأسم ذي القرنين، ليس إلا أسطورة من أساطير الأولين، يكذبها ما ورد في القرآن الكريم، وما ثبت في الوقائع التاريخية الصحيحة⁽³⁵⁾. أما الرأي الثاني فهو رأى تارن الذي ورد في كتابه (الأسكندر الأكبر) والذي نقله إلى العربية الأستاذ زكي على إذ يقول منه "لقد حكمت حول الأسكندر الأساطير بعد وفاته، فادعت جميع البلاد أنه ينتسب إليها، ففي الفارسية ابن دارا، وفي القصة المصرية أصبح ابنا لآخر فرعون مصري، وفي الخرافة اليهودية كان ذا القرنين الذي بشر بظهور المسيح، وبوصفه ذي القرنين، أصبح أحد أبطال الخرافة في الإسلام⁽³⁶⁾.

وصفوة القول أن الأسكندر المقدوني كان بطلا شجاعا ذا شخصية فذة نادرة، فقد استطاع وهو في ريعان الشباب، لم يتجاوز العشرين أن يحكم بلاد

⁽³⁵⁾ د. عبد النعيم حسنين: أسطورة الأسكندر ذي القرنين، مجلة المجلة العدد 47 نوفمبر سنة 1960م، ص 8.

⁽³⁶⁾ تارن: الأسكندر الأكبر ترجمة زكي على، ص 221.

اليونان، وأن يسيطر على إمبراطورية فارس العظيمة والشام والعراق والهند من خلال فترة حكم قصيرة تبلغ اثني عشر عاماً، هذا في حد ذاته يعد عملاً عظيماً وخارقاً، استحق الأسكندر أن ينال من أجله شهرته العالمية هذه، وأن تحاك مثل هذه الأساطير حوله، وأن يخلط بينه وبين الأسكندر ذي القرنين، دون أن يكون لهذا الخلط سند من حقيقة.

الباب الثاني
قصة الأسكندر عند الفردوسي

تقديم

أ- الفردوسي:

هو أحد كبار شعراء إيران المشهورين، ورائد الشعر الحماسي في الأدب الفارسي.

وعلى الرغم من شهرته العظيمة هذه، إلا أن المصادر قد اختلفت في اسمه فبعضها سمته (أحمدا) وأخرى سمته (منصورا)، وغيرها سمته (حسنا)، كما اختلفت أيضا في اسم أبيه، فذكرت اسمه (اسحق بن شرفشاه) ومرة أخرى (علي)، وثالثة (أحمد بن فرخ).

أما كنيته وتخلصه فقد اتفقت عليهما، فكنيته (أبو القاسم)، وتخلصه الشعري (الفردوسي) (37).

وقد ولد الفردوسي إبان حكم السامانيين (279-389هـ) وكانت ولادته في عام 329-940م على أرجح الأقوال، بقرية باز التابعة لمدينة طوس، كما عاصر الدولة الغزنوية، واتصل بمؤسسها السلطان محمود الغزنوي.

أمسا وفاته فقد كانت في عام (411هـ = 1020م) على أرجح الأقوال (38).

ب- الشاهنامه:

الشاهنامه أي كتاب سير الملوك هي عبارة عن منظومة رائعة تقع في حوالي ستين ألف بيت من الشعر، نظمها الفردوس في الحديث عن أبطال وملوك إيران منذ أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي لإيران، خصص منها ألفين وخمسمائة وخمسة وستين بيت شعري للحديث عن الأسكندر المقدوني.

(37) د. طه ندا: دراسات في الشاهنامه، طمع الأسكندرية، ص 7. بديع الزمان خراساني: سخن وسخنوران، جلد أول، ص 29، جاب دوم 1318.

(38) د. ذبيح الله صفا: كنج سخن، جلد أول ص 67، جاب دوم 1339. د. طه ندا: دراسات في الشاهنامه، ص 23.

وقد أتم الفردوسي نظم الشاهنامه عام 400 أو 401 هـ بعد أن أمضى ثلاثين عاما في نظمها⁽³⁹⁾، وقدمها إلى معاصره السلطان محمود الغزنوي.

أما المصادر التي اعتمد عليها الفردوسي عند نظمه للشاهنامه فهي:

1- الكتب البهلوية التي ألقت في العصر الساساني عن ملوك إيران القدماء، والتي ترجم بعضها المترجمون المسلمون في بداية العصر الإسلامي، ومن أهمها كتاب (خد أي نامه) أي كتاب الملك، وهو كتاب في تاريخ وسير ملوك إيران من عهد كيومرث الأسطوري، حتى آخر ملوك الساسانيين⁽⁴⁰⁾.

2- الشاهنامات التي ألقت من قبله في القرن الثالث الهجري، وهي شاهنامه أبي المؤيد البلخي، وشاهنامه أبي علي البلخي، وشاهنامه المسعودي المروزي، وشاهنامه الدقيقي الطوسي.

3- أما بالنسبة لأخبار الأسكندر فقد استفاد من كتاب أخبار الأسكندر، وهو عبارة عن مجموعة من الأساطير اليونانية، جمعها أحد المصريين في مصر في القرن الثالث الميلادي ونسبها إلى كاليبس⁽⁴¹⁾ أحد المؤرخين المعاصرين للأسكندر.

وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغات المختلفة اللاتينية والرومانية والأرمينية والسريانية والعبرية والبهلوية والعربية⁽⁴²⁾.

(39) د. طه ندا: دراسات في الشاهنامه ص 100، د. نبيح الله صفا: كنج سخن جلد أول، ص 67.

(40) البنداري: الشاهنامه: ترجمها نثرا إلى العربية د. عبد الوهاب عزام الطبعة الأولى القاهرة 1350هـ = 1932م، الجزء الأول ص 27-30. تئودور نولدكه: حماسه ملی ایران، ترجمة بزوك علوي تهران 1327، ص 30-32.

(41) كاليبس: هو أحد المؤرخين الذين عاصروا الأسكندر، وارقوه في غزواته عاش من 360 إلى 327 ق.م ويقال إنه ألف كتابا عن تاريخ اليونان في الفترة التي تقع من 378، 357 ق.م، ثم ألحق به مؤلفه عن الأسكندر وفتوحاته وسياسته.

(42) محمد علي تريبتي: دانشمند ان آذربيجان، جاب اول، طهران 1314، ص 384.

وقد اختلطت موضوعات هذا التاب ببعض الحقائق التاريخية وبعض القصص الإيرانية⁽⁴³⁾.

(43) د. طه ندا: دراسات في الشاهنامه، ص 33. د ذبيح الله صفا: حماسه سرائي در ايران، طهران، جاب دوم، ص 86.

قصة الأسكندر كما صورها الفردوسي

تمهيد:

لما كانت منظومة الشاهنامه أول عمل أدبي تحدث عن الأسكندر المقدوني بعد الإسلام، فيجب علينا أولاً، وقبل أن نتناول شخصية الأسكندر في الشاهنامه بالدراسة والنقد، أن نبين ما هو موقف الفرس من الأسكندر قبل الإسلام؟.

كان الفرس قبل الإسلام ينظرون إلى الأسكندر نظرهم إلى المستعمر الباغي، وكانوا لا يذكرونه إلا باسم (سكندر كجستك) أي الأسكندر الملعون⁽⁴⁴⁾ لأنه حطم إمبراطوريتهم، التي كانت تعد أعظم إمبراطورية في العالم في ذلك الوقت، وقضى على ديانتهم الزردشتية، وأحرق كتابها المقدس، ومعابد شعائرها.

وبعد أن توطد الفتح الإسلامي لإيران، بدأ الإيرانيون في القرن الثالث الهجري يلوحون بالاستقلال عن الخلافة الإسلامية، والعمل على إحياء تراثهم القديم، وبث الروح القومية بما عرف بالاتجاه الشعوبي، وقد بلغت حركة الشعوبية هذه ذروتها في عصر الدولة السامانية، تلك الدولة التي كانت ينتسب مؤسسها إلى أصل فارسي عريق، والتي عاش الفردوسي شاعرنا في عصرها.

وكان طبيعياً أن يتأثر الفردوسي بهذا الجو الذي عاش فيه، فنظم منظومة الشاهنامه التي سجلت أمجاد وبطولات ملوك الفرس وأبطالهم منذ العهد الأسطوري حتى الفتح الإسلامي لإيران. وعندما جاء دور الحديث عن الأسكندر المقدوني، غلبت عليه شعوبيته، فتصالح معه، وادعى بقصة اختلقها أنه إيراني الأصل، ليحو عار هزيمة بلاده على يديه، وليعد فتحه لإيران حقاً شرعياً لاسترداد ملكه الذي انتزعه منه أخوه دارا الثالث.

⁽⁴⁴⁾ محمد جعفر محبوب: زندكي افسانه أسكندر كبير، مقالة بمجلة سخن: دوره بيست وهشتم، شماره رهم 1357 هـ. ش ص 1034.

وقد مهد لهذا عند بدء حديثه عن الأسكندر في الشاهنامه بالعنوان التالي:

حروب داراب (45) مع فيلقوس (46):

ذكر الفردوسي أن هناك حربا بين (فيلقوس) ملك بلاد الروم، و (داراب ابن بهمن) ملك بلاده، انتهت بفوز داراب وهزيمة فيلقوس، يقول:

دارت معركتان ضاريتان في ثلاثة أيام، وتحقق النصر في اليوم الرابع، ففر فيلقوس وجيشه هاربين منهزمين فأسروا نساءهم وأطفالهم وقتلوا الكثيرين رميا بالسهم (47).

طلب فيلقوس الصلح:

وبعد انتهاء القتال، أرسل فيلقوس رسولا من قبله برسالة لداراب ليصفح عنه، كما أرسل إليه الهدايا الثمينة. فلما وصل الرسول إلى داراب، استدعى رجاله، ليتشاور معهم في شأنه فيلقوس، ذكروا له أن فيلقوس لديه ابنة بارعة الجمال، وأشاروا عليه أن يتزوجها مقابل العفو عنه (48).

وهناك تتغلب النعرة الإيرانية على الفردوسي، فيصور الملك داراب الثاني في صورة الملك القوي المتكبر، حيث استدعى الرسول وأمره أن يذهب إلى فيلقوس، ويبلغه بأنه إذا أراد الأمن والأمان له ولبلاده، فعليه أن يرسل إليه ابنته والخراج المطلوب منه يقول:

(45) داراب: هو الملك دارا الثاني.

(46) فيلقوس: هو فيليب الثاني والد الأسكندر المقدوني، أما فيلقوس فهو الاسم الذي اشتهر به في الكتب العربية.

(47) الفردوسي: الشاهنامه، تصحيح محمد رضائي، ج3، ص416، طهران 1311ش.

| | |
|------------------------------|----------------------------|
| د ورزم کران کرده شد درسه روز | جهارم جو بفروخت کيتي فروز |
| کريزان بشد فيلقوس و سببها | يکي را نبد ترك و رومي کلاه |
| زن و کود کانشان ببردند اسير | بکشند جندي بياران تير |

(48) نفس المرجع، ص 416-417.

"فقال له: اذهب إلى القيصر، وقل له: لو أنك تريد الحفاظ على دماء وجهك.

فلديك خلف استار الحجب ابنة جميلة، هي تاج على رؤوس النساء. أرسلها إلى مع خراج بلاد الروم، هذا لو أردت أن تعيش سالما أمنا في بلادك(49).

زواج داراب من ابنة فيلقوس وإنجابه الأسكندر:

ويبين الفردوسي ما كان يتمتع به ملك بلاده من سطوة وبأس، فيصور خضوع فيلقوس لأمر داراب بقوله:

"سر فيلقوس وجنوده بذلك الطلب، لأن الملك سيصبح سهرا له(50) ثم أرسل فيلقوس ابنته إلى داراب في صحبة كبار رجاله في موكب كبير وقد تقدمت هي هذا الموكب، حيث جلست في مهد مذهب، مزينة بالجواهر والتاج، وجلست الجوارى خلفها، تمسك كل منهن كأسا ذهبيا مملوءا بالجواهر في يديها. ولما وصل الموكب إلى داراب، أودعوا الحسناء إليه، وأحصوا الجواهر والهدايا لحارس خزائنه(51).

(49) الفردوسي: الشاهنامه: ج3، ص 417.

| | |
|-------------------------|------------------------------|
| بد وكفت رويش قيصر بكوي | كه كرجست خواهي همي آب روي |
| بس برده تويكي دخترست | كه بر تارك بانوان افسرست |
| بر من فرستيش با بار روم | جو خواهي كه بي رنج ماني بيوم |

(50) نفس المرجع، ص 417.

| | |
|---------------------------|---------------------------|
| بدان شاد شد فيلقوس وسبباه | كه داماد باشد مرورا جوشاه |
|---------------------------|---------------------------|

(51) نفس المرجع، ص 417-418.

ثم يواصل الفردوسي بعد ذلك حديثه عن الإسكندر، ليثبت لنا أنه الابن الأكبر للملك الفارسي داراب الثاني بن بهمن، فيذكر لنا قصة تحكي أن الملك داراب بعد أن تزوج ابنة الملك اليوناني فيلقوس، كان يرقد بجوارها ذات ليلة، فتاعتبت، فخرجت من فمها رائحة كريهة، نفر منها الملك، واستدعى كبار الأطباء لعلاجها، واستطاع طبيب ماهر أن يكتشف الدواء لدائها، وهو نبات محرق للحلق يسمى الإسكندر، يوجد ببلاد اليونان، فمسح الطبيب حلقها به، فذهبت الرائحة الكريهة منه، لكن قلب الملك كان قد نفر من عروسه، فأعادها إلى أبيها فيلقوس، وهي تحمل بين أحشائها جنينا، لم تفش أمره إلى أحد. وبعد مضي تسعة أشهر وضعت مولودها، سمته الإسكندر، تيمنا باسم ذلك النبات الذي تخلصت بفضل من رائحة فيها الكريهة⁽⁵²⁾.

ولما كبر الإسكندر، اختاره جده فيلقوس وليا للعهد، وعلمه نظم وأصول الملك، حتى يكون مهياً لتولي العرش بعد وفاته⁽⁵³⁾.

تولى الإسكندر عرش بلاد اليونان:

وبعد موت فيلقوس تولى الإسكندر عرش بلاد اليونان، فجاءه رسول من قبل أخيه دارا الثالث، الذي كان قد تولى عرش إيران بعد وفاة أبيه، يطلب منه الخراج، الذي كان جده فيلقوس يدفعه لأبيه داراب الثاني، فامتنع الإسكندر عن دفع الخراج وقال له:

"إذهب إلى دارا وقل له: أن الدجاجة التي كانت تبيض البيض الأذهبية ماتت، وليس لنا شأن بالخراج الآن"⁽⁵⁴⁾.

⁽⁵²⁾ الفردوسي: الشاهنامه، ج3، ص 418.

⁽⁵³⁾ نفس المرجع: ص 419. لم يشر الفردوسي إلى أن أرسطو كان معلم الإسكندر كما ذكرت المصادر التي تحدثت عن الإسكندر.

⁽⁵⁴⁾ الفردوسي: الشاهنامه، ج3، ص 422.

| | |
|-----------------------------|------------------------------|
| که ازبازما شد کنون رنک وپوی | بد وکنفت رویش دارا بکوی |
| بمرد و سر بازبی مایه کرد | که مرغی که زرین همی خایه کرد |

ذهاب الأسكندر إلى مصر:

ويبدأ من هنا الفردوسي في تصوير الأسكندر ملكا فاتحا وبطلا غازيا، فيذكر أن الأسكندر بعد رفضه دفع الخراج لدارا الثالث، صمم على غزو العالم، ففتح كنوز جده وأمر بأعداد الجيوش، ثم اتجه إلى مصر، ويصف الفردوسي قتال الجيشين يقول:

تقابل الجيشان، وتحاربا أسبوعا كاملا.

وفي اليوم الثامن لحقت الهزيمة بمصره وأغلق الأسكندر الطريق أمامهم⁽⁵⁵⁾.

وما ذكره الفردوسي هذا يتنافى مع الحقائق التاريخية، لأن كتب التاريخ قد ذكرت عكس هذا، وقالت أن المصريين رحبوا بقدمه ليخلصهم من حكامهم الطغاة المواليين للفرس.

ولعل الفردوسي أراد بذلك أن يصور الأسكندر غازيا فاتحا، أو أنه أراد ألا يصور الحكم الفارسي لمصر بأن كان متسما بالقسوة والغلظة مما دفع المصريين للترحيب بالأسكندر المنقذ لهم من الفرس وأعاونهم العتاة الظالمين.

ذهاب الأسكندر إلى إيران:

ثم اتجه الأسكندر بعد ذلك من مصر إلى إيران، وهناك دارت بينه وبين دارا ثلاث معارك ضارية، كان النصر فيها حليف الأسكندر، ويصف الفردوسي المعركة الأولى فيقول:

⁽⁵⁵⁾ نفس المرجع السابق، ص 422.

| | |
|------------------------|-----------------------------|
| ببوند يك هفتك برهاشجوى | دو لشكر بروى اند رآورده روى |
| سكندر سرراه ايشان ببست | بهشتم بمصراند رآمد شكست |

اشتیک فرسان الحرب من الخلف والأفيلة من الأمام اشتباكا شرسا ومن
شدة ارتفاع أصوات الأبواق فزعت قلوب الرجال.

ومن سهيل الخيل وصياح الفرسان وصليل الحراب الكبيرة يخيل لك أن
الأرض قد أصبحت جبلا حربيا. وصار لون السماء كلون الصدا.

واستمر الفرسان اسبوعا في تصادم والتحام حيث ظلت الجيوش وجهها
لوجه طوال هذه الأيام.

وفي اليوم الثامن ارتفع الغبار عاليا فجعل الشمس الساطعة زرقاء اللون.
فحجبت الرؤية عن جيش إيران، فلم يشاهدوا إلا مكانهم.

فولى الملك دارا وجهه وايضا جيشه الشجاع وفروا صوب نهر الفرات،
هاربين من ميدان المعركة⁽⁵⁶⁾.

(56) الفردوسي: الشاهنامه، ج3، ص 426-427:

| | |
|---------------------------|-----------------------------|
| سوران جنگ ازبس وبييل بيش | همه بر كرفته دل ازجان خوش |
| زبس ناله بوق وهندي دراي | همه مود را دل برآمد زجاي |
| ز آواز اسبان و بانك سمران | جر نكيدن كرز هاي كران |
| توكفتي زمين كوه جنگي شدست | ز كرد آسمان روي زنگي شدست |
| بيك هفته كردان بر خاشجوي | بروي اندر آورده بودندي روي |
| بهشتم بر آمد يكي تيره كرد | بدانسان كه خورشيد شد لاجورد |
| بيوشيد بيدار ايران سپاه | نديند جز خاك اورد گاه |
| جهاندار دارا به بجيد روي | همان نامور لشكر جنگجوي |
| برود فرات اندر آمد سپاه | كريزان برفتند ازان رزمگاه |

واتجه الأسكندر بعد ذلك إلى شاطئ نهر رودبار وقتل عددا لا حصر له من الإيرانيين (57).

أما المعركة الثانية فيذكر الفردوسي أن دارا بعد هزيمته الأولى جمع جيشا، وتهيأ للقتال، فلما سمع الأسكندر بذلك توجه لمحاربته، وتقابل الجيشان، ودارت بينهما معركة ضارية لمدة ثلاثة أيام انتهت بفوز الأسكندر.

يقول الفردوسي في وصفها:

استمر القتال بينهما ثلاثة أيام متتالية، وضاق المكان من كثرة القتلى.

وللمرة الثانية انتصر الأسكندر، وصار الكوكب عاليا والأرض مشرقة (58).

وفي معركة ثالثة تقابل الجيشان، وانتهى الأمر بهزيمة دارا وفراره إلى كرمان، ودخول الأسكندر فارس، وفي وصف تلك المعركة الثالثة يقول الفردوسي:

اصطف الجيشان، وتحاربا بالحراب والسهم والخناجر.

وصل الليل، وشدد الأسكندر الهجوم، فلحقت الهزيمة بدارا.

وفر الملك دارا إلى كرمان ناجيا بروحه من براثن الأعداء.

ودخل الأسكندر فارس، واستولى علي تاج الملك فخر فارس (59).

(57) نفس المرجع ونفسه الصفحة:

| | |
|------------------------|-----------------------------|
| سكندر بشد تالب رود بار | بكشستند از ايرانيان بي شمار |
|------------------------|-----------------------------|

(58) الفردوسي: الشاهنامه، ج3، ص 427:

| | |
|------------------------------|------------------------------|
| سه روز اندر ان رزمشان شددندك | جنان شد كه از كشته بدجاي تنك |
| سكندر دكر باره بيروز كشت | بلند اختر وكيتي افروز كشت |

وهنا يغلب على الفردوسي التعصب لبني جنسه فيصير دارا ملك بلاده في صورة المحب للسلام والأسكندر في صورة العاشق للقتال.

فيذكر أن دارا بعد هزيمته الثالثة أرسل رسالة إلى الأسكندر من أجل الصلح والسلام يقول فيها:

لو أنك عقدت الصلح الآن، فإن قلبك سيخجل من البحث عن القتال. وتكون لك كنوز كشتاسب واسفنديار وجميع معدات الملك.

كما سيكون لك أيضا عرش كيخسرو والتاج الذهبي وزينة الملك والحزام الذهبي.

وسأرسل كنوزي إلى كنوزك، وفي نفس الوقت سأكون مواسيا لك في المحن.

ومعينا لك في الحروب، ولا أتأخر عن خدمتك ليلا أو نهارا.

ولو أنك جئت إلى إيران قاصدا الود والسلام فسيليق بك عرش السلطنة.

ولن أعصى لك أمرا ولو للحظة واحدة، ولن أتنفس نفسا واحدة دون مشورتك⁽⁶⁰⁾.

⁽⁵⁹⁾ نفس المرجع السابق، ص 430.

| | |
|--------------------------|---------------------------|
| سباه دوکشور کشیدند صف | همه نیزه وکرز وخنجر بکف |
| شب آمد بدارا درآمد شکست | سکندر میاه تاختن را بیست |
| جهاندار دارا بکرمان رسید | همی ازکف دشمنان جان کشید |
| سکندر پیامد باستخر بارس | که دیهم شاهي يد وفخر بارس |

⁽⁶⁰⁾ الفردوسي: الشاهنامه، ج3، ص 432-433:

| | |
|--------------------------|--------------------------|
| کنون کر بسازي وييمان کنی | دل ازجنگ جستن بشيمان کنی |
|--------------------------|--------------------------|

لكن الأسكندر رفض دعوة الصلح، ورد عليه برسالة مملوءة بالغرور والتكبر، يعلق عليها الفردوسي فيقول:

عندما كتب الأسكندر رد الرسالة، زرع الشجرة في حديقة العظمة⁽⁶¹⁾.
فلما قرأ دارا رسالته تعجب من حال الدنيا وقال:
"أن القتال أفضل لي من التبعية للأسكندر، وأن المعين لي في الدنيا هو
الله"⁽⁶²⁾.

ولعله كان يزعم الاستعداد لجولة رابعة، ولكن الأقدار لم تمهله لذلك،
كما ستعرف بعد قليل.

| | |
|--------------------------|----------------------------|
| همه ياره وطوق باكوشوار | همه كنج كشتاسب واسفنديار |
| همان خود وختان وزرين كمر | همان تخت كيخسرو وتاج زر |
| همان نيز وزريده رنج خویش | فرستم بكنج تواز كنج خویش |
| بروز وشبانن نجويم درناك | همان من ترايار باثم يچناك |
| همه باد شاهي سارسر تراست | توكر سوي ايران خرامی رواست |
| نفس نيزبي راي تو تشوموم | زفرمان تويك زمان نكدرم |

⁽⁶¹⁾ الفردوسي: الشاهنامه، ج3، ص 433:

| | |
|----------------------------|-----------------------|
| سكندر جو آن نامه باسخ نوشت | بباغ بزرگي درختي بكشت |
|----------------------------|-----------------------|

⁽⁶²⁾ نفس المرجع، ص 433:

| | |
|---------------------------|--------------------------|
| سرانجام گفت این زكشتن بتر | كه من بيش رومي بيندم كمر |
| نه بينم همی درجهان ياركس | جزاز ايزدم نيست فریاد رس |

وفي الحقيقة كان تصوير الفردوسي لهذه المعارك قريبا جدا من التاريخ الحقيقي، حيث ذكرت كتب التاريخ أن المعارك التي دارت بين الأسكندر ودارا الثالث ثلاث معارك، وانتهت جميعها بفوز الأسكندر. وهزيمة دارا الثالث كما ذكرت أيضا أن دارا عرض الأسكندر الصلح، ولكنه رفض.

مقتل دارا الثالث:

أما عن مقتل دارا فيذكر الفردوسي أنه كان ماشيا مع وزيرته، أحدهما يدعى (ماهيبار) على يمينه، والآخر يدعى (جانوسيار) على يساره فلما حل الليل هبت رياح، فأمسك أحدهما بميدية، وطعنها في صدر الملك، فانحنت رأسه من شدة الطعنة، وسقط على الأرض، فتركاه، وسارعا بالعودة إلى الجند، ثم ذهب أحدهما في التوالي إلى الأسكندر وقال له:

"أيها الملك المظفر أننا قتلنا عدوك في الخفاء، وخلعنا عنه تاج الملك" (63).

فلما سمع الأسكندر قول القاتل، تظاهر بتأييد صنيعه، وطلب منه أن يرشده عن مكان سقوط دارا.

ويصف لنا الفردوسي تأثر الأسكندر لمصيبة أخيه دارا، وتعاطفه معه فيذكر أن الأسكندر توجه على الفور إلى دارا وهو في شدة من التألم والتأثر عليه، ولما وصل إليه، ترجل من على حصانه في سرعة خاطفة، وأراح رأسه على صدره ونظر إليه، ومسح على وجهه بيديه، وخلع التاج من على رأسه، والدرع من على صدره، وانهمرت الدموع من عينيه لسوء حالته، وقال له:

هكذا هان عليك أن تسيء الظن بي:

انهض واجلس في مهدك المذهب ولو كنت تملك القدرة فامتط صهوة جوادك.

(63) الفردوسي: الشاهنامه، ج3، ص434:

| | |
|------------------------|-------------------------|
| بکشتم ما دشمننت ناکهان | سر آمد پروتاج وتخت مهان |
|------------------------|-------------------------|

وسأحضر لك الأطباء من الهند وبلاد الروم، فإنني أبكي دما على
وجيعةك.

فأنا الآن أترك لك العرش والملك حتى تتحسن حالتك ثم نتفاهم.

لأنني حالياً انصرفت عما كنت أضمره لك من سوء وعداوه من قبل⁽⁶⁴⁾.
وختم حديثه معه بقوله:

أن الأمر مفوض إليك، فقل ما تريده، وأنا موكل بتنفيذه⁽⁶⁵⁾.

فرد داراً قاتلاً:

أولاً وقبل أي شيء أيها البطل اخشى الله.

لأنه هو الذي خلق السماء والأرض والليل والنهار، وخلق القوة
والضعف.

وارع ابنتي حبيبتي، وتزوجها واعمل على راحتها.

لقد سميتها أمها (رورشك) فسعد العالم وإيران بوجودها.

(64) الفردوسي: الشاهنامه، ج3، ص 435:

| | |
|-----------------------------|--------------------------|
| بدو كفت كاين بو تو آسان شود | دل بد سكاآت هراسان شود |
| تويرخييز ودرمهد زرين نشين | وكرهست نيروت بر زين نشين |
| زهند وزرومت بزشك آروم | زدرد توخونين سرشك آورم |
| سبارم ترا بادشاهي وتخت | جوبهتر شوى ما بينديم رخت |
| جفا بيشكان تراهم كنون | بياوزم ازدارهما سرنكون |

(65) نفس المرجع، ص 436:

| | |
|---------------------------|--------------------------------|
| سكندر بد وكفت فرمان تراست | بكوى آنچه خواهي كه بيمان تراست |
|---------------------------|--------------------------------|

ولن تجد منها أي سوء، ولن تكون مسببه للأضرار كالإعداد.
 لأنها ربيبة الملوك، وتاج لرؤوس الأبطال⁽⁶⁶⁾.
 فأجابه الأسكندر بأنه تقبل نصائحه، وسوف يعمل بها في بلاده⁽⁶⁷⁾.
 وبعد ذلك لفظ دارا أنفاسه الأخيرة، فحزن الأسكندر عليه، وأعد له
 مراسم الدفن اللائقة به، يقول الفردوسي:
 بنوا له مقبرة مطابقة لأصول عقيدته، فجاءت مطابقة لجلاله ومذهبه.
 وغسلوه من الدماء بماء الورد الصافي، لأنه قد حان وقت ثومه الأبدي.
 وزينوه بالديباج الرومي، ونثروا عليه الجواهر والذهب.
 وغطوا جسده بالورد البيضاء، فلم ير شخص وجه دارا بعد ذلك.
 ووضعوا كرسي عرش مذهب داخل المقبرة، والبسوا رأسه تاجا
 معطرا.

ووضعه داخل تابوته الذهبي، وبكت العيون دما عليه.

(66) الفردوسي: الشاهنامه، ج3، 436:

| | |
|------------------------------|----------------------------|
| بترس از جهان داور كرد كار | نخستين جنين گفت كاي نامدار |
| توانائي و نواتوان آفريد | كه جرخ وزمين وزمان آفريد |
| بدارش به آرام درپيشگاه | زمن باك تن دختر من بخواه |
| جهان را بدو شاد و بدمام كرد= | كجا مادرش روشنگ نام كرد |
| نه بيغاره از دشمن بد كاش | =نيايي زفرزند من سرزنش |
| براي افسر نامداران بود | جو برورد شهرياران بنرد |

(67) نفس المرجع، ص 437.

وعندما هموا لحمل تابوته، تكاتف الجميع على حمله.
وسار الأسكندر في المقدمة وخلفه العظماء بعيون تنسكب دما.
وهكذا وورى دارا القبر إلى يوم القيامة⁽⁶⁸⁾ وسط أحزان الجميع ولطم
الخدود.

وبعد أن انتهت مراسم الدفن، أعد الأسكندر مشنقتين، وأمر بشنق
الوزيرين، عقاباً لهما على جريمتهما⁽⁶⁹⁾.

ويصف الفردوسي استحسان الإيرانيين لضيعة هذا فيقول:

لما رأى الإيرانيون ما فعله، أشادوا بذلك الملك الهام.

وصاحوا جميعاً أحسنت أحسنت، ولقبوه بلقب ملك العالم⁽⁷⁰⁾.

(68) الفردوسي: الشاهنامه، ج3، ص 437:

| | |
|----------------------------|---------------------------|
| برانسان كه بد فره ودين اوى | يكي دخمه كردش به آئين اوى |
| جو آمدش هنگام جاويد خواب | بشستندش از خون بروشن كلاب |
| همه بيكرش كوهر وزرش بوم | بياراستندش بديباي روم |
| وزان بس كسى روى دارا نديد | تنش زير كافور شد نايديد |
| يكي بر سرش تاج مشكين نهاد | بدخمه درون تخت زرین نهاد |
| بروير زمر كان بياريد خون | نهادش بتابوت زر اندرون |
| همه دست بر دست بگذاشتند | جو تابوتش از جاي برداشتند |
| بزرگان همه ديدها بر زخوف | سكندر بياده به بيش اندرون |
| همی بوسست بروی بگفتي بگفت | جنين تاستودان دارا برفگفت |

(69) نفس المرجع، ص 437.

وقد أثرت هنا شعبية الفردوسي تأثيرا كبيرا في تصويره للألكندر أخوا دارا الثالث ملك بلاده، فصوره في صورة جميلة، بدت صادقة نابغة من الأعماق بعيدة عن التكلف.

جلوس الألكندر على عرش إيران:

يصور الفردوسي الألكندر هنا في صورة الملك الطيب العادل، الذي أحبه شعبه وأيده والتف حوله، فيذكر أن الألكندر بعد أن دخل إيران، وجه رسالة إلى عظماء إيران طالبهم فيها بالانضمام تحت لوائه، والدخول في طاعته، وعدم عصيانه كما أمر بأن تسك النقود باسمه⁽⁷¹⁾.

ولما جلس على عرش إيران، توافدت الناس من كل ناحية لتهنئته، فقال لهم:

"إننا لا نريد خراجا من بلاد العالم لمدة خمسة أعوام، إلا ممن يكون خصما لنا".

وسأمنح الفقراء عطايا كثيرة، ولن نريد من الأغنياء شيئا"⁽⁷²⁾.

فسعد الإيرانيون بما قاله، وأثنوا على ملك العالم العادل⁽⁷³⁾.

(70) نفس المرجع: ص 438:

| | |
|--------------------------|-------------------------|
| جوديند ايرانيان كوجه كرد | بزارى بران شاه آزاد مرد |
| كرفتند يكسر برو آفرين | ورا خواندند شهریار زمين |

(71) الفردوسي: الشاهنامه، ج 3، ص 439.

(72) نفس المرجع: ج 4، ص 1 =

| | |
|--------------------------|-----------------------------|
| =نخواهم باز جهان بنج سال | جزاز آنکه كويد كه هستم همال |
| بدرويش بخشيم بسيار جيز | زدارنده جيزي نخواهم نيز |

(73) الفردوسي: الشاهنامه، ج 4، ص 1:

زواج الأسكندر من روشنك:

وبعد ذلك أوفى بعهده وأرسل رسالة إلى روشنك ابنة دارا، ليبلغها أنه سينزوجها يقول فيها:

"لقد أودعك والدك لي، ورحل بعد ذلك، وخمل معه الاسم الطيب الذكر.
وعندما تأتي داري وقصري، ستجدين أنك ضالتي المنشودة في الدنيا.
فأنت أجمل النساء، وزينة العرش وأنت الضياء للعظمة والشهرة
والسعادة.

ووفق تقاليد أبناء الملوك عليك أن تحضري بصحبة رجال الدين
الموجودين بأصفهان.

فستكونين مصدر السرور والبهجة في بيتنا، فأنت أجمل النساء في
ملكتنا.

فيلحق لك الفلك العالي كل اتتمنيه، وليباعد بينك وبين الأعداء، وليحفظ
من كل سوء" (74).

| | |
|---------------------------|------------------------|
| از ايسران برآمد يكي آفرين | بران دادگر شهریار زمين |
|---------------------------|------------------------|

(74) نفس المرجع، ص 2-3.

| | |
|--------------------------|----------------------------|
| بدرمر ترا بيش مارا سيرد | وزانيس شد ونام نيكي بيرد |
| جواني شيبستان ومشكوى من | به بيئي توباشي جهان جوى من |
| سر بانواني وزيباي تخت | فروزنده فره ونام وبخت |
| بر آئين فرزنده شاهنشاهان | به بيش اندرون موبد اصفهان |
| بمشكوى ما ياش روشن روان | توئى در شيبستان سر بانوان |

فلما وصلت الرسالة إلى روشنك، سرت لسماع هذا الكلام، واطمأن قلبها⁽⁷⁵⁾.

ثم استدعى الأسكندر بعد ذلك أمه من بلاد اليونان، وطلب منها أن تذهب إلى روشنك لتحضرها، وتأخذ معها الحلى والمجوهرات وتاجا مرصعا بالجواهر الثمينة لها، ومقدار ثلاثين ألف دينار ودرهم لتنثرها عليها، وتصطحب ثلاثمائة جارية رومية، وتعطي كل واحدة منهن كأسا تمسكه في يدها وفق عادات الملوك، كما أوصاها ألا تتخلى عن شيء من عادات ورسوم الملوك⁽⁷⁶⁾.

وهكذا نفذت أمه كل ما كلفها به، ثم بدأت في الرحيل، مصطحبة معها المترجمين وعشرة من الفلاسفة أحاب اللسان العزب، وعندما اقتربت من اصفهان، استقبلها حشد كبير من عظمائها.

ثم رجعت وبصحبته روشنك إليه في موكب جميع يصفه الفردوسي فيقول:

طلب الموابدة أربعين مهذا من الحضرة وزينوها.

وجلست روشنك مسرورة في هودج وبصحبته الخدم.

ومن قصرها حتى منتصف الطريق نثرت عليها الجواهر والدنانير وسارت الخيول والجند وراءها.

وزينوا المدينة بالزينات وامتألت بالأفراح.

وغطوا هودجها بالدبياج الرومي، وعطروا صدرها بالمسك الصافي.

وعندما دخلت الحساء الجميلة بلاط الأسكندر، نظر إليها عدة نظرات ولما أجلستها أمه على كرسي العرش الذهبي، فتن الأسكندر بها⁽⁷⁷⁾.

| | |
|---------------------|------------------------------|
| بکام توکرد جرح بلند | ز دشمن تفت دور ود ور از کزند |
|---------------------|------------------------------|

(75) الفردوسي: الشاهنامه، ج4، ص2-3.

(76) نفس المرجع: ص4.

(77) الفردوسي: الشاهنامه، ج3، ص5:

ذهاب الإسكندر إلى الهند:

أما الجزء التالي عن الشاهنامه والذي يبدأ بذهابه إلى الهند فقد غلبت عليه الأساطير والخرافات، كذلك لم يصور الفردوسي لنا فيه معركة من المعارك التي دارت بينه وبين سكان البلاد التي فتحها، بقدر ما اهتم بذكر أن الإسكندر كان يرسل رسالة إلى ملك البلد التي يريد فتحها يهدده ويتوعده فيها، ويذكره بانتصاراته والملوك العظام الذين أطاح بهم، فكان الملك يخاف، ويرسل له الرد بالدخول في طاعته، وتنفيذ أوامره، وإرسال ما يريد به إليه.

وكان أول حديث الفردوسي عند (كيد) ملك الهند، فنكر أن كيد رأى مناما لمدة عشرة أيام متتالية، فجمع المفسرين وقص عليهم كل ما رآه في هذه الليالي، ففسروه له بأن الإسكندر سيأتي إلى بلاده لغزوها⁽⁷⁸⁾.

وكان الإسكندر قد أعد جيشا وسار به حتى نزل في مدينة بالقرب من الهند، وأرسل له رسالة شديدة اللهجة يتوعده ويقول:

| | |
|---------------------------|------------------------------|
| ازايوان برسنتد كان خواستد | جهل مهد زرين بيارا ستد |
| يكي مهد بساجتر وباخادمان | نشست اندرو روشنك شادمان |
| زكاخ دل آري تائيم راه | كهر بود دينار واسب وسياه |
| بيستد آدين بشهر اندرون | براز خنده لباها ودل بر زخون= |
| =بران جتر ديبا نرم ريختد | زبر مشك سارا همي بيختد |
| جوماه اندرآمد بمشكوي شاه | سكندر بدو كرد جندي نكاه |
| جومادرش برتخت زرين نشاند | سكندر بروبرهمي جان قشاند |

⁽⁷⁸⁾ الفردوسي: الشاهنامه، ج4، ص6.

انظر الحلم وتفسيره: ص 6-11.

من الأسكندر البطل المنتصر رب السيف والتاج والعرش، إن كل ملك مظفر حين أراد مقاومتنا، لقي عقابه.

ثم واصل الحديث فقال:

وعلم أننا أصحاب العرش وأنا الفاتحون المنتصرون.

لهذا فأنا أكتب لك رسالة لتتبر بصيرتك المظلمة.

وعندما يقرأها كاتبك لا تتأخر ولا تفكر.

وإذا حل الليل لا تنتظر النهار ونفذ أوامري في سرعة.

فلو خالفتها فأنني أطيح برأسك وتاجك وعرشك⁽⁷⁹⁾.

فرد عليه كير برسالة ود، كما أهدها أربع هدايا تعد من عجائب الدنيا ويصف هذه الهدايا فيقول:

لي أئنة جميلة لا أظهرها، لأن الشمس العالية لو رأتها ستغيب أمام جمال محياها، وذؤابتها فح بلونها الأسود، وتنعيث من فمها رائه اللبن، وتثنني

(79) نفس المرجع: ص 11-12:

| | |
|------------------------------|-----------------------------|
| زاسكندر راد بيروز كر | خداوند شمشير وتاج وكمر |
| وزانيس جنين كفت هو شهريار | كه باشد ورا بخت بيروز يار |
| بداند كه ما تخت را مايه ايم | جهاندار بيروز را سايه ايم |
| نوشتم يكي نامه نزديك تو | كه روشن كند جان تاريك تو |
| مر آن را جو برتو بخواند دبیر | منه يسيش دير وسكالش مكير |
| اكر شب رسد روشني رامبناي | هم اندر زمان سوى فرمان كراي |
| وكر بكذري زين سخن نكدرم | سر وتاج وتختت به بي بيرم |

شجرة السرو أمام قامتها، وتنتثر الدر عندما تتكلم، ويذهب العقل من جمال محياها، فيسرد الحكايات عنها، وحدائتها سبب خجلها، فلم ير شخص مثلها على مر الزمان.

ثانيًا: لدى كأس سواء ملاءته بالخمير أو بالماء البارد، لا ينقص منه الشراء فالخمير لو ظل في يد الندماء عشر سنوات يبقى كما هو كذلك من العجيب أنه يسقيك الخمر ويسقياء الماء البادر ولا ينقص من الشراب.

ثالثًا: عندي طبيب صغير ماهر يعرف الداء من رؤيته لدموع العين، ولو مكث سنين في بلاط الملك المظفر، فلن يشكو الملك من أي داء مطلقًا.

رابعًا: وعندي فيلسوف من الفلاسفة، يستطيع أن يحدث الملك عن جميع الموجودات سواء عن الشمس الدائرة أو القمر المنير⁽⁸⁰⁾.

(80) الفردوسي: الشاهنامه، ج4، ص 13:

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| وزان بس فرستاده را شاه گفت | که من دختری دارم در نهفت |
| که کر بیندش آفتاب بلند | شود تیره از روی آن ارجمند |
| کمند است کیسوش همرنگ قیر | همی آید ازد و لیش بوی شیر = |
| =خم آرد زبالای او سرور بن | در افشان کند جون سراید سخن |
| ز دیدار و جهرش خردبک زرد | همی داستان را خود برورد |
| جوخامش بود جای شرمست و بس | جوا و در زمانه ندید ست کس |
| یکی جام دارم که برمی کنی | وگر آب سرد اندرو افکنی |
| بده سال اگر با ندیمان بهم | نشینی نکردد می از جامن کم |
| همت می دهد جام و هم آب سرد | شگفت آنکه کمی نگیرد ز خورد |

فأرسل الأسكندر عشرة من رجاله لرؤية هذه العجائب. واحضارها، ثم عفا عنه.

ويبدو أن هذه القصة هي إحدى الأساطير الإيرانية الهندية المتداولة بين الشعبين، حيث اتصلت الثقافتان قديما واختلطت الأساطير الإيرانية بالأساطير الهندية، ووجد الفردوسي الفرصة سانحة فنظمها وربط بينها وبين الأسكندر⁽⁸¹⁾.

ثم يذكر الفردوسي لنا قصة أخرى يظهر فيها مهارة الأسكندر الفردية في المبارزة والقتال، فيحكي أن الأسكندر واصل سيره في الهند، حتى وصل إلى مدينة قنوج، فنزل بها، وأرسل إلى قائد هندي اشتهر بشجاعته ويدعى (فور) رسالة مملوءة بالتهديد والوعيد، فلما قرأ فور الرسالة، تعجب من أمر الأسكندر، وأرسل له ردا عنيفا، أشعل نار الحرب⁽⁸²⁾.

فما كان من الأسكندر إلا أنه توجه على رأس جيش كبير جرار لمحاربتة، وقد انتهى القتال بينهما بمقتل فور على يد الأسكندر، بضربة قاضية من سيفه، يصفها الفردوسي فيقول:

تقدم الأسكندر في سرعة خاطفة، وأطلق من جعبته سهما نافذا على ذلك الرجل الشجاع.

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| سوم آنكه دارم يكى نويزشك | كه علت بكويد جويند سرشك |
| اكر باشد او ساليان بيش كاه | زردى نبيجد جهاندار شاه |
| جهارم نهان دارم از انجمن | يكى فيلسوفست زديك من |
| همه بونيهها بكويد بشاه | زكر دنده خورشيد ورخشنده ماه |

⁽⁸¹⁾ البنداري: الشاهنامه: ترجمة د. عبد الوهاب عزام، ج1، ص31. انظر اللحم وتفسيره مترجما 21 العربية في كتاب من روائع القصص في الأدب الفارسي تأليف زهراي خانلري كيابور ويزنا ثرخانلري، تعريب الدكتور أمين عبد المجيد، طبع القاهرة.
⁽⁸²⁾ الفردوسي: الشاهنامه، ج4، ص 20-21.

فأنفصل رأسه عن جسده، وسقط على الأرض⁽⁸³⁾.

ثم يشيد الفردوسي بخلق الأسكندر النبيل، وتعاطفه مع شعوب البلاد التي يفتحها، حيث كان يدخل البلاد من أجل حبه للفتح، وليس من أجل البغى وجمع المال، والسلب والنهب، فيذكر أن قواد الهند ذهبوا إليه بعد وفاة فور، وهم في حالة من القلق الشديد، فطيب خاطرهم، وقال لهم:

لقد مات فور الهندي، فلا يجب أن نتركمم لأحزانكم.

وسأمنحكم عطايا كثيرة الآن، وأنزع الحزن والخوف من قلوبكم.

وأوزع عليكم كنوزه، فهي محرمة على جيشي./

وسأجعل كل النهود أغنياء، وكأن كان منكم صاحب عرش وتاج⁽⁸⁴⁾.

ثم أجلس بطلا هنديا كبيرا من أصل عريق على العرش، ويدعى (سورك)، ونصحه بعدم تبديد الأموال.

يقول الفردوسي:

(83) نفس المرجع: ص26:

| | |
|---------------------------|--------------------------|
| سكندر جو باداندر آمد زکرد | بزد تيز تيغي بران شيرمرد |
| بيريد بال وسر وكر دنش | زيالا بخالك اندر آمد تنش |

(84) الفردوسي: الشاهنامه، ج4، ص27:

| | |
|---------------------------|----------------------------|
| جنين كفت كر فور هندي بمرد | شمارا بغم دل بنارد سيرد |
| نوازش كلون من باقزون كنم | زد لتان غم و ترس بيرون كنم |
| بيخشم سراسر همه كنج اوى | حرامست بر لشكرم رتج اوى |
| همه هندوانرا توانكر كنم | بكوشم كه باتخت و افسر كنم |

ولاه العرش ونصحه قائلاً: لا تبدد الأموال وتنفقها في الخفاء⁽⁸⁵⁾.

زيارة الأسكندر للكعبة:

ويذكر الفردوسي بعد ذلك أن الأسكندر دعاه هاتف إلى ضرورة زيارة الكعبة، فتوجه إليها، فقابله هناك رجل يدعي (نصر بن قتيب)، وشكى له ظلم بني خزاعة، فما كان من الأسكندر إلا أن قضى عليهم، وخلص بلاد الحجاز واليمن من ظلمهم، ثم توجه إلى البيت الحرام، فسعد بنو اسماعيل بقدمه⁽⁸⁶⁾.

وقد أراد الفردوسي من ذكره للكعبة، أن يصور الأسكندر للقارئ ملكاً مؤمناً موحداً بالله عادلاً يرفع الظلم عن المظلوم، حيث لم يثبت تاريخياً أن الأسكندر توجه إلى بلاد الحجاز أو اليمن مطلقاً.

عودة الأسكندر إلى مصر:

ويذكر الفردوسي أيضاً أن الأسكندر توجه من جدة إلى مصر، فاستقبله حاكمها بحشد كبير وبالمال والتاج، فسعد الأسكندر بهذا الاستقبال، ومكث شهراً في مصر، ليستريح هو وجيشه⁽⁸⁷⁾.

ذهاب الأسكندر إلى بلاد الأندلس:

ثم أرسل الأسكندر وهو في مصر رسالة شديدة اللهجة إلى ملكة بلاد الأندلس، وتدعى (قيدافه)⁽⁸⁸⁾ يطالبها بالخراج يقول فيها:

عندما تصلك رسالتي سيتفتح ذنك المظلم.

فعليك أن ترسلي لنا الخراج، واعلمي أنه لا طاقة لك بتا.

⁽⁸⁵⁾ نفس المرجع ونفس الصفحة:

| | |
|-------------------------|---------------------------|
| سر تخت شاهي بدوداد وکفت | که دینار هرگز مکن در نهفت |
|-------------------------|---------------------------|

⁽⁸⁶⁾ الفردوسي: الشاهنامه، ج4، ص 28-29.

⁽⁸⁷⁾ نفس المرجع، ص 29.

⁽⁸⁸⁾ تذكر الملكة قيدافه في الروايات اليونانية باسم (كندكه)، وكتبت في العربية (قيدافه)، ويبدو أن الفردوسي قد تأثر بما ورد في العربية.

وإذا قاومتينا لن تجدي الا عقاب الزمان القاسي.

وخذي عبرة، مما لحق بدارا وفور⁽⁸⁹⁾.

فردت عليه برسالة تقول فيها:

لقد تحقق لك النصر على فور الهندي، ودارا وأبطال السند، فانتصرت عليهم وأطحت برؤوسهم.

وأنت تصعني الآن على قدم المساواة معهم، وتلبس تاج النصر.

لكنتي أفوقهم عظمة وجاها وجيشا وثروة ملكية.

فلدي جيش كبير، يفوق جيش أي ملك.

فلو استدعيته من كل جهة، لن يوجد موضع للجلوس في هذا المكان⁽⁹⁰⁾.

⁽⁸⁹⁾ الفردوسي: الشاهنامه، ج4، ص 30:

| | |
|---------------------------|---------------------------|
| جو این نامه آرند نزدیک تو | در خشان شود رای تاریک تو |
| فرستی بنزدیک ما باز و ساو | بدانی که باماترا نیست تاو |
| وگر هیچ تاب اندر آری بکار | نیینی جزاز گردش روز کار |
| جواندازه کیری زدارا وفور | خود آموز کآرت نیاید زدور |

⁽⁹⁰⁾ الفردوسي: الشاهنامه، ج4، ص 31:

| | |
|--------------------------|--------------------------|
| ترا کرد فیروز برفور هند | بدارا و بر نامداران سندن |
| به بیروزی اندرسرت کشت کش | ازان نامداران شمشیر کش |
| مرا باجوایشان برابر نهی | بسر برز فیروزی آسرنهی |
| مرا زان فروست فر ومهی | همان لشکر و کنج شاهشهی |

فلما وصلت هذه الرسالة إلى الإسكندر، توجه على رأس جيش إلى بلاد الأندلس. ولما وصل هناك ذهب إلى الملكة قيدافة متكررا في زي رسول يرافقه عشرة من كبار رجاله.

وقال لهم:

فلنتوجه الآن ولا تتادوني إلا بـ "تطيقون"⁽⁹¹⁾.

لكن الملكة قيدافة استطاعت أن تتعرف عليه، ووجهت إليه نصيحة

فقال:

أيها الملك العظم لا تحدر رأسك عن الشهامة والمروءة، فليس قتل فور الهندي، ودارا بن داراب وعظماء السند دليلا على عظمتك وقدرتك، لأنه لو عاد الدهر يوما بعظماؤه، لكان نصيبك منه أكبر، وأنت تقول: انسى خبير وعليم بأمور الدنيا، وأنا لا أرى قولك صحيحا، فأين ذهبت خبرتك وفطنتك، فتأتي متكررا كالأفعى، إنك تحيك لنفسك الكفن وأنت شاب بقدمك متكررا في شكل رسول، ولكن ليس مذهبي أراقة الدماء وقتل العظماء، لأن أي ملك لا يكون قادرا إلا بأعماله، ولا يكون عالما إلا ببسط العدل وأعلم أن أراقة دماء الملوك، لن تجلب في النهاية إلا إشعال النيران، فأمن وعد مسرورا، وغير أسلوبك هذا بعد عودتك، ثم تعال هنا برسول، ويعرفك بأنك الإسكندر، وطالما أنني أناديك الآن بـ "تطيقون" فأنتني مضطرة إلا إجلاسك بعيدا عني، وأعلم أنه لن يعرف شخص سرك ولن يسمع أيضا أسمك أو صوتك، وها أنا أجهلك تعود إلى بلادك على خير، فيجب أن تكون عند حسن ظني، وتأخذ على نفسك عهدا بالألا تضمير السوء لابنائي وأقاربي وبلادي، وأن تجعلني ندا لك⁽⁹²⁾.

| | |
|---------------------------|----------------------------|
| كه برهر سرى شهر يارى سرست | هزاران هزارم بدر لشكرست |
| نماند برين بوم جاى نشست | وكر خوانم ازهر سوئى زيردست |

⁽⁹¹⁾ نفس المرجع، ص 33.

⁽⁹²⁾ الفردسي: الشاهنامه، ج 4، ص 37-38.

فلما سمع الأسكندر هذا الكلام، سر وأمن السوء والقتل، وأقسم لها، بأن لن يفعل إلا الخير والصواب، ولن يفكر في السوء والعدوان، ثم تصالح معها، وصادر البلاد هو وجيشه، متجها إلى مدينة برهمن⁽⁹³⁾.

ويبدو أن الفردوسي كان يقصد ببلاد الأندلس التي تحدث عنها بلاد الجزيرة من السودان المصري، وذلك لأنه يعرف في التاريخ منذ عهد بعيد أن ملكات هذه البلاد كن يسمين (كنداسة) نسبة إلى الأسرة التي ينتسبن إليها، وقد كشفت الحفائر عن وجود مقابر لهؤلاء الملكات⁽⁹⁴⁾.

والواضح هنا ان اسم كنداسة قريب الشبه حدا من (كندكه) في اليونانية، أو (قيدافه) في العربية، هذا بالإضافة إلى أنه لم يثبت تاريخيا، أن الأسكندر توجه إلى بلاد الأندلس.

ذهاب الأسكندر إلى مدينة برهمن:

وتختلط الأساطير بالخرافات، فيذكر لنا الفردوسي أسطورة كان هدفه منها إبراز شجاعة الأسكندر النادرة، وإضفاء لمحة إسلامية عليه وعلى جنوده من خلالها.

وتحكي هذه القصة أن الأسكندر وصل من مدينة برهمن إلى مكان فرأى بحرا عميقا واسعاً لا نهاية له، ورجالا يلبسون ثيابا كالنساء، ويتزينون ويتطيبون ويتحجبون، ولغتهم ليست عربية ولا رومية ولا تركية ولا بهلوية، وغذاؤهم يعتمد كله على الأسماك، ولا يوجد طريق في هذا المكان، وفجأة ارتفع جبل من الماء متلألاً وساطعا كالشمس، فرأى الأسكندر من الصواب أن يعد سفينة بسرعة، فقال له أحد الفلاسفة ليس لك طريق في هذا البحر العميق فانتظر حتى يراها شخص يكون لديه قدر من المعرفة، فجلس ثلاثون رجلا من الروم والفرس، وقفزت سمكة صفراء اللون من ذلك الجبل وسط الجماعة، فغاصت السفينة في الماء بسرعة هائلة ولم يبق لها أثر، فتعجب جند الأسكندر مما حدث، وذكر كل منهم اسم الله⁽⁹⁵⁾.

⁽⁹³⁾ الفردوسي: الشاهنامه، ج4، ص 38-46.

⁽⁹⁴⁾ البنداري: الشاهنامه، ترجمة د. عبد الوهاب عزام، ج2، حاشية ص 11-12.

⁽⁹⁵⁾ الفردوسي: الشاهنامه، ج4، ص 49.

ذهاب الأسكندر إلى الحبشة:

ثم يذكر الفردوسي واقعة غير تاريخية لكنها من نسج خياله أراد منها
أظهار مهارة الأسكندر وجيشه القتالية الفائقة فذكر أن الأسكندر اتجه بعد ذلك
إلى الحبشة، بعد أن أمر جيشه بحمل أدوات القتال، فيقول:

تقدم الأسكندر وجيشه لمحاربة الأحباش كالأسد المفترس.

فقتلوا منهم ما يزيد على الأف، وجرحوا كثيرين.

فجرت الدماء بغزارة على الأرض كأنها بحر الصين.

وارتوت بها، وتراكت جثث القتلى في كل مكان.

فأمر الأسكندر بإلقاء الأخشاب عليها، وإشعال النار فيها⁽⁹⁶⁾.

وقد بالغ الفردوسي هنا في تصوير شجاعة الأسكندر وجيشه في القتال،
ولكنه إلى جانب ذلك أظهر الأسكندر في صورة المستعمر الباغي الذي ينكل
بأعدائه، وهذا يتنافى مع الصورة التي رسمها للأسكندر في منظومته الشاهنامه،
وهي صور البطل المنتصر والملك الفاتح العادل المؤمن الموحد بالله.

(96) الفردوسي: الشاهنامه، ج4، ص 50-51:

| | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| برهنه بجنك اندر آمد جيش | غمى كشت ازان لشكر شيرفش |
| بکشتند از ايشانت فزون از هزار | به بيجيد ديگر سر از کار زار |
| ز خون ريختن کشت روی زمين | سراسر بگردار درباي جين |
| جواز خون درو دشت آوده کشت | ز کشته بهر جاي بر توده کشت |
| بران توده خاشاکها بر زدند | بفرمود تا آتش اندر زدند |

ذهاب الأسكندر إلى مدينة نوم بايان:

ويذكر الفردوسي أسطورة أخرى فيقول: أن الأسكندر اتجه بعد ذلك إلى مدينة (نوم بايان)، فلما اقترب منها رأى أناسا لا حصر لهم قد ولوا وجوههم صوبه لقتاله بقلوب مملوءة حقدا وكرهية، فقاتلهم جيش الأسكندر، وقضى على معظمهم، ويصف الفردوسي مهارة جيش الأسكندر في القتال فيقول:

عندما اقترب الجيش منهم، أظلمت الدنيا في مدينة نرم بايان.

وشدد عليهم حاملو الأحجار القذف مثل رياح الخريف عندما تطيح بأوراق الشجر.

وأغار الجند بالسيوف والسهام، فصار النهار المضيء مظلمًا.

ولما قضى عليهم استراح الأسكندر وانصرف بالجيش⁽⁹⁷⁾.

ومرة أخرى تختلط الأساطير بالخرافات فيذكر الفردوسة لنا أسطورة يصور فيها شجاعة الأسكندر ونكاؤه فيقول:

أن الأسكندر واصل سيرة حتى وصل هو وجيشه إلى مدينة واسعة لا حدود لها فرأى جبلا شاهق الارتفاع وكأنه يناطح السحاب، ووجد على ذلك الجبل حية، سمها فانتك بالناس، فلم يستطع الجيش أن يمر بجوارها، لأن رذاذ

(97) الفردوسي: الشاهنامه، ج4، ص 51:

| | |
|-----------------------------|------------------------------|
| جهان كشتت بر نرم بايان سپاه | جو تنك اندر آمد بدیشان سپاه |
| جوباد خزان برزند برد رخت | يكى سلك باران بكرند سخت |
| توكفتى كه شد روز روشن سپاه | به تيغ وبه تير اندر آمد سپاه |
| سكندر بياسود و لشكر براند | جواز نرم بايان فراوان ناند |
| بفرمود تا آتش اندر زدند | بران توده خاشاكاها برزند |

يرتفع عاليا حتى القمر، فيخرج متوهجا من فمها كالنيران المشتعلة، وهي في ضخامة الغيل ولها ذؤ ابتان هما الفخ لفريستها، وتأكل كل ليلة خمس أبقار وأهل المدينة لا طاقة لهم بها، فأمر الأسكندر جنود، بأن يطلقوا سهمها نافذا عليها فتفتست تلك الحية الضخمة نفسا، تألم الكثير بسببه، فأمر الأسكندر بدق الطبول وإشعال النيران في كل ناحية، فلما امتلأ الجبل بأصوات دق الطبول، خافت الحية وتراجعت، فأعطى الأسكندر نقودا لأحد قواده، ليحضر خمس بقرات ويذبحها ويسلخ جلدها، ثم يدهن أجسادها بالسّم والزيت، ويلقيها أمام الحية، وفي لحظة ماتت الحية، وخلص الله تعالى بفضل حكمة الأسكندر وذكائه الناس من بلائها(98).

ذهاب الأسكندر إلى مدينة الروم:

ويذكر الفردوسي قصة يبرز فيها للقارئ هدف الأسكندر من فتح بلاد العالم يقول فيها:

أن الأسكندر اتجه وبصحبه قواد الروم إلى مدينة تسمى (هروم) تسكنها النساء، ولما وصل إليها أرسل إليهن رسالة يقول فيها:

إن كل شخص حكيم بصير عاش عمرا طويلا في هذه الدنيا.

قد سمح بما فعلناه في الأرض، وعن كل عظيم أظننا به.

فكل من يخرج عن طاعتنا، لن يجد إلا الهلاك.

فأنا أريد أن أرى كل مكان في العالم بحيث لا يوجد أي مكان في العالم

خافيا على.

لذلك فإنني لا أسع من أجل الثروة والمال، بل أسعى من أجل المعرفة.

وحينما جئت إليكن جئت من أجل السلام لا الحرب.

فعدتما تقرأ أي امرأة حكيمة منكن هذه الرسالة.

(98) الفردوسي: الشاهنامه، ج4، ص 51-53.

فيجب ألا تعارض في مجيئ، فلن يلحق هذا المجيء الضرر بأي
 منكن⁽⁹⁹⁾.

وقد كتبنا له رد هذه الرسالة وأرسلته مع رسوله منهم يقلن فيه:

إنك لو جئت بجيشك إلى مدينة هروم لن ترى حدودها.

لأن لمدينتنا ضواحي كثيرة لا حصر لها، وفي كل واحدة منها عشرة
 آلاف امرأة.

وطوال الليل نقف مستعدات للقتال، ولكن لا نحب الإغارة على غيرنا.
 ولن تجد في أي ناحية تذهب إليها من هذه المدينة إلا بحرا عميقا لن ترى
 حدوده.

ويجب عليك أن تعبره، سواء كانت حالة الطقس طيبة أم سيئة.

وكل منا في وقت القتال تصيح فارسا مقداما.

⁽⁹⁹⁾ الفردسي: الشاهنامه، ج4، ص 54.

| | |
|------------------------------|-------------------------------|
| جهان را بعمري همس بسيزد | هر آنکس کله دارد روانش خرد |
| سر مهتری بر کجا برده ایم | شنید آنکه ما در زمین کرده ایم |
| نهالی جزاز خاک تیره نیافت | کسی کوزفرمان ما سر بتافت |
| که دیدار آن باشد از من نهان | نخواهم که جایی بود در جهان |
| من از بهر دانش بدردم همی | ز بهر فزونی نکردم همی |
| بدل آشتی دارم و رای بزم | جو آیم مرا باشما نیست رزم |
| هر آنکس که هست از شما ارجمند | جو بر خواند این نامه بند مند |
| کزین آمدن کس نبیند زیان | به بندید پیش آمدن را میان |

وأیضا لدينا جيش يتكون من ثلاثين ألف امرأة يكسبن التيجان الذهبية
والمجوهرات.

یفتکن بالأعداء فی یوم القتال وینکلن بهم.
وأنت رجل عظیم ولك شهرتك، فلا تلطخ اسمك بالعار.
فلو جئت وبرفتك أبطال الروم إلى مدينة هروم.
قاصدا السلام والود، لن تجد إلا الحفاوة والترحيب.
وأن جئت أيها الملك عازما الحرب والقتال.
سیتصدی لك جيش كبير جرار یعتم الشمس والقمر⁽¹⁰⁰⁾.

(100) الفردسی: الشاهنامه، ج4، ص 55-56:

| | |
|----------------------------|------------------------------|
| أكر لشكر آری بشهر هروم | نه بینی زعل وزبی روی بوم |
| بی اندازه در شهر ما برزنست | زهر فزونى به نك اندریم |
| زهر سوکه آتی براین بوم ویر | بجز زرف دریا نبینی کذر |
| بباید کد شتن بدریای زرف | اگر خوش بود روز اکر باد ویرف |
| زما هرکه در روز کار نبرد | زاسب اندر آرد یکی شیر مرد |
| همانا زما زن برد سی هزار | که با تاج زرد ویاکو شوار |
| که مردی زکرد روز جنک | زجنکال او خاک شد بیدرنک |
| تو مرد بزرگی ونامت بلند | در نام برخویشتن بر منبد |
| جو خواهی که بانامداران روم | بیائی بگردی بگرد هروم |
| جویا راستی باشی مردمی | نه بینی جزاز خوبی وخرمی |

فلما قرأ الأسكندر الرد قال:

إنني لم أجيء لمحاربة النساء، بالفيلة والطبول والفرسان بل جئت لمشاهدة مدينتكن، ولكن حق قبول زيارتنا أو رفضها⁽¹⁰¹⁾.

وعندما وصل إلى مدينة هروم، خرجت النساء لاستقباله حاملات التيجان والثياب والجواهر والطيب، فرحب بقدمهن. ولما طلع النهار دخل المدينة وتفقدتها، وسألهن عن كل شيء رآه، وشاهد البحر، ثم توجه بجيشه صوب الغرب⁽¹⁰²⁾.

ذهاب الأسكندر إلى الظلمات:

ويكمل الفردوسي حديثه فيذكر أن الأسكندر أثناء سيره وصل إلى ضاحية كبيرة، يسكنها ناس وجهاء، وجوهم حمراء اللون، وشعرهم أصفر، ويبدو عليهم جميعا أنهم أبطال حرب، فأمرهم الأسكندر بأن يصفوا أمامه، وسألهم عن العجائب التي لديهم، فأجابه رجل عجوز قائلا: "أيها الملك الشجاع السعيد الحظ توجد عين ماء عند حدود المدينة لم نر شخصا عندها، وتختفي الشمس الساطعة فيها حين تصل عندها، فتصبح الدنيا حالكة في السواد، ويصير الظاهر خفيا، وقد سمعت كلاما كثيرا عن ذلك المكان، وهو أنه لا يمكن مطلقا إدراك قاعها ويوجد رجل عابد يقول أن ماء تلك الينبوع تسمى ماء الحياة، والشخص الذي يشربها ينعم بالجنة، فأعمل جسدك بها ليظهر من الذنوب، فسأله

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| وكر جزيرين باشي أي شهريار | به بيجي زما در صف كارزارا |
| به بيش نو آريم جندان سبياه | كه تيره شود روى خورشيد وماه |

⁽¹⁰¹⁾ الفردوسي: الشاهنامه، ج4، ص56:

| | |
|----------------------------|----------------------------|
| ته من جنگ را آمد م با زنان | به بيلان وكوس وفيبره زنان |
| مرا راى ديدار شهر سماست | كر آئيد نزيديك ما هم رواست |

⁽¹⁰²⁾ نفس المرجع، ص 57-58.

الأسكندر عن كيفية الوصول إلى الظلمات، فأجابه قائلاً: يجب أن تمتطى سهراً، فأمر الأسكندر بإحضار حصان قوي، وأختار عشرة آلاف بطل من أبطال الحرب، ثم سار حتى وصل إلى مدينة كبيرة لا حدود لها، وكل شيء فيها يبدو واسعاً، ومملوءة بالحدائق والميادين والقصور، فنزل بها في وقت الفجر، ثم توجه إلى ينبوع الماء بمفرده وانتظر هناك حتى سطعت الشمس، وهبطت في ذلك الينبوع، فتعجب لقدرة الخالق، ورجع إلى جنوده بأفكار وتساؤلات كثيرة تسيطر على عقله، وظل أكثر من أربعين يوماً مضرباً عن الطعام، حتى بدأ دخان يدعو للعجب، فأرسل جنوده إلى ذلك المكان، فتقدم أحدهم، ثم تراجع، وكان للأسكندر مستشار يسمى (الخضر) فاستدعاه الأسكندر، ووضع ثقته فيه وقال لما يها الرجل الحكيم لي رغبة شديدة في أن أحضر حفنة من ماء الحياة، فإن الكثيرين سيقبلون على عبادتها، فلن يموت شخص لأنها واهبة للروح وسليماً لها الملحد عن طريق العمل، فرد الخضر على الأسكندر قائلاً: لدى مطرقتان عندما تريان الماء، تتيران الليل المظلم كالشمس الساطعة، فخذ أحدهما وتقدم، وكن حامياً لنفسك، أما الثانية فستتير لي وللجنود الطريق إلى الظلمات، وأنت قائدي ومرشدي للطريق حتى نصل إلى الماء، وساروا يومين متتاليين ليلاً ونهاراً، لم ينق أحد طعاماً خلالهما وفي اليوم الثالث ظهر طريقان وسط الظلمات، فضل الأسكندر الطريق، بينما وصل الخضر إلى ماء الحياة، وكشف سر الحياة في الدنيا، واغتسل بذلك الماء النقي، ولم يفكر إلا في الله، ثم أكل واستراح، ورجع مسرعاً وهو يزيد في المدح والثناء على الخالق.

أما الأسكندر فخرج إلى النور، فرأى جبلاً عالياً متلألاً، وحينما اقترب منه شاهد (إسرافيل) ينفخ في الصور، فلما أبصر إسرافيل الأسكندر ناداه قائلاً:

أيها العبد لا تكن طماعاً هكذا، فسوف تسمع ذات يوم صوتاً.

يقول لك: أعد نفسك للرحيل عن هذه الدنيا، واعط العرش والتاج لغيرك⁽¹⁰³⁾.

(103) الفردسي: الشاهنامه، ج 4، ص 61.

والواضح هنا أن الفردوسي قد تأثر في حديثه عن ذهاب الأسكندر إلى الظلمات بالقصة العربية المتأثرة بقصة موسى والخضر التي وردت في القرآن الكريم، ولم يتأثر بالقصة اليونانية، لأنها اختلفت في الحدث، كما أن القصة اليونانية ذكرت أن كاليستنس كان مستشاره في هذه الرحلة وليس الخضر كما ذكرت القصة العربية⁽¹⁰⁴⁾.

بناء الأسكندر سدًا يأجوج ومأجوج:

ثم ينتقل الفردوسي إلى أسطورة أخرى، يؤيد فيها رأي بعض المفسرين المسلمين في أن الأسكندر هو ذو القرنين الذي ورد ذكره في القرآن الكريم فيقول أن الأسكندر اتجه صوب الغرب، فرأى مدينة في الطريق غاية في النظافة وكان العواطف لم تهب عليها مطلقاً، فلما وصل إليها استقبله العظماء على ظهور الأفيلة على مسافة ميلين، فلما رآهن الأسكندر رحب بهم في تعال وكبرياء، وسألهم هل لديهم عجائب لم ير مثلاً، فاشتكوا له من فعل الزمان قائلين: "لدينا مشكلة صعبة جداً، فهذا الجبل العالي الذي يناطح السحاب، مصدر التعب والألم والبلاء لنا، فهو الشيء الذي لا طاقة لنا به، فبسبب قوم يأجوج ومأجوج لا يهنا لنا نوم ولا بال، فعندما ما يغيرون على مدينتنا، يصيبنا الغم والبلاء، فجميعهم أصحاب وجوه تشبه وجه الجمل، وأسنتهم سوداء وعيونهم حمراء بلون الدم، ووجوههم سوداء اللون، وأسنانهم طويلة وكبيرة مثل الحراب، وأجسادهم مغطاة بالشعر، وصدورهم وأنتديتهمك وأذنانهم ضخمة في حجم الفيل، وسيداتهم تلدن ألف طفل، وصغيرهم وكبيرهم لا حصر له. فلو يدبر الملك لنا حيلة ترفع الغم عن قلوبنا، لوجد الثناء الكثير من كل شخص منا،

| | |
|-------------------------------|--------------------------|
| كه روزى بكوش آيدت بك خروش | كه اى بنده أزجندين مكوش |
| بمان ديكر يرا مر اين تاج وتخت | كه رفتن بياراي وبريندرخت |

⁽¹⁰⁴⁾ براون باك: إيران نامه ياكارنامه ايرانيان، جلد دوم، بهره اول، طهران 1321ش، ص 284-286.

ولدعونا له بطول العمر في الدنيا، فنظر الأسكندر إليهم متعجبا، واغتم وفكر، ثم أجابهم قائلاً: يكون العوذ والحاجة منكم، وتكون المقدره والعون منا⁽¹⁰⁵⁾.

ويذكر الفردوسي أن الأسكندر أهتم بهم وبمشكلتهم، فبنى لهم سدا يفصل بينهم وبين قوم يأجوج ومأجوج، ويصف الفردوسي عملية بناء هذا السد فيقول: جاء الأسكندر إلى الجبل ونظر إليه، ثم استدعى مجموعة من الفلاسفة، وأمر بإحضار الحدادين، ويجلب كميات كبيرة من النحاس والحديد والمطارق الثقيلة، كما أحضروا كميات لا حصر لها من الحصى والأحجار والحطب اللازمة للبناء، وامتثل أمام الأسكندر عمال البناء والحدادون الماهرون الجديرون للقيام بذلك العمل من أنحاء العالم، كما حضرت أيضا جماعة من ذوي الخبرة والمعرفة من كل اقليم، فبنوا حائطين في مواجهة الجبل، يصل ارتفاعهما من الأرض حتى السحاب، وعرضهما بمسافة مائة ملك اصطفوا بجانب بعضهم البعض، ثم وزعوا الحديد بجوار بعضه البعض بمسافة ذراع ووضعوا قليلا من النحاس في وسطه، وسكبوا كل المعادن دفعة واحدة على الحائطين، فصارا مرصعين بالمعادن من القاعدة حتى القمة، وبعد ذلك خلطوا النفط والزيت بكميات كبيرة وصبوا على المعادن، وأشعلوا النيران فيها، وخلطوا المعادن بعضها ببعض، فانتصهرت بالنيران وأقامت سدا منيعا، وهكذا تخلصت الدنيا من يأجوج ومأجوج، وساد الأرض الهدوء والسلام⁽¹⁰⁶⁾.

ذهاب الأسكندر إلى الصين:

ثم ينتقل الفردوسي إلى الحديث عن ذهاب الأسكندر إلى الصين فيصوره في صورة الملك القوي المرهوب الجانب، الذي يخشاه ملوك البلاد التي يتقدمها لفتحها فيذكر أنه لما وصل إلى مشارف الصين، أرسل رسالة إلى ملكها (فغفور) يقول فيها:

يجب عليك ألا تخوض غمار الحرب معنا، وإلا ستجد مصير فور ودارا ملك العالم وقرقار وغيرهم من العظماء.

⁽¹⁰⁵⁾ الفردوسي: الشاهنامه، ج4، ص 61-62.

⁽¹⁰⁶⁾ الفردوسي: الشاهنامه، ج4، ص 63.

فأذهب من الشرق إلى الغرب، ستجد كل شخص يأتي بأوامري.
 فلو خالفت أي أمر لي، سأطيح بك وببلدك.
 وعندما تقرأ رسالتي، أحضر الجزية، ولا تتعب نفسك وتقاومني.
 فلو جئت لتراني أنا وجيشي، فستجد مني كل المودة والحسنى.
 وسأبقى لك التاج والعرش، ولن يصيبك الضرر.
 وإذا امتنعت عن المجيء فسيكون الطريق مفتوحاً أمامي.
 وأرسل لي طرائف الصين من أحصنة وسيوف وثياب وعاج وديباج.
 وكل ما تجده من كنوز، إذا أردت أن تأمن جانبنا.
 وحينذاك أعود بجيشي عن الطريق، وأبقى لك عرشك وتاجك⁽¹⁰⁷⁾.

(107) الفردسي: الشاهنامه، ج4، ص 68:

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| نبايد بسيجيد مارا بجنك | که از جنک شد روز بروفور تنک |
| جو دارا که بد شهریار جهان | جو قرقار تازی وديکر مهان |
| زخاور پروتادر باختر | زفرمان من کس نبايد کذر |
| اکر هيچ فرمان ما بشکني | تن وبوم وکشور برنج افکنی |
| جو نامه بخواني بیارای ساو | مرنجان تن خویش وبما مكاو |
| کرائی به بيني مرا با سباه | به بينم ترا يكدل ونيکخواه |
| بداريم بر تو همين تاج وتخت | بجيزی کز نديت نبايد زبخت |
| وکر کند باشی به بیش آمدن | زکشور سوی شاه خویش آمدن |
| زجيزي که باشد طرايف بجين | ز زرينه وتيغ واسب ونگين |

ويعد أن قرأ الملك فغفور رسالة الأسكندر، تأثر لما كتب فيها ورد عليه برسالة كلها عتاب وموعظة يقول فيها:

وصل المبعوث البارع اللسان برسالة الملك الخبير العليم.
 وقرأت ما كتبته، وقصصته على كبار رجال مملكتي.
 لقد منحك الخالق الشجاعة والرجال والجيش الكبير الجرار.
 أن أجل أي عظيم حينما ينتهي، يموت سواء في الحرب أو في السلم.
 ولما كانت نهاية أجل الملوك يوم قتالك معهم، فإن الزمان لن يقلله أو
 يزيد عليه مطلقاً.

فأنت لست أفضل ولا أعظم منهم، فاصرف عن ذنك هذه التخيلات.
 فأين ذهب فريدون والفحاك وجمشيد، لقد وارهت التراب.
 فأنا لا أخشاك، ولا أحب إشعال نيران الحرب لأنني لست مثلك عاشقاً
 للقتال.

فليس مذهبي إراقمة الدماء ولا إضمار سوء للغير.
 وتستدعيني لتلحق الهزيمة بي، أنني أؤمن بالله دون غيره.
 وسأرسل لك أكثر مما طلبته، وليس جزاء العطاء التأنيب والعتاب⁽¹⁰⁸⁾.

| | |
|-----------------------------|-------------------------------|
| هم از جامه و برده و تخت عاج | زدییای برمایه و طوق و تاج |
| زجیزی که یابی فرستی ز کنج | جو خواهی که از ما نیایدت رنج |
| سیاه مرا باز کرد ان ز راه | بپاش ایمن از کنج و تخت و کلاه |

⁽¹⁰⁸⁾ الفريسي: الشاهنامه، ج4، ص69:

| | |
|-------------------------|-------------------------|
| رسيد آن فرستاده جرب كوى | همان نامه شاه فرهنگ جوى |
|-------------------------|-------------------------|

ثم أرسل له الهدايا وكانت عبارة عن تاج مرصع بالجواهر، وكروسي عرش مصنوع من العاج، وألف جمل محملة بالفضة والذهب والديباج الصيني والحريير والكافور والمسك والبخور والروائح، وألف جمل محملة بموالييد الحيوانات الصينية النادرة، واصطحب هذه الأشياء ألفا حكيم يمتطون الأحصنة الأصيلة بأجمتها الذهبية، وثلاثة مائة غلام بأحزمتهم الذهبية ومعهم ثلاثمائة جمل وبرها أحمر اللون محملة بالكثير من تحف الصين⁽¹⁰⁹⁾.

فلما وصلت الهدايا إلى الإسكندر، سر بها وقال لرسوله:

إذهب إلى الملك فغفور الصيني وقل له: ستجد عندنا كل ود محبة.

ولا يحق لنا الآن أن نقول أن الصين تحت حوزتنا، بل الصين لك.

وليس لنا شأن ببلادكم وليست لنا الرغبة إلى مقابلة جيشكم.

| | |
|------------------------------|----------------------------|
| وزان بايزر كان سخن رانديم | سخنهاي شاهان همه خوانديم |
| جه در سور مبرد جه در كار زار | جو برمهوري بگذرد روز كار |
| زمانه نه كاهد ته هر كز فزود | جو فرجامشان روز رزم توبود |
| كه گر زاهنسي بيگمان بگذري | توزيشان مكن بيشي وبرتري |
| فراز آمد از باد وشد سوى دم | كجا شد فريدون وضحاك وجم |
| نه بر سان توباد كيرد سرم | من از تونترسم نه جنك آورم |
| نه بد كردن اندر خور دين من | كه خورن يختن نيست آئين من |
| كه يزدان برستم نه خسرو برست | بخواني مرا برتوباشد شكست |
| نيايد زبخشش مرا سرزنش | فزون زان فرستم كه داري منش |

(109) الفردسي: الشاهنامه، ج4، ص 70.

ونحن نستريح الآن، لأن مثل ذلك الجيش الجرار لا يستطيع أن ينصرف بسرعة⁽¹¹⁰⁾.

واستراح الأسكندر شهرا، ثم رجع هو وجيشه⁽¹¹¹⁾.

ذهاب الأسكندر إلى بلاد السند:

ويصور الفردوسي لنا إحدى بطولات الأسكندر القتالية لما توجه إلى بلاد السند لفتحها فيقول:

تصدى لمحاربته فرسان السند ويعاونهم الهنود.

فلما حل الليل ألحق الهزيمة بهم، واقتحم بجيشه البلاد.

وأسر الكثير من النساء والأطفال والشباب والشيوخ⁽¹¹²⁾.

⁽¹¹⁰⁾ الفردوسي: الشاهنامه، ج4، ص70.

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| برویش فغفور جینی بکوی | که نزدیک همیشه خرد باد جفت |
| که گفتی کر ایدر نباشی رواست | همه بوم ماجین وچین مر تراست |
| ایا شهر وبومت مراکار نیعت | سباه ترا بار دیدار نیست |
| بیا سایم ایدر که جندین سباه | به تیزی نشاید کشیدن براه |

⁽¹¹¹⁾ نفس المرجع، ص71.

⁽¹¹²⁾ الفردوسي: الشاهنامه، ج4، ص71:

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| یذیره شدنش سواران سند | همان جنک را یاور آمد زهند |
| شب آمد بران دشت سندی نماند | سکندر سباه از بس اندر براند |
| گرفتند ازیشان فراوان اسیر | زن وکودک و خرد و برنا و بیر |

ذهاب الأسكندر إلى اليمن:

ثم اتجه الأسكندر بعد ذلك إلى اليمن، فلما سمع ملك اليمن بقدمه، خرج معه كبار رجال دولته لاستقباله، واختار الهدايا الثمينة والنفيسة اللاتقة به، وقدمها له، فأنتى عليه الأسكندر، وغادر اليمن في الليل⁽¹¹³⁾.

ويبدو أن الفردوسي قد تأثر بما ذكرته كتب التاريخ من أن الأسكندر كان ينوى غزو بلاد العرب، لكن الأجل لم يمهل، فتحدث عن ذهابه إلى اليمن كحقيقة تاريخية من أجل الإشادة به.

حصول الأسكندر على كنز كيخسرو:

ثم ينتقل الفردوسي بعد ذلك إلى الحديث عن عثور الأسكندر على كنز كيخسرو، فيقول أن الأسكندر أثناء سيره إلى بابل بدا له رجل ضخ الجسم مملوء بالشعر، وأذناه كبيرتان، في حجم أذني الفيل، وجسده يبدو من تحت الشعر شديد السواد، فقال للأسكندر أنت تعيش في هذه الدنيا، وهناك حي يشبه الجنة، ولا توجد أرض مثيلته، وأهله يعيشون على الأسماك، وليس لهم غذاء سواها، فأمره الأسكندر أن يذهب إلى ذلك الحي ويحضر شخصا منه ليراه، فذهب إليهم ذلك الرجل الطويل الأذنين على الفور، وسلمهم رسالة الأسكندر قائلاً: أن الملك الطيب الذكر يدعوكم لمقابلته، فحضر سبعون شخصا منهم بين شيوخ وشباب أمام الأسكندر، وقدموا له فروض الطاعة والولاء، وتحدثوا معه فترة طويلة، وقالوا له: أننا لدينا كنز كيخسروا وهو يليق بك أيها الملك الجديد، فأسرع الأسكندر صوب مدينتهم، فدخلها وتفقدها ثم اتجه إلى مكان الكنز، فكان الكنز عبارة عن تاج وكرسي عرش ذهبيين، ومجموعة من التيجان والأحزمة والنياشين، فحملة وعاد إلى موقع جيشه مسرورا⁽¹¹⁴⁾.

و الواضح هنا أن شعوبية الفردوسي قد تغلبت عليه، فأراد أن يبين للقارئ مدى حب الإيرانيين للأسكندر، لدرجة أنهم قدموا إليه أثنى وأعلى شيء

⁽¹¹³⁾ نفس المرجع، ص 71-72.

⁽¹¹⁴⁾ الفردسي: الشاهنامة، ج4، ص 73-74.

لديهم وهو كنز الملك كيخسروه الذي كان أحد ملوك الدولة الكيانية تلك الدولة التي حكمت إيران في العصر الأسطوري.

كما يبدو أيضا أن الفردوسي كان يقصد بتلك المدينة التي تحدث عنها مدينة مكران بإيران وليست مدينة تقع بالقرب من بابل، وذلك لحديثه عن كنز كيخسرو، كما أن مدينة مكران كان أهلها عقد اشتهروا بكثرة أكل السمك، فسُميت مكران بسبب ذلك، وأصل كلمة مكران في الفارسية ما هي خوران) أي أكلة السمك⁽¹¹⁵⁾.

ذهاب الأسكندر إلى بابل ومعرفته بدنو أجله:

ويواصل الفردوسي حديثه فيذكر أن الأسكندر اتجه بجيش كبير جرار إلى بابل، فوصلها ليلا، فسعد العظماء لرؤيته⁽¹¹⁶⁾.

ثم يحكى الفردوسي لنا حكاية غريبة ويذكر أن الأسكندر عرف منها أن وقت رحيله من الدنيا قد حان يقول فيها: بعد أن وصل بابل ليلا، رزقت سيدي بمولود تعجب الناس منه، فكان رأسه مثل رأس الأسد، وبأرجله حوافر، وله أكتاف مثل الرجال، وذنوب مثل ذنب البقرة، ومات فور ولادته، فحملته الناس على الفور إلى الأسكندر، فنظر إليه متعجبا متشائما وقال: يجب أن تخنقي هذه السلالة من الدنيا، ثم استدعى الكثير من المنجمين، وتحدث معهم كثيرا في أمر ذلك الطفل الميت، فقالوا له بما أنك رأيت رأس الطفل الميت مثل رأس الأسد، فهذا معناه أن عهد سلطنتك قد انتهى، فاغتم الأسكندر لما سمع هذا الكلام واختل تفكيره، وقال: ليست لدى حيلة أمام الموت، ولا تدبير في هذا الأسر فليس لي عيش في الدنيا أكثر من هذا، ولن يقلله الزمان أو يزيده مطلقا، ومرض ببابل في نفس اليوم، وأدرك أن أجله قد حان، فاستدعى كاتبه وقص عليه ما ورد بذهنه، وأمره بكتابه رسالة إلى أمه، يخبرها أن موته أصبح متوقعا⁽¹¹⁷⁾.

⁽¹¹⁵⁾ البنداري: الشاهنامه، ترجمة د. عبد الوهاب عزام، ج2، حاشية ص 18.

⁽¹¹⁶⁾ الفردوسي: الشاهنامه، ج4، ص 74-75.

⁽¹¹⁷⁾ الفردوسي: الشاهنامه، ج4، ص 75-76.

وصية الأسكندر إلى أمه:

وقد كتب الأسكندر في هذه الرسالة وصيته لأمه فقال:
الآن حان وقت رحيلي من هذه الدنيا، وليس لي حيلة أمام الموت.
فانصتي لوصيتي ولا تزيدي عليها.
أولا أعدى لي تابوتا ذهبيا، وكفنا مصنوعا من الأقمشة الصينية اللاتقة
بي.

وعطرية برائحة العنبر، ولا يحزن شخص على مرض.
وغطى جميع يقوب التابوت بالشحم والكافور والمسك الطيب.
ثم امسحي داخله بماء الورد، بحيث يكون الديباج الصيني من أسفل وما
الورد من أعلى.

وبعد ذلك ضعى جثمانى بداخله، ورددوا الأناشيد حين تغطون وجهي.
أيتها الأم الحكيمة أعلمي بوصيتي حتى يحين يوم رحيلك من هذه الدنيا.
واحتفظي قدر حاجتك مما أحضرته من الهند والصين وبلاد توران
ومكران وإيران، ووزعي ما يزيد عن حاجتك منها.

ولي رجاء عندك أيتها الأم العطوف أن تكوني سعيدة ومتفائلة.
ولا تتركي نفسك فريسة للأحزان، فلن يخلد إنسان⁽¹¹⁸⁾.

(118) الفردسي: الشاهنامه، ج4، ص77:

| | |
|---------------------------|---------------------------|
| من ايدر همه كار كردم ببرك | به بيجار كى دل نهادم بمرك |
| باندز من كوش بايد كشود | باين كفت من در نبايد فزود |
| نخست آنكه تابوت زرين كتيد | كفن بر تنم عنبر آكين كتيد |
| ز زر بفت جينى سزاوار من | كسى سر نبيجد ز تيمار من |

وقد نجح الفردوسي هنا نجاحا عظيما في تصوير الأسكندر في صورة محببة إلى نفوس القراء وهي صورة الملك المؤمن الراضي بقضاء الله، العادل، الرحيم برعيته حتى آخر لحظات حياته، حيث أوصى أمه بأن تحتفظ بما تحتاجه فقط من الكنوز التي جمعها من البلاد المفتوحة وأن توزع الباقي على الفقراء والمحتاجين.

وفاة الأسكندر:

ثم امتد المرض على الأسكندر، وأحس بالموت، فجمع جنود، حوله ووجه إليهم نصيحته، بين فيها الفردوسي. منهج الأسكندر السليم في الحياة فقال:
قال القيصر بصوت ضعيف: كونوا حذرين وأصحاب رأي وحزم.
واعملوا بنصيحتي إذا أردتم أن تعيشوا حياة حرة.
فسيروا على نفس الطريق من بعدي، إن الزمان لم يسىء لي⁽¹¹⁹⁾.

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| همه درز تابوت مارا بقیر | بکافور کیرید و مشک و عبیر |
| نخست آنگید اندرو انکبین | زیر انکبین زیر دیبای جین |
| وزان بس تن من نهید اندروی | سر آید سخن جون بیوشید روی |
| تویند من ای مادر بر خرد | نکهدار تاروز تو بکبذرد= |
| زجیزی که آوردم از هندوجین | زتوران و مکران و ایران زمین |
| بدار و ببخش آنچه افزون بود | وزاندازه خورد بیرون بود |
| بتو حاجت آنستم ای مهربان | که بیدار باشی و روشن روان |
| نداری تن خویش را رنجه بس | که ای در نما ندست جاوید کس |

⁽¹¹⁹⁾ الفردوسي: الشاهنامه، ج4، ص 78.

وبعد أن أنهى كلامه فاضت روحه⁽¹²⁰⁾، فحزن الجنود على موته حزنا شديدا يصفه الفردوسي فيقول:

ارتفع الصراخ عاليا من جميع الجنود يتخلخل الهواء من شدته.
وغطوا رؤوسهم بالتراب، وبكوا دما من أعينهم⁽¹²¹⁾.

دفن الأسكندر بمدينة الإسكندرية:

وقد نفذت أمه وصيته، فغسلوه بماء الورد الصافي، ودهنوا جسده بالكافور، وأعدوا له كفنا من الديباج الصيني، وغطوا جسده بالديباج وغطوا قدميه بماء الورد. ثم حملوا نعشه لدفنه في الإسكندرية⁽¹²²⁾.

ويصف الفردوسي استقبال شعب الإسكندرية لنعشه فيقول:

هاجت الدنيا عندما وصلوا به إلى الإسكندرية.

ووضعوا نعشه في مكان فسيح، وامتألت المدينة بالتساؤلات.

وتجمع الناس من رجال ونساء وأطفال حوله.

ولو قدر احصاء أعدادهم الهائلة، لوجودها تزيد عن مائة ألفا⁽¹²³⁾.

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| جنين كفت قيصر بأوي نرم | كه ترسنده باشيد وبارا وشرم |
| از اندرز من سريسر مكنريد | جو خواهيد كزجان وتن بزخوريد |
| بس ازما شمارا همين است كار | نه با من همي بد كند روز كار |

⁽¹²⁰⁾ الفردوسي: الشاهنامه، ج.4، ص 78.

⁽¹²¹⁾ نفس المرجع، ص 78=

| | |
|--------------------------|---------------------------|
| =زلشكر سراسر برآمد خروش | هو ارا بديد از آواز كوش |
| همه خاك برسزل همي ريختند | زمر كان همي خون دل بيختند |

⁽¹²²⁾ نفس المرجع ونفس الصفحة.

رثاء حکماء یونان لآسکندر:

ویصف الفردوسی رثاء ارسطو فیقول:

تقدم الحکیم ارسطو أمام حشد من الناس، وعیونه تسکب دما.

وقال بعد أن وضع یده علی التابوت: أیها الملك المؤمن.

أین فطنتک ومعرفتک ورأیک، حیث صار هذا الصندوق الصغیر مکانا

لك.

لقد كنت مصدر القوة فی أيام شبابک، فلم اخترت التراب مکانا

لمرقدک (124)؟.

كما اجتمع حکماء الروم ورثوه فقال أحدهم:

(123) الفردوسی: الشاهنامه، ج4، ص 79.

| | |
|---------------------------|-------------------------|
| جوانرا دکر کونه شد داوری | جو بردند اورا باسکندری |
| زمین شد سراسر براز کفتگوی | بهامون نهادند صندوق اوی |
| بتابوت او بر شجند انجمن | باسکندری کودک ومرد و زن |
| مهندس فزون آمدی صد هزار | وکر بر کرفتی زمرد شمار |

(124) نفس المرجع، ص 79:

| | |
|-----------------------------|---------------------------|
| جهانی برو دید کان پرزخون | حکیم ارسطالینس پیش اندرون |
| جنین گفت کای شاه یزدان پرست | برآن تنگ صندوق بنهاد دست |
| که این تنگ تابوت شد جای تو | کجا آن هس ودانش وراى تو |
| جرا خاک را بر کزیدی نهال | بروز جوانی بدین مایه سال |

أيها الملك الضخم الجسد، ما أكثر ما أطحت بهم، وما أكثر ما حققت من أمجاد، فأين ذهب حزمك وهمتك ورأيك السديد؟

وقال آخر:

لم يفلت شخص من قبضتك، فلم صافحت الموت؟

وقال آخر:

لقد استرحت من المتاعب والآلام، وأيضا من البحث عن الملك والجاه.

وقال آخر:

واحسرتاه، لقد انقضى عهدك، ووقف لسانك عن الكلام.

وقال آخر:

يا من تفوق الشمس والقمر، لم أحتجب وجهك الجميل عن أمتك (125).

رثاء أمه وزوجته روشنك له:

ويختتم الفردوسي حديثه عن الأسكندر في الشاهنامه برثاء أمه وزوجته

له فيقول:

(125) الفردوسي: الشاهنامه، ج4، ص 79-80:

| | |
|-------------------------------|---------------------------|
| حكيماں رومی شدند انجمن | یکی گفت کای بیل روئینه تن |
| زیبایت که افکند وجایت که جست | کجا آن همه حزم و رای درست |
| دگر گفت کز دست تو کس نجست | جرا سودی ای شاه بامرک دست |
| دگر گفت کاسودی از درد ورنج | هم از جستن بادشاهی وکنج |
| دگر گفت روزک تواتر گذشت | زیانست ز کفتار بیکار کشت |
| دگر گفت کای برتر از ماه و مهر | جهیوشی همی زانجمن خوب جهر |

وبعد ذلك جاءت أمه بسرعة، وحكت وجهها في صدرها مرات عديدة،
وقالت:

أيها الملك الشهير الفاتح السعيد الحظ المؤمن.
لقد رحلت عني وعن المتاعب والجيش والأمة.
لنكن روحي عبدة لروحك، ولتصرف السعادة عن قلبي.
ثم جاءت زوجته روشنك والأحزان تعصرها وقالت:
أيها الملك الحر الفاتح الغازي أين دارا؟ لقد أفتقدته الدنيا أيضا.
وكذلك خسرو رأسك وقرقار وخاقان الصين وملك شهرزور.
وملوك آخرون استشهدوا في يوم القتال.
لقد كنت مثل السحاب من حيث السرعة والرفعة، فقلنت لك لقد أمنت من
الموت.

وجاز لي أن ألقبك بأنك العدل للزمان والأمين على شعبك.
من كثرة الحروب وإراقة الدماء في البلاد التي استوليت عليها بجيوشك.
وعندما قضيت على عظماء العالم، أطحت بتاج السلطنة.
وعندما سقطت الأمطار على الشجرة التي زرعتها، رأيت التراب مزيلا
لغمك.

وحتى لو بقيت ذكرى سيئة عنك الآن، فقد عفا الله عما سلف، ولن نعلم
بجنة الخلد (126).

(126) الفردسي: الشاهنامه، ج4، ص 81:

| | |
|--------------------------|---------------------------|
| وزان بس بيامد دوان مادرش | قراوان بماليد رخ بريرش |
| هميكفت كاي نامور بادشا | جهاندار ونيك اختر وبارسا= |

وكان رثاء أمه وزوجته هو خاتمة الحديث عن الأسكندر في الشاهنامه.

وفي الحقيقة فقد وفق الفردوسي توفيقا كبيرا في إبراز المكانة الرفيعة التي كان يحتلها الأسكندر في العالم للقارئ، وذلك بتصويره لمظاهر حزن وجزع جنوده وشعب الإسكندرية وحكام بلادهم وأمه وزوجته على وفاته، من خلال رثائهم له.

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| هم ازد وده ولشكر وانجمن | =بنزدیکی اندرو تو د وری زمن |
| دل هرکه زین شاد شد کند هباد | روانم روان ترا بند باد |
| جنین کفت کای شاه آزاد مرد | وزان بس بشد روشنگ بر ز درد |
| کزو داشت کیتی همه بشت راست | جهاندار دارای دارا کجاست |
| جوخاقان جین وشه شهز زور | همان خسرو واشک وقرقار وفور |
| سرانشان زیاد اندر آمد بکسرد | دگر شهریار ان که روز نبرد |
| تراکفتم ایمن شدستی زمرك | جوایی بدی تند وبارش تکرک |
| بهر مرز بالشکر آویختن | زیس رزم ویکار وهون ریختن |
| همی داری از مردم خویش راز | زمانه ترا داد کفتم جواز |
| بیندختی تاج شاهنشاهی | جو کردی جهان از بزرگان تهی |
| همی خاک بینم ترا غکار | درختی که کشتی جو آمد بیار |
| نیایی عفی الله خرم بهشت | وگر ماند ایدر ز تو نام زشت |

تقويم قصة الإسكندر عند الفردوسي

قد أثرت شعبية الفردوسي تأثيراً واضحاً في معالجته لقصة الإسكندر في منظومته الشاهنامه، فقد هدف منذ البداية إلى محو عار هزيمة بلاده على يد الإسكندر، وذلك باختلافه قصة ادعى فيها أن الإسكندر إيراني الأصل. وقد دفعه هذا الإدعاء إلى تصوير الإسكندر في صورة الملك الفاتح المظفر، والبطل الغازي الشجاع، الذي يقوم بالغزوة تلو الغزوة، ويخوض المعركة تلو المعركة، محققاً النصر في كل منها، بفضل قيادته الحكيمة لجيوشه أو مهارته الفائقة في المبارزة الفردية مع خصمه.

لذلك بمجرد أن تولى عرش بلاد اليونان فكر في التوجه صوب إيران لاسترداد عرش أبيه، الذي كان قد انتزعه منه أخوه، وفي الطريق سيطر على ما صادفه من بلاد ثم حقق ما كان يصبو إليه من استعادة عرش إيران وبعد ذلك خرج من إيران مكتسحاً لأنحاء العالم المختلفة.

وبما أنه إيراني فقد حرص الفردوسي أيضاً على تصوير الإسكندر في صورة الملك العادل الذي يغزو البلاد من أجل الفتح، وليس من أجل البغى وجمع المال فبعد أن تولى عرش إيران أعفى العالم من الخراج لمدة خمسة أعوام، وأنعم على الفقراء دون المساس لأموال الأغنياء، كما أوصى أمه حين أحس بالموت ألا تحتفظ بأكثر مما تحتاجه من الأموال التي جمعها من البلاد المفتوحة، وأن توزع الباقي على الفقراء والمحتاجين من الرعايا.

وأن كانت صورة العدل هذه والنابعة من تعصب أعى قد خدشت في بعض المواقع، فعلى الرغم من أنه تحدث عن انتساب الإسكندر للأصل الفارسي بتلك الصور المختلفة، ألا أن شعوره الحقيقي تجاه الإسكندر الأجنبي الفاتح قد غلب عليه في بعض المواطن، حيث صورة مرة في صورة المستعمر الباغي العاشق للقتال كرفضه الصلح والسلام مع الملك دارا الثالث ملك بلاده، وتارة في صورة القاسي القلب السافك للدماء، وذلك من خلال تصويره لقتاله مع

الأحباش، وتكيله بأشلاء قتلهم، وتارة أخرى في صورة الملك الضعيف القليل الحيلة والذكاء، ويبدو ذلك في تصوير ضعفه وخضوعه لملكة بلاد الأندلس.

أيضا من الملاحظات التي تؤخذ عليه أنه ترك نفسه سجينها عند نظمه لقصة الأسكندر، فلم يبين للقارئ في أثناء حديثه أي جهة من العالم توجه إليها الأسكندر، والبلدان التي قام بفتحها في هذه الجهة، لذا جاءت أحداث القصة متداخلة غير مترابطة مما يشتت فكر القارئ، ويصرفه عن تتبع سير أحداث القصة.

وقد حرصت على ذكر سير القصة كما رواها الفردوسي في شاهنامته دون أن أعدل في سير الأحداث حتى يدرك القارئ مدى التخبط الذي وقع فيه الفردوسي، وعدم التزامه الدقة في الانتقال من بلد إلى بلد ويغفر للفردوسي ذلك إذا أخذنا ما كتبه على أنه حديث بطولة وليس حديث تاريخ يلتزم فيه صاحبه الدقة والمنطق وخط منتظم لسير الأحداث.

وعلى الرغم من هذه المآخذ، يمكن القول بأن الفردوسي قد وفق توفيقا عظيما، على الرغم من غلبة الأساطير على قصته في تحقيق هدفه منها، وهو افتناع القارئ بأن الأسكندر كان ملكا فاتحا مظفرا، وبطلا غازيا شجاعا، وأنه استحق هذا القدر من الاهتمام في الشاهنامه لكونه أحد الملوك الإيرانيين القدماء، وليس غريبا عن هذه الأرض التي جعل الشاهنامه محورا للحديث عن ملوكها وأبطالها في العصور الأسطورية والتاريخية قبل الإسلام.

وهكذا كانت صورة الأسكندر في معظمها لدى الفردوسي صورة شعوبية الهدف منها الدفاع عن وطنه وأنه لم يغلّب من أي عدو خارجي قبل الإسلام. وأن كل من حكموا إيران كانوا من أصل إيراني سواء أكان هذا الأصل واضحا للعيان أو خفي إدراكه - كالأسكندر - على البعض.

الباب الثالث

"أسكندرنامه"

القصة النثرية المؤلفة في بداية القرن السادس الهجري

أولاً: قصة الأسكندر كما صورتها القصة النثرية أسكندرنامه:

تعد القصة النثرية الفارسية (اسكندرنامه) العمل الثاني في الأدب الفارسي، تحدث عن الأسكندر بعد الشاهنامه، وتعد في نفس الوقت أيضاً أول عمل أدبي فارسي مستقل بذاته عن الأسكندر المقدوني.

لم يبق من أسكندرنامه هذه إلا نسخة خطية وحيدة موجودة في مكتبة السيد سعيد نفيسي الخاصة بطهران تحت رقم (1306) وتقع في 508 صفحة. وأولها وآخرها ضائعان⁽¹²⁷⁾، كما سقطت صفحات من عدة مواضع متفرقة من هذه النسخة، بالإضافة إلى أن هناك عدة صفحات قد تقطعت أطرافها، فضاعت بحواشيها⁽¹²⁸⁾.

وقد كتبت هذه النسخة الخطية على ورق سميك أصفر اللون، ويعرف نوعه باسم (البغدادي) وبخط نسخ واضح باللون الأزرق، والعناوين باللون الأحمر، وتحتوي كل صفحة على عشرين سطراً. كما ذكر كاتب هذه النسخة اسمه في موضع منها وهو (عبد الكافي بن أبي بركات).

وقد تحقق لهذه النسخة الخطية الوحيدة أن تطبع تحت إشراف السيد إيرج أفشار رئيس مكتبة جامعة طهران المركزية عام 1343 هـ.ش⁽¹²⁹⁾.

وقد كتب لها مقدمة تقع في سبع وثلاثين صفحة تحدث فيها عن ما فعله بشأن هذه النسخة أثناء الطبع، فأشار إلى السمات التي اتسمت بها النسخة الخطية من الناحية اللغوية⁽¹³⁰⁾، كما أشار إلى ما قام بتصويبه من الحروف والكلمات أثناء الطبع تيسيراً على القارئ⁽¹³¹⁾، ثم كتب تعريفاً لكل شخصية من

⁽¹²⁷⁾ أسكندرنامه: تصحيح إيرج أفشار، طبع طهران 1343ق، المقدمة، ص 33.

⁽¹²⁸⁾ المرجع السابق: المقدمة ص 33-34. د. عبد النعيم حسنين: نظامي الكنجوى، ص 430.

⁽¹²⁹⁾ أسكندرنامه: المقدمة، ص 37.

⁽¹³⁰⁾ المرجع السابق: المقدمة، ص 30-33.

⁽¹³¹⁾ المرجع السابق: المقدمة، ص 35-37.

الشخصيات التي وردت في قصة (أسكندرنامه) (132)، وتقع القصة بعد الطبع في سبعمائة واحد و سبعين صفحة، وهذه الطبعة هي التي سأتناولها بالبحث والدراسة (133).

ومن أسف أن مؤلفها ليس معروفا لنا أيضا، ولا التاريخ الذي ألفت فيه. وقد رجح بهار ملك الشعراء أنها كتبت في القرن السادس الهجري، كما يبدو من خطها المنسوخ بطريقة تميل إلى الثلث، حيث كان شائعا استعماله في ذلك القرن (134).

كما أيد إيرج افشار رئيس المكتبة المركزية بجامعة طهران قول بهار بالقياس إلى الخط المكتوبة به، ونوع الورق المستخدم في الكتابة وقال أنها كتبت في القرن السادس الهجري ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون متأخرة عن القرن الثامن الهجري.

ويذكر إيرج افشار في دليلين آخرين على صحة ما ذهب إليه قوله: استعمل المؤلف ألفاظا وأفعالا واصطلاحات وعبارات تدل على أنه اطلع على كتب غير تاريخية مثل (سمك عيار) و (داراب نامه) و (هماي نامه) كما أطلع على كتب التاريخ التي ألفت من قبله مثل تاريخ الطبري وجوامع الحكايات لمحمد عوفى.

والدليل الآخر يتمثل في ذكره بعض الأحداث في القصة، وهذه الأحداث ليس لها علاقة بالعصر الذي عاش فيه الأسكندر، ولكنها قريبة أو معاصرة لعصر المؤلف، وألحقها هو بقصة الأسكندر، وهي تساعدنا على تحديد تاريخ التأليف، فقد ذكر - على سبيل المثال - الأسرة القرية خانيه التي حكمت إقليم التركستان من (320هـ = 925م) حتى (560هـ = 1165م) (135).

(132) المرجع السابق: المقدمة، ص 39-43.
(133) لم أتمكن من الحصول على نسخة مطبوعة كاملة، وقد تفضلت زميلة لي مشكورة بتصوير المقدمة وأولها وآخرها وأجزاء منها لي أثناء سفرها إلى إيران.
(134) بهار: سبك شناسي، طهران 1321، جلد دوم، ص 129.
(135) أسكندرنامه: المقدمة: ص 22-24.

وهناك قرينة أخرى تدل على أن هذه القصة قد ألفت في أواخر القرن الخامس الهجري أو أوائل القرن السادس الهجري، حيث ذكر الفردوسي ومنظومته الشاهنامه في مواضع كثيرة مما يدل على أنها ألفت بعد الفردوسي (136).

وقد قيل أن هذه القصة هي نفس القصة المترجمة عن اليونانية التي قام بكتابتها الحكم اليوناني كاليستس لكن بهار استبعد هذا القول، وذكر أن هذه القصة الفارسية قد تكون أقرب إلى الترجمة العربية لهذه القصة اليونانية (137).

وقد أيد الأستاذ الدكتور عبد النعيم حسنين قول بهار هذا، وذكر أن قصة الأسكندر التي نسبت إلى كاليستس، قد ترجمت إلى العربية في العصر العباسي بتشجيع من السامانيين ثم امتزجت بقصة أبي كرب شمر بن يرعش الملقب بذي القرنين الذي حكيت حوله قصص كثيرة، واختلطت القصتان للتشابه فيما بينهما، ولقب الأسكندر بذي القرنين، ثم ترجمت القصة بعد ذلك إلى الفارسية (138).

والحقيقة أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون هذه القصة النثرية (أسكندرنامه) هي قصة كاليستس اليونانية وذلك لعدة أسباب:

أولاً: كما سبق أن ذكرت أشار مؤلفها إلى الفردوسي ومنظومته الشاهنامه، وهذا يدل على أنها ألفت بعد عصر الفردوسي، كما تأثر أيضاً بالموضوعات التي وردت في الشاهنامه وهذا سوف أوضحه بعد ذلك.

ثانياً: ورد في القصة شواهد إسلامية في مواضع كثيرة مما يدل على أن مؤلفها كان مسلماً، فعلى سبيل المثال يقول: خدائي عز وجل، خدائي تعالى، بعون ايزد تعالى، بنداري سليمان (139).

(136) د. عبد المنعم حسنين: نظامي الكنجوى، ص 431 نقلاً عن القصة النثرية الخطية، ص 90، وفي مواضع أخرى.

(137) بهار: سبك شناسي، جلد دوم، ص 128.

(138) د. عبد النعيم حسنين: أسطورة الأسكندر ذي القرنين: مقالة منشورة بمجلة المجلة العدد 47 الصادر في نوفمبر 1960م.

(139) أسكندرنامه: ص 751، 759، 760، 761.

ثالثاً: وردت في القصة أساليب عربية مما يدل على أن مؤلفها كان يعرف العربية فعلى سبيل المثال يقول: رحمة الله عليه، توكلت على الله، سبحان الله العظيم، الملك، زاهدة صفة لكلمة دختر مؤنث زاهد⁽¹⁴⁰⁾.

رابعاً: لقب الأسكندر في عدة مواضع من القصة بذوي القرنين، فذكره في بعض العناوين باسم "الملك الأسكندر ذي القرنين"⁽¹⁴¹⁾ هذا دليل على أن هذه القصة ليست ترجمة عن القصة اليونانية، كما أن المؤلف بعد أن تحدث عن قصة مجيء الأسكندر إلى الدنيا، وتبشير المنجمين لجدّه فيلقوس بأنه سيصبح ملكاً على العالم من مشرقه إلى مغربه علق وقال:

لقد أوردت هذه القصة من أجل أن تعلم من هو ذو القرنين؟ وكيف حالة وولادته؟ ولم سمى بذوي القرنين؟ وتوجد أقوال بشأن هذا الأسم، قد وردت في كتب أخرى. ونحن لم نذكر هذه القصة في البداية لأنها لم تكن معروفة⁽¹⁴²⁾.

ومن هذه الأدلة والأسباب نستطيع أن نقول أن هذه القصة النثرية (أسكندرنامه) قصة فارسية إسلامية من تأليف مؤلف فارسي الأصل، تأثر بما كتبه الفرس من قبله عن الأسكندر، وبما كتبه المفسرون العرب عن ذي القرنين.

أما بالنسبة للموضوعات التي تناولتها القصة النثرية أسكندرنامه فهي عبارة عن مزيج من التاريخ الحقيقي والتاريخ الأسطوري، إذ بدأت بالحديث عن (داراب بن بهمن بن اسفنديار) وقهره لبلاد الروم، وإجبارها على دفع خراج له مقداره بيضة ذهبية وهدايا وتحف ثمينة. ثم تحدثت عن زفاف أينة فيلقوس ملك الروم إلى داراب بن بهمن ملك إيران، وحب داراب وتكريمه لها عن بقية نسائه لدرجة أنه أسقط الخراج عن بلاد الروم من أجلها⁽¹⁴³⁾ ثم تحدثت عن الرائحة

⁽¹⁴⁰⁾ نفس المرجع: ص 750، 751، 752، 757.

⁽¹⁴¹⁾ نفس المرجع: ص 7.

⁽¹⁴²⁾ أسكندرنامه: ص 5.

النص: وأين قصة ازبهر أن كفته مي آيد تابداني كه اين ذو القرنين كه بود، وحوال وزارن او جكونه بود، واورا چرا ذو القرنين خوانند - ودرين اسم أقوال است وشرح آن در ديكر كتب معتبر يادكرده اند، وماتا أين قصة ازوال تكوييم معلوم نشود.

⁽¹⁴³⁾ أسكندرنامه: ص 4.

الكريهة التي كانت تتبعث من فمها، ونفور الملك داراب منها، واعادتها إلى أبيها أحشائها جنين.

وقد أخفى أبوها فيلقوس نبأ حملها عن الناس، ولما وضعت الأسكندر، أشاع بين الناس أنه رزق بمولود من جارية. وقد بشره المنجمون بأنه سوف يصبح ملكا على العالم من مشرقه إلى مغربه، فرباه وعلمه أصول ونظم الملك، ليكون وليا على عرشه.

ثم تحدثت القصة بعد ذلك عن جلوس الأسكندر على العرش، وعن عدله وأنصافه، وفرحة الملوك بتولية عرش بلاد الروم، وتوافد الرسل ببرقيات التهنئة عليه⁽¹⁴⁴⁾.

كما ذكرت القصة أن الأسكندر عرف من أمه فيما بعد أن أباه هو داراب الثاني بن بهمن ملك إيران، ثم انتقلت القصة للحديث عن محاربة الأسكندر لأخيه دارا وفوزه عليه، ومقتل دارا على يد واحد من وزيريه، وإعدام الأسكندر لهما عقابا لجنيتاهما⁽¹⁴⁵⁾.

بعد ذلك انتقلت القصة إلى الحديث عن فتوحات الأسكندر فذكرت أن الأسكندر ذهب إلى مدينة عمان، فقدم ملكها الهدايا له، حتى يتجنب قتاله، فعفا عنه الأسكندر، ولم يحاربه⁽¹⁴⁶⁾.

ثم توجه بعد ذلك الأسكندر إلى الهند وتزوج ابنة ملكها فور⁽¹⁴⁷⁾، ثم دخل كشمير وسرانديب⁽¹⁴⁸⁾.

ثم انتقلت إلى الحديث عن زيارة الأسكندر لقبر آدم عليه السلام، وذهابه إلى مدينة الذهب⁽¹⁴⁹⁾. وبعد ذلك عن توجهه إلى بلاد الحجازة ودخوله مكة، ثم زيارته لقبر الرسول عليه السلام⁽¹⁵⁰⁾.

⁽¹⁴⁴⁾ اسكندرنامه: ص 5.

⁽¹⁴⁵⁾ أسكندرنامه: ص 7-12.

⁽¹⁴⁶⁾ نفس المرجع: ص 13-16.

⁽¹⁴⁷⁾ نفس المرجع: ص 16-24.

⁽¹⁴⁸⁾ نفس المرجع: ص 25، 58.

⁽¹⁴⁹⁾ نفس المرجع: ص 80-95.

⁽¹⁵⁰⁾ نفس المرجع: ص 101-106.

وتمضي القصة بعد ذلك فتذكر أن الأسكندر دخل اليمن⁽¹⁵¹⁾، ثم مصر⁽¹⁵²⁾ ومنها إلى بلاد الأندلس⁽¹⁵³⁾، ثم ذهب إلى الظلمات بحثاً عن ماء الحياة⁽¹⁵⁴⁾، وبعد خروجه من الظلمات ذهب إلى البحر الأخضر، ومنه إلى إقليم إتركستان⁽¹⁵⁵⁾. ثم توجه الأسكندر بعد ذلك إلى الصين، فتأمرت زوجة ملكها- التي ذكرت القصة أنها كانت خالة الأسكندر - معه على قتل زوجها، في حين تأمر أبناء خاقان الصين مع إحدى الجوارى على وضع السم للأسكندر للانتقام منه، لكن الأسكندر اكتشف المؤامرة بذكائه وفراسته⁽¹⁵⁶⁾.

وبعد الصين توجه الأسكندر إلى ولاية طغماج⁽¹⁵⁷⁾، ومنها إلى ولاية الروس⁽¹⁵⁸⁾.

أما الجزء الباقي من القصة فكله يتناول حروب الأسكندر مع الشيطان والأشجار والزئوج والترك الكفرة.

(151) نفس المرجع: ص 107.

(152) نفس المرجع: ص 132.

(153) أسكندرنامه: ص 192.

(154) نفس المرجع: ص 206.

(155) نفس المرجع: ص 221.

(156) نفس المرجع: ص 256-297.

(157) نفس المرجع: ص 313.

(158) نفس المرجع، ص 409.

ثانياً: مقارنة بين ما ورد في الشاهنامه والقصة النثرية عن الإسكندر

نقسم المقارنة بين ما ورد في الشاهنامه والقصة النثرية عن الإسكندر إلى قسمين:

أ- الموضوعات التي تناولتها كل منهما.

ب- شخصية الإسكندر.

وإذا تحدثنا عن الموضوعات التي تناولتها كل منهما، سنجد أن مؤلف القصة النثرية (أسكندرنامه) قد تأثر بالموضوعات التي تناولها الفردوسي عن الإسكندر في الشاهنامه، إلى حد كبير اتفق مع الفردوسي في الأحداث الرئيسية لهذه الموضوعات وإن اختلف عنه في الأحداث الثانوية. فعلى سبيل المثال اتفق مع الفردوسي في أصل الإسكندر وأن أباه داراب بن بهمن، وأمه ابنة فيلقوس ملك بلاد الروم، وحروب الإسكندر مع أخيه دارا، وانتصاراته عليه والاستيلاء على عرش إيران، وتأثره لوفاة أخيه دارا، ومعاقبته لوزيريه لخيانتهم. لكنه اختلف عنه في الوصية التي أوصاها دارا لأخيه الإسكندر، فمثلاً ذكر الفردوسي أن دارا أوصى الإسكندر بأن يتزوج ابنته (روشنك)، وأن يعاملها معاملة طيبة⁽¹⁵⁹⁾. أما القصة النثرية فتذكر أن روشنك زوجة دارا، وقد أوصى دارا الإسكندر قائلاً:

يا أخي هكذا صار حالي، وهذا قضاء الله وقدره ولا اعتراض عليه.
والآن لي أبناء وبنات وزوجات، فلي زوجتان احداهما حبلى، ولا أعرف ما ستلده، واسمها روشنك وهي من نسل العظماء، إذ أنها ابنة كودرز الأصفهاني، فإذا وضعت ولد اسمه (بهمن) وزوجته لابنتك وإذا وضعت بنت اسمها (هماي)، وزوجها للشخص الذي تريده، على أن يكون اسمه اسغنديار.

(159) أنظر ص 44 بالرسالة.

أما الثانية فهي ابنة ملك الهند، وهي حبلى كذلك منذ ستة أشهر، وقد أحضرتها من مدة قصيرة من سرانديب، فأعدها بجهازها إلى الهند، حتى يزوجها بآخر، لأنها شابة وإذا أردت أن تتزوجها فلك مطلق الحرية⁽¹⁶⁰⁾.

وقد نفذ الأسكندر وصية دارا، فأرسل ابنة ملك الهند بجهازها إلى بلادها، أما الزوجة الثانية روشنك، فقد وضعت بنتا، ولكنها ماتت⁽¹⁶¹⁾.

اتفقت القصة النثرية مع الشاهنامه في ذهاب الأسكندر إلى الهند ولكنها اختلفت عنها في أنها ذكرت أن الأسكندر تزوج ابنة فور الهندي.

كذلك اتفقت مع الشاهنامه في ذهاب الأسكندر إلى الصين، لكنها اختلفت عنها في الأحداث التي دارت هناك كتأمر زوجة ملك الصين التي ذكر المؤلف أنها خالة الأسكندر على قتل زوجها، وتأمر أبناء ملك الصين على سم الأسكندر واكتشافه للمؤامرة.

كذلك أضافت القصة النثرية على الموضوعات التي تناولتها الشاهنامه موضوعات ذهابه إلى التركستان وطغماج، وحروبه مع الروس والزنج والشيطان والترك والكفرة، وزيارته لقبر آدم عليه السلام ولمدينة الذهب.

أما القسم الثاني وهو ما يتعلق بشخصية الأسكندر في كل من الشاهنامه والقصة النثرية (أسكندرنامه) سنجد أن شخصية الأسكندر في القصة النثرية

(160) أسكندرنامه: ص 10-11.

النص: أي يرادر بدان كه كار من ببود وحكم خدای تعالی جنین بود و بر حکم او اعتراض نیست اکنون فرزندان و عورت دارم و زنان دارم و يك زن آيستن است ندانم چه زايد، و آن زني را نام روشنك است و از نسل بزرگانست و از فرزندان كودرز آصفهاني است. اگر بسر زايد تودختر خویش را بد و ده و نامش بهمن کن و اگر دختر زايد نام او همای کن و بدان کس ده که تو خواهی باشد که نام اسفندیار بماند. و دختر شابه هندوستان شش ماهه آيستن است و نزدیک است که اورا از سرانديب آورده ام اورا باجهاز او جمله باهندوستان فرست تا بدامادی دیگر دهند که او زنی جوانست و لکر تو می خواهی اورا بخواه.

(161) اسكندرنامه: ص 11.

النص: دخترشاه هندوان را باجمله جهاز به هندوستان فرستاد و آن زن دیگر که نام اوروشنك بود بارينهاد و دختری آورد و خود نماند.

اختلفت اختلافا واضحا عن شخصية الإسكندر في الشاهنامه، فقد صورت الشاهنامه الإسكندر في صورة الملك الثائر المهاجم المصمم على استرداد عرش إيران من أخيه دارا، وقد حاول دارا الصلح معه مقابل أن يعطيه كنوز ملك إيران وكنوزه، وأن يكون تابعا له، لكن الإسكندر رفض⁽¹⁶²⁾. أما القصة النثرية فقد صورت الإسكندر في صورة الملك المسالم الذي لا يبغى الحرب والقتال ويريد الصلح والوئام، ودارا يرفض هذا، فمثلا ذكرت القصة أن الإسكندر عندما وصل إلى إيران، وسمع اسم أبيه بكى وأرسل رسالة إلى أخيه دارا يقول فيها:

"أنني لم آت إلى هنا لأخذ العرش منك أنك تطالبني بدفع خراج الروم، وأبوك داراب الذي كان أعظم منك قد كف يده عن خراج الروم، فأنت الآن تزرع العداء، وبينني وبينك صلة وقربا، وأنا لا أريد أن أعلن العداء معك، لأن بسببه سيضطرب حال العالم ويقتل الخلق ويعود البلاء على وعليك، فأدرك أن أباك قد أعطاك الملك ولم يحرمك منه، فلا تضعه من يدك واستمع إلى كلامي من باب النصيحة فهذه الدنيا فانية، ولن يخلد فيها أي شخص مطلقا، وينبغي أن تبقى الذكرى الطيبة عن الملوك. فأسلك سلوكا طيبا، ولا تسلك طريق القتال والنزاع، واتبع سيرة أبوك وسياسته فقد كان ملكا موقفا، إنني لم آجئ لأخذ عرش إيران منك، ولكن لي رغبة وهي أن أطوف العالم، وأترك مثلا طيبا في كل مكان أذهب إليه، حيث أرشد الملوك إلى الطريق الصواب، وإنني أحرص على الرفق بالرعية، لأن أفضل سيرة للملوك هي أن تكون رعاياهم آمنة من الظلم والجور، وتتعلم بالعدل والإنصاف، فلو أعلنت العداء وآثرت القتال معي، فسيعود وبالهما عليك، وتكون العاقبة وخيمة، فارجع عن العداوة والنزاع واسلك طريق الود والصلح، ولا تقاتلني كي تستقر الدنيا لنان فايران التي منحها لك أبوك، باقية لك، وأنا ضيفك لمدة شهر، فلنساعد برؤية بعضنا البعض، ونعقد أواصر الود والوئام، وأترك لك ملك إيران⁽¹⁶³⁾.

⁽¹⁶²⁾ انظر ص 41-42 بالرسالة.

⁽¹⁶³⁾ أسكندرنامه: ص 7.

النص: كفت من بدین مالک بدان نیامده ام که باد شاهی از تو بستانم تو از من خراج روبرا خواستی، و بدر توداراب از تو بزرگتر بود خراج روبرا دست بازداشتته بود.

وتذكر القصة أن الأسكندر كان جادا في توطيد أوامر السود والسلام
وقرر بهذا الشعور أن يمضي إلى بلاط الملك دارا⁽¹⁶⁴⁾. لكن دارا رفض،
وأجاب على رسالته في حدة وغضب قائلا:

ليس بيتنا إلا السيف، ولن نستمع إلى خرافات الأسكندر⁽¹⁶⁵⁾.

وهذه الرسالة دليل واضح على أن القصة النثرية (أسكندرنامة) كانت
تهدف إلى تصوير شخصية الأسكندر في صورة الملك العادل الذي يريد أن يفتح
دول العالم من أجل نشر العدل والإنصاف، أما الشاهنامه فقد تأثرت بتعصب
ناظمها الفردوسي لبني جنسه، وميله الشديد إلى التفاخر بأمجاده وانتصاراته
فصورت الأسكندر في صورة الملك الغازي الذي يهدف من غزو البلاد إلى
تحقيق النصر تلو النصر، والمجد تلو المجد.

اکنون آغاز این خصومت تو کردی، میان من و تو صلّت و نسب است و من نسی خواهم
که آغاز خصومتی ظاهر کردی، و بدان سبب جهان بر آشوب شود، و خلق عالم تباہ
کردد، و بال آن بمن و تو باز کُردد درباب ملک و بادشاهی که بدر ترا داده است بر خود
منقصی مکن، و سخن من از سرراشتی و نصیحت استماع کن که این عالم نابد
یدار است، و بر هیچ کس نماند. بجز نام نیک یادگار بادشاهان رد نشاید، اگر تو سازگاری
کنی و جنگ و خصومت نجوی، و سیرت، و طریقت بدر که بادشاه کامران نگاه داری که
من نیامده ام که بادشاهی ایران از توستانم. مرا آرزوی آنست که کرد جهان بگردم
و هر جا که بر رسم رسمهای سلک بنهم، و ملوک را بر آستی بنشانم، و بارعیت وزیردستان
رفق نمودن تحریص کنم، و نام نیک را بهر موضع یادگار بگذارم، و از جور و قهر خود
رعیت وزیردستان را ایمن دارم که بهترین سیرتی و طریقتی بادشاهان را آنست که
رعیت وزیردستان را از ظلم و جور خود ایمن دارند، و از عدل و انصاف خود همکنان
یا بهمرند گردانند. اگر و بامن خصومت و جنگ آغاز کنی، و بال آن بتو باز کُردد،
و عاقبت آن وخیم باشد. ازین جدال و خصومت باز کرد، و طریقت موافقت و راستی نکا،
دار و بامن کوشش مطلب تاجهان بر ما قرار کُردد، و ایران که بدر ترا داده است، بر تو
بماند، و من بک ماه مهمان تو باشم، و از دیدار یکدیگر شاد گردیم، و بموافقت و دوستی
بگذریم، و ملک ایران بتو بگذارم.

(164) أسكندرنامة: ص 8.

النص: وأنجھ اسکندرا ز طریق یکانکی و موافقت آغاز و اساس نهاده بود، و تقریر کرده
در حضرت شاه داراب بن داراب بگذارد.

(165) أسكندرنامة: ص 8.

النص: داراب جواب داد از سر خشم و بی التفاتی که میان ما شمشیر است، بهیچ وجهی
زخارف اسکندر نخواهیم شنیدن.

هذا بالإضافة إلى أن اسكندرنامه قد صورت الإسكندر في صورة العبد
المؤمن الصالح المتصل بالله، فذكرت أنه كان يدخل المسجد ليلاً، فينزل ملاك
من السماء إليه، ويخبره عما سيحدث من الأمور، ويستتير الإسكندر برأيه فيما
سيفعل⁽¹⁶⁶⁾.

(166) نفس المرجع: ص 764.

الباب الرابع
قصة الأسكندر عند نظامي الكنجوى

الفصل الأول

أولاً: نظامي كنجوى

تمهيد:

قبل الحديث عن منظومة أسكندرنامه (كتاب الأسكندر) ينبغي أن نعرف أولاً بناظمها "نظامي كنجوى" تعريفاً سريعاً، لنتبين كيف أثرت ظروف عصره وحياته وثقافته وديانته في نظمه للمنظومة. ثم نبين أهم المصادر التي اعتمد عليها الشاعر عند نظمها.

لنبدأ أولاً بالتعريف بالشاعر:

نظامي كنجوى هو أحد شعراء القرن السادس الهجري المشهورين اسمه (الياس) ولقبه (نظام الدين) وكنيته (أبو محمد)، فهو نظام الدين أبو محمد الياس ابن يوسف بن زكي بن مؤيد الكنجوى. أما تخلصه الشعري فهو (نظامي).

ولد عام (539هـ - 1144م) في (كنجه)⁽¹⁶⁷⁾ بإقليم آذربيجان، وعاش فيها وتوفي عام (608 - 1213م).

وقد قضى نظامي معظم سني حياته في غير تكالب على الاتصال بالحكام، حيث كان من أسرة ميسورة الحال،

كما عاش نظامي في عصر يموج بالمعسكرات السياسية المتصارعة، يتمثل في الخلافة العباسية ودولة السلاجقة ودولة أتابكة آذربيجان التي كانت تتدخل في شئون السلاجقة، والتي كان نظامي يعيش في كنفها ويتصل بحكامها، وبالإضافة إلى الصراع بين هذه المعسكرات كان هناك صراع آخر بين حكام كل معسكر على تولي العرش، مما أثار الفتن والاضطرابات والاضطرابات، فشاخ الذعر والخوف بين الناس، مما جعل البعض يميلون إلى العزلة والانزواء كما فعل نظامي.

(167) كَنجَه: تسمى الآن اليزايتبول وهي تابعة للاتحاد السوفيتي.

وبالإضافة إلى الصراعات السياسية فقد شهد عصر نظامي صراعات دينية عنيفة وبخاصة بين المذهب السنى ويؤيده حكام السلاجقة السنين المتعصبين، والمذهب الشيعي وتؤيده طائفة الاسماعيليه، هذا بالإضافة إلى صراع الفرق الإسلامية المختلفة مع بعضها البعض، مما أوجد انعدام الثقة والطمأنينة في قلوب الناس، فمالوا إلى التصوف، وهذا ما فعله نظامي وسوف أوضح ذلك فيما بعد.

على الرغم من هذه الصراعات المختلفة فقد عرف نظامي بأخلاقه الرفيعة، فكان صاحب نفس نبيلة ومتسامحة، كما كان شديد الاعتزاز بكرامته وعزة نفسه، لهذا أثر ألا يختلط بهذا الجو الصاخب المملوء بالعدو والنفاق والرياء وعدم الأمان، وعزف عن الاتصال كثيرا بالملوك واستجدهم وأوقف معظم مديحة على مناجاة ربه، فهو القائل مناجيا ربه:

لم أف منذ شبابي على باب أحد غيرك لقرى منك (168).

كما سلك نظامي في تعبه سلوك المتصوفة، فكان يتعبد بطريقة خاصة تسمى (جله) أي الأربعينية، وهي أن يعتكف أربعين يوما، فيقطع عن الناس ويجلس في حالة تفكر ومراقبة، حتى إذا انجلت أمامه الحقائق شعر بالسعادة تغمره لقربه من ربه، يقول في ذلك:

وضعت رأسي فوق ركبتي، وأشرق وجهي بنور الله، فصارت مرآة القلب فوق الركبة، فطرحت مرآة النظر، ونظرت في مرآة القلب، لأرى من أي أنواع التجلي يأتي الفيض الإلهي (169).

ولما كان نظامي يتمتع بنبل الأخلاق وشدة الورع والتدين، فقد لقب بشاعر الفضيلة، لكثرة ما تحدث عن الطهر والعفاف والإخلاص والوفاء.

(168) نظامي كنجوى: هفت بيكر، نشر وتصحيح وحيد كستركردى، طبع طهران 1315هـ. ش، ص5.

| | |
|------------------------|-----------------------|
| بر در كس نرفتم از درتو | جون بعد جواني از برتو |
|------------------------|-----------------------|

(169) د. عبد النعيم حسنين: نظامي الكنجوى، طبع 6 القاهرة 1954م، ص 106.

وقد تزوج نظامي بفتاة رائعة الجمال كما وصفها تدعى (آفاق) من طائفة القبجاق⁽¹⁷⁰⁾، وأنجب منها ابنه محمدا- الذي مات قبل وفاة أبيه بفترة قصيرة- لكن هذه الزوجة ماتت وهي في ريعان الشباب، فحزن عليها حزنا شديدا، وقد جرب حظه في الزواج بعدها مرتين ولكنها ماتتا أيضا وهو على قيد الحياة.

أما بالنسبة لتقافة نظامي، فقد كان ذا ثقافة واسعة بالعلوم الراجحة في عصره، إلى جانب ثقافته الدينية العالية.

كما أتقن نظامي اللغتين العربية والفارسية، وذلك لأن المسلمين في العصر العباسي اجتهدوا في نقل كتب العلم من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية، مما جعل هذه اللغة ضرورية لطلاب العلم في جميع أنحاء العالم الأساسي، وكان معظم الشعراء والكتاب الفرس في ذلك العصر يعرفون اللسانين العربي والفارسي غالبا، حتى سمي كثير منهم بأصحاب اللسانين. وهذا يبين لنا أن النزعة الإسلامية كانت قد ازدادت في عصر نظامي، وأن العصبية الفارسية كان قد خمدت جذوتها، بعد أن بلغت الذروة في العصر الساماني، حيث كان الشعراء والكتاب الفرس يتعمدون تجنب استعمال الكلمات العربية في مؤلفاتهم، كالفردوسي الذي استعمل الكلمات العربية في منظومته العظيمة (الشاهنامه) بنسبة ضئيلة جدا تصل إلى اثنين في المائة أو أربعة في المائة على أرجح الأقوال، وقد كان نظامي الكنجوي استاذا في فن نظم القصة، حيث أتحفنا بمنظوماته الخمس، وهي (مخزن الأسرار) في التصوف، (خرووشيرين) و (ليلي ومجنون) في العشق و (هفت بيكر) أي العرائس السبع وهي قصة خاصة ببهرام كور أحد ملوك الدولة الساسانية، والأخيرة (اسكندرنامه) وهي قصة بالأسكندر المقدوني، والتي هي موضوع دراستنا، وذلك إستجابة لرغبة الناس الذين كانوا قد مالوا إلى الشعر القصصي والشعر الغنائي.

⁽¹⁷⁰⁾ طائفة القبجاق طائفة تركية كانت تسكن منطقة تسمى القبجاق في إقليم التركستان شمالي إيران، وقد اشتهر فساؤها بجمالهن: انظر برهان قاطع، تأليف محمد حسين تبريزي متخلص ببرهان، طبع طهران 1331ش. جلد سوم.

ثالثاً: المصادر التي اعتمد عليها نظامي في نظم (اسكندرنامه):

أعتمد الشاعر الكبير الكنجوي عند نظمه لمنظومته (اسكندرنامه) على ثلاثة مصادر هي:

أولاً: ما ورد مبثغراً في كتب التاريخ المختلفة فارسية كانت أم عربية، وكذلك ما ورد في بعض الكتب اليهودية والنصرانية والبهلوية الموجودة في عصره، فأختار صحيحاً منها، يقول في ذلك: "حينما أردت نظم هذه القصة، كان الطريق وعرا، والمادة كثيرة، فلم أر آثار ذلك الملك الجواب للأفاق مسطرة في سجل واحد، بل كانت المادة كالكنوز، مبثغرة في كل نسخة، فأنتخبت جوهرة من كل نسخة، وعقدتها لأجمل بها نظامي، فضلاً عما أفدته من التواريخ اليهودية والنصرانية والبهلوية الحديثة، وقد حاولت أن أختار من كل مادة أحسنها، ومن كل كتاب خير ما فيه، ثم أحطت بمادتي كالكنز، لأصوغ من تلك الجواهر جوهرة كلية نفيسة، فترجمت من لغة إلى أخرى، لأن الامام بما في لغة واحدة لا يكفي، فمن يعرف لغة واحدة لن يكون قادراً على النقد، ثم عرضت على مسرح الشعر، كل ما وجدته صحيحاً من تلك النفاثس⁽¹⁷¹⁾.

(171) نظامي كنجوي: شرفنامه، ص 69:

| | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| سختن راست رو بود وره بيرج بيج | جوميكردم اين داستان را بسيج |
| نديدم نكاريدنه دريك نورد | اثر هاي آن شاه آفاق كرد |
| بهر نسختي در براكتده بود | سختها كه چون كنج آكتده بود |
| برو بستم از نظم بيرايه ها | زهر نسخه برداشتم مايه ها |
| يهودي ونصراني وبهالوي | زيادت ز تاريخهاي نوي |
| زهر بويست برداختم معز او | كزيدم زهر نامه نغز او |

ثانيًا: من المصادر التي اعتمد عليها نظامي أيضا شاهنامه الفردوسي، فقد طرق نظامي كثيرا من الموضوعات التي طرقتها الشاهنامه، وإن كان لم يوافق على بعضها، ثم زاد عليها موضوعات أخرى، وهذا ما سوف أوضحه عندما أتناول المنظومة بالدراسة والتحليل والنقد.

ثالثًا: والمصدر الثالث الذي اعتمد عليه نظامي هو القصة النثرية (اسكندرنامه) التي ألفت قبل عصره بفترة ليست بالكبيرة، والتي سبق أن درسناها.

| | |
|---------------------------|---------------------------|
| از آن جمله سر جماله ساختم | زبان در زبان گنج برد اختم |
| زیانش زیغاره کوته بود | زهريك زبان هر كه آكه بود |
| سخن راسر زلف برتاقتم | در آن برده كز راستي يافتم |

ثالثاً: التعريف بمنظومة (اسكندرنامه)

تعد منظومة نظامي الكنجوي (اسكندرنامه) ثالث عمل أدبي تتناول شخصية الأسكندر المقدوني. كما تعد أعظم وأضخم عمل أدبي في الأدب الفارسي فقد نظم شاعرنا الكبير نظامي الكنجوي هذه المنظومة في مجلدين، تحدث فيهما عن ثلاثة جوانب من شخصية الأسكندر المقدوني وهما:

المجلد الأول: ويسمى (شرفنامه) أي كتاب الشرف، وقد تحدث فيه الشاعر عن الأسكندر كملك فاتح، ونظمه في 6800 بيت من الشعر، وصرح بأنه أتم نظم (شرفنامه) في عام 597هـ، فقال: "تظمت هذه المنظومة في الدنيا لتبقى فيها إلى يوم القيامة، وأتممتها في وقت الزوال من اليوم الرابع من شهر المحرم لسبعة وتسعين وخمسمائة عام خلت بعد الهجرة"⁽¹⁷²⁾.

وقد قدم الشاعر منظومته (شرفنامه) لنصرة الدين أبي بكر أحد أتابكة آذربيجان حيث اعتبره بطلاً شجاعاً ومظفراً كالأسكندر⁽¹⁷³⁾، ونال منه مكافأة كبيرة عليها كما يبدو من قوله:

"الحمد لله الرحيم رب العالمين، لأن أنصاف الحاكم أكثر من هذه القصة"⁽¹⁷⁴⁾.

(172) د. عبد النعيم حسنين: نظامي الكنجوي، ص 374.

| | |
|------------------------------|-------------------------|
| بگفتم من این نامه را در جهان | که تادور آخر بود درجهان |
| بتاریخ بانصد نود هفت سال | جهارم محرم بوقت زوال |

(173) نظامي كنجوي: شرفنامه، ص 58-60.

(174) نظامي كنجوي: شرفنامه، ص 65.

| | |
|---------------------------|---------------------------|
| سباس ازو خداوند کیتی بناه | که بیشت از یقسه انصاف شاه |
|---------------------------|---------------------------|

المجلد الثاني: ويسمى (اقبالنامه) أي كتاب الحظ والسعادة. وقد قسمه الشاعر إلى قسمين، القسم الأول تحدث فيه عن الأسكندر كحكيم، أما القسم الثاني فقد تحدث فيه عن الأسكندر كنبى، ونظمه في 3690 بيت من الشعر. وقد نظامي منظومه (اقبال نامه) لعز الدين مسعود أتابك الموصل حيث أرسلها إليه مع ابنه، فأعاده محملاً بعبء كثير يقول:

"عندما منحتك روجي وأرسلت معها فلذة كبدي.

فردها إلى محملة بعبء. أكثر مما أتوقع" (175).

وقد أوضح نظامي لنا عرضه من حديثه عن ثلاثة جوانب من شخصية الأسكندر في أول منظومته فقال:

"أعدته جماعة ملكا فاتحا مسيطرا على العالم، وجوابا في الأفاق.

واعتبره قوم حكيما يقتبسون الحكمة من أعماله.

واعترفت جماعة بنبوته، لورعه وعنايته بالدين" (176).

(175) نظامي كنجوي: اقبالنامه تصحيح وحيد دستكردى طبع طهران 1317هـ ش، ص 286.

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| جو من نزل خاص توجان داده ام | جگر نيز باجان فرستاده ام |
| جان باز كردانش از نرد خویش | كز امید من باشد آن رفیق بیش |

(176) نظامي كنجوي: شرفنامه، ص 54:

| | |
|-------------------------|----------------------------|
| كروهيش خوانند صاحب سرير | ولايعت سستان بلكه آفاق كير |
| كروهى زديوان دستور او | بحكمت نيشستند منشور او |
| كروهى زياكي ودين بروري | بذيرا ش دندش ببيغمبري |

ثم بين لنا نظامي خطته التي سيتبعها في نظم هذه المنظومة وهي أنه سيتحدث عن ثلاثة جوانب من شخصية الأسكندر، الجانب الأول كملك فاتح، والثاني كحكيم، والثالث كنبى فقال:

"سأغرس من كل حبة من هذه الحبات الثلاث شجرة قوية.

فأطرق أولا باب ملكه، فأحدث عن فتوحاته.

ثم أبدع في الحديث عن حكمته، فأعيد تسجيل الحكم القديمة.

ثم أطرق بعد ذلك باب النبوة لأن الله أيضا قد قرر نبوته" (177).

ثم أكد لنا بعد ذلك أنه تحدث عن كل جانب حديث مستقلا، وبين لنا القيمة العظيمة لهذه المنظومة فقال:

"صنعت ثلاثة أبواب كل واحد منها منجم من الكنوز، وتحملت في إنجاز كل منها عناء خاصا.

وجعلت كل واحدة منها تحفة نادرة، وسأجعل العالم بواسطتها مملوء بالكنوز" (178).

(177) نفس المرجع، ص 55:

| | |
|---|---|
| د ر خ ت س ي ب ر و م ن د خ و ا ه م ن ش ا ن د | م ن ا ز ه ر س ه د ا ن ه ك ه د ا ن ا ف ش ا ن د |
| د م ا ز ك ا ر ك ش و ر ك ش ا ئ ي ز ن م | ن خ س ت ي ن د ر ب ا د ش ا ئ ي ز ن م |
| ك ت م ت ا ز ه ب ا ر ن ج ه ا ي ك ه ن | ز ح ك م ت ب ر ا ر ا ي م ا ن ك ه س خ ن |
| ك ه خ و ا ن د خ د ا ن ي ز ب ي غ م ب ر ش | ب ي غ م ب ر ي ك و ي م ا ن ك ه د ر ش |

(178) نظامي : شرفنامه؛ ص 55:

| | |
|---|---|
| ج د ا ك ا ن ه ب ر ه ر د ر ي ب ر د ه ر ن ج | س ه د ر س ا خ ت م ه ر د ر ي ك ا ن ك ن ج |
| ك ن م د ا م ن ع ا ل م ا ز ك ن ج ب ر | ب د ا ن ه ر س ه د ر ي ا ب د ا ن ه ر س ه د ر |

والآن وبعد أن عرفنا بالمنظومة، فقد حان الوقت لدراستها دراسة تحليلية نقدية، ولنبداً أولاً بدراسة منظومة (شرفنامه) التي تحدثت عن شخصية الأسكندر كملك فاتح وبطل منتص.

الفصل الثاني

الأسكندر الملك في منظومة (شرفنامه)

تمهيد:

بدأ نظامي منظومته (شرفنامه) بمقدمة تقليدية في توحيد الله تعالى ومدح رسوله كبقية شعراء عصره، ولكن بحكم نشأته الدينية وثقافته الواسعة - كما سبق أن أشرت - نجح في إخراج صور شعرية مجسمة ورائعة، تتميز جمال معانيها، وعمق تأثيرها النفسي.

وكان أول حديثه عن توحيد الله تعالى فقال:

إلهي أنت رب العالمين لنا الخدمة ولك الربوبية.

فأنت الملجأ للقرى والضعيف، والجميع عدم ولا وجود إلا لك.

فأنت الخالق لكل عظيم ووضيع، وأنت الخالق لكل ما في الوجود.

وانت من رفع السماء، وجعلت الأرض معبرا لها⁽¹⁷⁹⁾.

ثم انتقل إلى مدح الرسول عليه السلام فقال:

"رسول الله المصطفى مبلغ الرسالة.

محمد الذي يتخلى كل مخلوق بذكر اسمه منذ الأزل حتى الأبد⁽¹⁸⁰⁾.

⁽¹⁷⁹⁾ نظامي كنجوي: شرفنامه، ص2:

| | |
|--------------------------|---------------------------|
| خدایا جهان بادشاهی تراست | ز ما خدمت آید خدای تراست |
| بناه بلندی وبستی توئی | همه نیستند آنچه هستی توئی |
| همه آفریدست بالاوبست | توئی آفریننده هر چه هست |
| توئی کاسمانرا بر افراختی | زمین را کرگناه او ساختی |

⁽¹⁸⁰⁾ نظامي كنجوي: شرفنامه، ص 14-15:

وتحدث عن معراجه فقال:

"في الليلة التي عقدت فيها السماء المجلس، طلب الليل من النهار أن يمدّه بالضياء.

وتزينت الأفلاك السبعة بالجواهر، وارتدت الحرير الصيني.

وتهيا رضوان وملائكة الجنة لقدمه.

وعرج محمد سيد العالمين وخاتم الأنبياء سيد هذا المعراج.

فأتجه إلى المسجد الأقصى.

متخلصا من قيود الدنيا ومتجها إلى رب العرش.

فخرج حتى وصل إلى سبع سماء، حيث توجه إلى الحضرة الالهية.

وفي ذلك المكان الذي لا يمكن أن يكون هناك مكان أبعد منه، رد الله سبحانه وتعالى السلام على محمد⁽¹⁸¹⁾.

| | |
|----------------------------|------------------------|
| فرستاده خاص برورد كار | رساننده حجت استوار |
| محمد كازل تا ابد هر چه هست | بآرایش نسام أو نقش بست |

(181) نفس المرجع، ص 17 - :

| | |
|---------------------------|--------------------------|
| شبی کاسمان مجلس افروز کرد | شب ازرو شنی دعوی روز کرد |
| سرا برده هفت سلطان سریر | بر آموده کوهر بجینی حریر |
| سر سبز یوشان باغ بهشت | بسر سبزی آراسته کارو کشت |
| محمد که سلطان این مهد بود | ز جندین خلیفه ولیعهد بود |
| سرناقہ در بیت اقصی کشاد | ز ناف زمین سر باقصی نهاد |

ثم انقل الأسكندر بعد ذلك إلى الحديث عن منظومته، فحاول أن يبين للقارئ في أولها أهميتها وقيمتها العظيمة، وأن لها الحق أن تتقدم على ما سبقها من منظومات، وذلك بأن ادعى أن الخضر زاره، وأشار عليه بنظمها، وعلمه الطريقة الصحيحة لهذا النظام، فقال:

"كان الخضر المعلم عندي البارحة، وعلمني سر هذا النظم" (182).

وقبل أن يتناول منظومته (شرفنامه) بالتفصيل، أوجزها في عدة أبيان

فقال:

"أعد الأسكندر الذي كان ملكا سائحا عدته للسفر.

فبلغ أركان العالم الأربعة، ورأها، لأن الملك لا يبني إلا على أربعة أركان" (183).

ذكر الأسكندر:

كان أول حديث لنظامي عن الأسكندر عبارة عن تعريف موجز بما سيتناوله بشأنه في هذه المنظومة، فذكر أنه جلس على عرش بلاد اليونان، وهو

| | |
|---------------------------|-------------------------------|
| بممشوقی عرشیان کشت خاص | زبند بست از این کوی هفتاد راه |
| بہفتم فلک بر زده بار گاہ | بنہ بست از این کوی هفتاد راه |
| درود از محمد قبول از خدای | در آنجای کاندیشہ نادیدہ جایی |

(182) نظامی کنجوی: شرفنامه، ص 51:

| | |
|--------------------------|--------------------------|
| برازی کہ نامد بذیرای کوش | مرا خضر تعلیم کر بود دوش |
|--------------------------|--------------------------|

(183) نظامی کنجوی: شرفنامه، ص 70:

| | |
|-----------------------------|----------------------------|
| بکار سفر توشہ برورد بود | سکندر کہ شاہ جهان کرد بود |
| کہ بی جار حد ملک نتوان خرید | جهانزاهمه جار حد کشت و دید |

في العشرين من عمره، ولما بلغ السابعة والعشرين من عمره صار نبيا، فطاف العالم، ليبلغ رسالته.

وكان يبني في كل رحلة يقوم بها مدينة في كل ناحية من أنحاء العالم، من الهند إلى أقصى الصين⁽¹⁸⁴⁾.

وقد أعجب نظامي بحسن سياسة الأسكندر في بناء مدينة في كل بلد يفتحها، وذلك من أجل تعمير أنحاء العالم فقال:

"كان (الأسكندر) المهندس الماهر يقيس العالم من ساحل إلى ساحل. فقاس العالم كله بهذه الهندسة، وأراحه من الغم"⁽¹⁸⁵⁾.

أصل الأسكندر:

وعن أصل الأسكندر ذكر أن أباه اسمه (فيلقوس)، وأنه كان ملكا من ملوك بلاد الروم المشهورين، وكان موطنه بلاد اليونان ومقر حكمه إقليم مقدونية، وقد بسط نفوذه على بلاد الروم والروس⁽¹⁸⁶⁾.

وعن أصل أبيه تابع نظامي آراء بعض المفسرين المسلمين، وكتب التاريخ الإسلامية من أنه حفيد عيسى بن إسحق بن إبراهيم بن خليل الله عليه السلام⁽¹⁸⁷⁾.

وقد وصفها نظامي والد الأسكندر بأنه كان سياسيا بارط، وعادلا إلى أقصى حد، لدرجة أن الملك دارا ملك إيران حقد عليه، وأرسل يهدده ويطلب

⁽¹⁸⁴⁾ نفس المرجع، ص 71.

⁽¹⁸⁵⁾ نفس المرجع: ص 73.

| | |
|----------------------------|---------------------------|
| بديكونه مساح منزل شناس | ز ساحل بساحل كرفتي قياس = |
| =جهان راکه ازغم براحت کشيد | بدين هندسه در مساحت کشيد |

⁽¹⁸⁶⁾ نظامي كنجوى: شرفنامه، ص 80.

⁽¹⁸⁷⁾ نفس المرجع، ص 80. انظر: تفسير الرازي، الجزء الخامس، ص 751-753.

والطبري: تاريخ الطبري، الجزء الثاني، ص 9.

سرعة دفع الخراج، فما كان من فيلقوس - والد الأسكندر - ملك الروم إلا أن أرسل إليه الخراج بنفس راضيه، واستراح من بطشه. وقد صور نظامي هذا فقال:

"سر ملك الروم بذلك الخراج، وحفظ شمعه من النيزان المحرقة" (188).

ثم انتقل إلى الحديث عن اختلاف الآراء حول أصل الأسكندر فقال:

"في هذه القصة آراء كثيرة، وقد أطلعت عليها كلها".

وبعد ذلك بدأ في سرد هذه الآراء، فذكر الرأي الأول منها، ويقول فيه:

قد روى عن حكماء الروم أن امرأة زاهدة كانت تعيش في هذه البلاد.

وكانت قد حملت في الخفاء، فخرجت من المدينة خشية العار.

وحيثما حان وقت الوضع واشتدت عليها الآلمة.

فألجأت إلى زاوية، ووضعت مولودها، وماتت بعد أن فاضت روحها

حزنا على طفلها.

وكان الملك فيلقوس قد خرج في رحلة صيد، فمر بجانب تلك المرأة.

فشاهدها ميتة وعلى جنبها مولود.

كان بعض أصابعه ويرضعه لعدم وجود لبن في ثدي أمه.

فأمر أتباعه بالإسراع بدفن الأم.

وحمل ذلك الطفل أعجوبة رحلة صيده من الأرض.

وأخذه فرباه ودلله وجعله وليا للعهد من بعده (189).

(188) نفس المؤلف ونفس المرجع، ص 81:

| | |
|--------------------------|-----------------------------|
| مرا كوش بر كفته هر كسيست | دراين داستان داوريهها بسيست |
|--------------------------|-----------------------------|

(189) نظامي شرفنامه، ص 81-82.

وقد ذكر رأيا ثانيا هو أن الأسكندر ايراني الأصل فقال:

"هناك رأى آخر هو أن المجوس ينسبونه إلى نسل دارا"⁽¹⁹⁰⁾.

وقد كذب نظامي هذين الرأيين، وأصر على رأيه الذي سبق أن ذكره، وهو أن الأسكندر ابن فيلقوس اليوناني قاتلا:

هذان الرأيان كاذبان، وليس لهما أساس من الصحة.

وهناك آراء أخرى غير صحيحة، وليس الشاعر حريصا على ذكرها.

وإنما الصحيح من هذه الآراء هو أن ذلك الملك (الأسكندر) من نسل فيلقوس"⁽¹⁹¹⁾.

| | |
|-----------------------------|---------------------------|
| ز شهر وز شوي خود آو اړه كشت | بآبستتي روز بيجاره كشت |
| بـرو سخت شد دردا بستتي | جوتتك آمدش وقت بار افكتي |
| غم طفل ميخوړ دوجان ميسبرد | بويرانه بار بنهاد ومرد |
| شكار افكنان سوي آن زن كذشت | ملك فيلقوس از تماشاي دشت |
| بيالين او طفلي آورده سر | زني ديدم ده بران رهگذر |
| بما در برانكشت خود مي كزید | زبي شيري انكشت خود ميمزید |
| بكار زن مرده برداختتد | بفر مود تاجا كران ناختتد |
| فروماند از آن روز بازي شكفت | زخاك ره آن طفل را بر گرفت |
| بس از خود وليعهد خود ساختش | بيرد ويبرود وينواختش |

(190) نظامي: شرفنامه: ص 82:

| | |
|-------------------------|-------------------------|
| بدارا كند نسل اويان بست | ذكر كونه دهقان آزر برست |
|-------------------------|-------------------------|

ثم بدأ يبين لنا الدليل على صحة رأيه، فذكر أن الملك فيلقوس كان قد أقام حفلا كبيرا تزوج فيه زواجا شرعيا من إحدى فتيات وطنه، اشتهرت بجمالها وعفافها.

ويصف نظامي جمالها فيقول:

"لها طلعة بهية، وقوام ممشوق، وذؤابة كالقواس".

إنها كشجرة السنو في وسط الخميلة، حيث تتبعث رائحة البنفسج من ذؤابتيها، ورائحة الياسمين من وجنتيها.

فجمالها ساطع كالشمس وسط النهار، وعيناها الناعستان كبرعمة النرجس⁽¹⁹²⁾.

وكان الملك متيما بذلك الوجه القمري، بحيث لا ينطق لسانه الا بذكرها⁽¹⁹³⁾.

(191) نفس المرجع، ص 82:

| | |
|----------------------------|----------------------------|
| در آن هر دوکفتار جستى نبود | کز آفه سخن را درستى نبود |
| دگر گفتها جون عيارى نداشت | سخنكوير آن اختياري نداشت |
| درست آن شد از گفته هر ديار | که از فيلقوس آمد آنشهر يار |

(192) نظامي: سر قنّامه: ص 82:

| | |
|-------------------------|----------------------------|
| بدیدن همایون ببالا بلند | بابرو کما تکش بکیسو کمند |
| جو سروی که بیداکندر چمن | زکیسو بنفشه زعارض سمن |
| جمالی جودر نیمروز آفتاب | کرشمه کلان نر کسی نیم خواب |

(193) نفس المرجع ونفس الصفحة:

وقد حملت هذه العروس بين أحشائها جنيئا، ولما حان وقت الوضع، استدعى الملك المنجمين، ليخبروه بطالع هذا المولود، فأجابوه بحسن طالعه، فسر الملك كثيرا، وجلس على عرشه، ومنح الناس عطايا كثيرة⁽¹⁹⁴⁾.

وفي الحقيقة قد بدت في أول موضوع من موضوعات المنظومة وهو أصل الأسكندر، نظر نظامي المعتدلة، وعدم تعصبه لبني جنسه، وذلك على عكس ما فعل الفردوسي، فلقد اعترف نظامي اعترافا صريحا مؤيدا بالأدلة على صحة نسب الأسكندر إلى فيليب الثاني المعروف (بفيلقوس) بل أشاد بعلمه المفرط، لدرجة أن الملك دارا ملك إيران حقد عليه بسبب ذلك، وعلى الرغم من أنه ذكر أن الزردشتيين هم الذين نسبوا الأسكندر إلى الملك دارا، وهذا ليس صحيحا، وأنهم كانوا يلقبون الأسكندر (بالمعون)، وذلك بسبب حرقه لكتب ديانتهم، وتحطيمه لمعابد هذه الديانة.

ويأتي بعد ذلك دور إعدام الأسكندر وتنشئته وتربيته وهنا ذكر نظامي أن نقوماجش والد أرسطو هو الذي قام بتعليم الأسكندر وتفانى في تعليمه العلوم المختلفة كعلم آداب الملك، والعلوم العقلية التي تبصر القلوب وتثير الأذهان، وعلمه المنطق، فصار حكيما⁽¹⁹⁵⁾.

ثم ذكر لنا ان ارسطاطاليس (أرسطو) ابن نقوماجس كان زميلا للأسكندر في المدرسة، وكان يحب الأسكندر، ويتفانى في خدمته، كما كان يلقنه كل ما يتعلمه من أبيه⁽¹⁹⁶⁾.

وقد خالف نظامي بذكره أن نقوماجس كان معلم الأسكندر، وابنه أرسكو كان زميله، ما هو معروف في كتب التاريخ، وهو أن أرسطو كان معلم الأسكندر، وليس والده، ويبدو أن خلطه بين الأب والابن، يرجع إلى أن

| | |
|---------------------------|--------------------------|
| برآن ماهروشه جانان مهربان | که جزیاد اونامدش بر زیان |
|---------------------------|--------------------------|

(194) نظامي: شرفنامه، ص 83.

(195) نفس المرجع: ص 86.

(196) نفس المرجع: ص 86.

نقوماجس أبا أرسطو كان طبيب البلاط المقدوني، بينما كان أرسطو في أثينا بعيدا عن البلاط، يتعلم في مدرسة الفيلسوف الكبير أفلاطون، فلما مات أفلاطون، استدعاه فيليب الثاني أبو الأسكندر إلى البلاط، لكي يعلم ابنه (197).

لكن الواضح هنا أن نظامي لم يدقق في من هو معلم الأسكندر، بقدر ما كان يهدف إلى أن الأسكندر كان قد تعلم مختلف العلوم، بحيث بلغ بتعلمها منزلة الحكيم، وذلك تمهيدا للحديث عن الأسكندر كحكيم، بعد انتهائه من الحديث عنه كملك.

جلوسه على العرش:

تعهد نظامي عند بداية حديثه عن الأسكندر كملك، أن يصوره في صورة الملك العادل، فنذكر لنا أنه بعد جلوسه على العرش، بعد وفاة أبيه، اتبع سياسته في الحكم، حيث كان أبوه قد اشتهر بحسن سياسته وعدله المفرط كما سبق أن أشرت، فقال:

"ساد الدولة عدله، واستعاد بذلك تاج أبيه وعرشه".

وأجرى ما استحسنة من القوانين التي كان أبوه يتبعها⁽¹⁹⁸⁾.

ثم سجل نظامي أعماله الجليلة التي قام بها بعد جلوسه على العرش والتي تدل على عدله فقال:

"لم يفكر في إيذاء أحد، ولم يبعد نفسه عن جادة العدل.

فعفى التجار من الضرائب، ولم يفرض خراجا على المدنيين.

وعافى الزراع، وأجزل العطاء للفقراء.

(197) د. سيد الناصري: الإغريق تاريخهم وحضارتهم، ص 506.

(198) نظامي: شرفنامه، ص 91:

| | |
|----------------------------|----------------------------|
| ولايت زعدلش بر آوازه كشت | بد وتاج وتخت بدر تازه كشت |
| همان رسمها كزبدر ديدنه بود | نمود آنچه رایش بسنديده بود |

فكان يعمر الدولة ويعمل على ازدهارها، ويقضى على ما فيها من فساد، ويحل محله الإصلاح⁽¹⁹⁹⁾.

ويسرد بعد ذلك أعماله التاريخية خارج بلاد اليونان فبدأ بالحديث عن توجهه نحو مصر:

ذهابه إلى مصر:

كان ذهاب الإسكندر إلى مصر أول ما تحدث عنه نظامي بالنسبة لفتوحاته، ولما كان نظامي حريصا منذ البداية على تصويره كملك فاتح للبلاد، من أجل نشر العدل، وليس من أجل الغزو والاستعمار، فقد ذكر لنا أن ذهابه إلى مصر كان مسيبيا. وهذا السبب هو شكوى المصريين من ظلم الزوج المغيرين من الجنوب، فقال:

"جاء المتظلمون إلى ملك الروم يشكون قائلين: لقد صار البلاد ضيقا على المصريين.

لقد وصلت حشود ضخمة من الزوج وسدت مسالك الصحراء"⁽²⁰⁰⁾.

(199) نفس المرجع، ص 92-93.

| | |
|---------------------------|--------------------------|
| برون از خط عدله تتهاد باي | بآزرد كس نيا ورد راى |
| نجست از مقيمآن شهري خراج | ببازار كانان رها كرد باج |
| ببيما يكآن هم درم گرفت | زديوان دهقان قلم بر گرفت |
| همه خار ميكند وگل ميتشاند | عمرات هميكرد وزر ميتشاند |

(200) نظامي: شرفنامه، ص 95:

| | |
|-------------------------|------------------------------|
| تظلم زنانند برشاه روم | كه بر مصريان تنك شد مر زوبوم |
| رسيدند جندان سپاهان زنك | كه شد دربيبان كدر كاه تنك |

فأصدر الأسكندر أمر، بأن يتجه جيش عظيم من مقدونية صوب مصر، ثم يسير محاذيا لنهر النيل، حتى يصل إلى الصحراء، ويحارب الزوج المغيرين.

وقد فرح المصريون المدنيون والعسكريون بقدوم هذا الجيش واستبشروا خيرا⁽²⁰¹⁾. وقد صور نظامي القتال الذي دار بين جيش الأسكندر والزوج في شكل قصة مثيرة لها بداية وعقدة ونهاية، ويطلبها هو الأسكندر قائد الأسكندر قائد هذه الجيوش وذلك من أجل اظهار بطولته وشجاعته وذكائه.

وكانت بداية هذه القصة هي أنه في أول لقاء بين الجيشين، دار قتال شرس، أريق في دماء كثيرة، وانتهى بأن فتك الزوج بالروم، وأوقعوا فيهم خسائر فادحة في الأرواح وقتلوا وزير الأسكندر، ويدعى (طوطيانوش)، ونكلوا به ليكون عبرة أمام جنوده.

ويصف نظامي بشاعة هذا التتكيل فيقول:

"سيطر الخوف على الروم، بسبب ما فعله الزوج بطوطيانوش من تتكيل.

فقد صبوا دماؤه في كأس، وشرب ملكهم على الفور تلك الدماء الساخنة قبل أن تتجلط"⁽²⁰²⁾

أما عقدة هذه القصة فتتمثل في أن الأسكندر شعر أن جنوده قد بدأ الخوف والفرع يسيطران عليهم، ولم يعد لديهم الجرأة والشجاعة على مواجهة جيش الزوج مرة أخرى.

⁽²⁰¹⁾ نفس المرجع: ص 96.

⁽²⁰²⁾ نظامي: شرفنامه، ص 1045.

| | |
|-----------------------------|-------------------------------|
| که باطوطیا نوش زکی جه کرد | که رومی بترسید از آن بیخ خورد |
| بخورد از سر خامی آن خون خام | در افکند خون دلور بجام |

وكان حل هذه العقدة أن الأسكندر دبر حيلة، استطاع بها جنوده استرداد تقّتهم بأنفسهم، وهي أن أمر أتباعه بأن يأسروا عددا من الزنوج من الطريق، ويقودوهم إلى الأسكندر وبعد أن أحضر أتباعه الزنوج إليه، أمر الأسكندر بقطع رأس واحد منهم، ثم أرسلها إلى الطباخ، قائلا له باللغة الزنجية "اغسل هذا الرأس واطهه كي يأكله الملك المغوار" وكان الأسكندر قد اتفق من قبل مع الطباخ، على أن يبذل رأس الزنجي برأس خروف، ثم يصبغها باللون الرمادي، ويخليها من العظام، ولا يطهئها جيدا، وبعد ذلك يحضرها إليه. فلما انتهى الطباخ مما كلف به، أحضر الرأس إلى الأسكندر، فقام الأسكندر أمام بقية أسرى الزنوج بتمزيقها ومضغها، وهو يقول: "أحضروا لي مخه، فليس هناك شيء أفضل من مخ الإنسان، فلو كنت أعلم من قبل أن لحم الزنوج مفيد لصحتي، لما كنت قد أكلت لحم الأسرى المذبذبين من الروم، وأكلت بدلا من لحم الزنوج اللذيذ الطعم" (203).

وبعد ذلك أطلق الأسكندر سراح بقية الأسرى الزنوج، فرجعوا إلى ملكهم خائفين مفزوعين، وحكوا له ما شاهدوه، فأدرك ملكهم نية الأسكندر على الانتقام.

وكان نهاية هذه القصة أن تهيأ الجيشان للقتال، وكان الأسكندر بنفسه على رأس جيشه، ويقول نظامي:

كان الأسكندر بن فيلقوس وسط الجيش، يزين كالعروس الصفوف
الأمامية (204).

ثم دار بينهما قتال عنيف، انتهى بهزيمة الزنوج هزيمة نكراء، واستيلاء الروم على غنائم كثيرة لا حصر لها..

(203) نظامي: شرفنامه، ص 106.

(204) نفس المرجع: ص 110.

| | |
|--------------------------|-------------------------|
| جناحي برأ راسه جون عروس< | يقلب اندر أسكندر فيلقوس |
|--------------------------|-------------------------|

ويعصف نظامي ضراوة هذا القتال، فيقول:

فاق القتال بين الجيشين كل حد، بحيث يصعب على التاريخ
تسجيله⁽²⁰⁵⁾.

وبعد هذا النصر، دخل الأسكندر مصر، وأحسن معاملة المصريين فبنى
أول مدينة على ساحل البحر، وسماها الإسكندرية نسبة إلى اسمه يقول نظامي:
"جعلها بالعمران رائعة كالجنة، وأقام الأسواق الفاخرة والمزارع
الخضراء في أنحاءها.

ولم تم بناؤها سماها الإسكندرية نسبة إليه⁽²⁰⁶⁾.

وبعد ذلك عاد الأسكندر إلى بلاده عن طريق البحر.

النزاع بين الأسكندر ودارا:

بدا عدم تعصب نظامي لبني جنسه، في أول حديثه عن العلاقة بين
الأسكندر والملك دارا، حيث صور الأسكندر أكرم خلقا من دارا، وذلك تأثرا
بشخصية الأسكندر في القصة النثرية (أسكندرنامه)⁽²⁰⁷⁾، فقال نظامي في
وصف لاهدايا التي أرسلها الأسكندر إلى دارا حتى يسود الود والسلام بينهما
"عندما حان دور دارا، وصلت إليه الجمال محملة بالذهب حتى بخارى وقد كلف

(205) نظامي: شرفنامه، ص 130.

| | |
|---------------------------|-------------------------|
| ستيزد ولشكر جو از حد كذشت | زمانه يكى را ورق درنوشت |
|---------------------------|-------------------------|

(206) نفس المرجع، ص 137:

| | |
|----------------------------|---------------------------|
| بآبادي وروشنى جون بهشت | همش جاي باز اروهم جاي كشت |
| باسكندر آن شهر جون شد تسام | هم اسكندريه ش نهادند نام |

(207) انظر الرسالة، ص 105-108.

رسولا خبيراً وماهراً، ليقوم بأداء هذه المهمة، وانتقى طرائف كثيرة من أئمن الغنائم التي غنمها، لم تر العين مثلها»⁽²⁰⁸⁾.

فلما وصت هذه الهدايا الثمينة إلى دارا، تملك الحد قلبه، فأجاب إجابة تافهة، لم تعجب الأسكندر، فتضايق من فعله، ونوى تأديبه، ويستتكر نظامي تصرف دارا فيقول:

كشفت عن حقه الدفين، وأجاب إجابة لا تليق به⁽²⁰⁹⁾.

وكان أول تصرف للأسكندر تجاه دارا، هو امتناعه عن دفع الخراج له، كما كان والده يدفعه من قبل. فغضب دارا، وأرسل للأسكندر رسولا ومعه خطابا حاد اللهجة يطلب فيه الخراج يقول:

"لقد كنت تدفع الخراج لبلاطنا من كنوزك فأني ضعف رأيتة علينا حتى تمتنع عن الامتثال لطاعتنا.

ادفع الخراج كما تعودى، ولا تشق عصا الطاعة، حتى لا يلحق الضرر بك"⁽²¹⁰⁾.

⁽²⁰⁸⁾ نظامي: شرفنامه، ص 138:

| | |
|--------------------------|-----------------------------|
| شتر بار زر تا بخارا رسيد | جونن نوبت بسر بخش دار ارسيد |
| كه آيين آنخدمت آرد بجای | كزين كردمردى بفرهنگ وراى |
| كزانسان نبيند طرايف كسى | كزید از غيبت طرايف بسى |

⁽²⁰⁹⁾ نفس المرجع، ص 139:

| | |
|---------------------------|----------------------------|
| در كين بوششیده را باز كرد | نه برجای خود باسخى ساز كرد |
|---------------------------|----------------------------|

⁽²¹⁰⁾ نظامي: شرفنامه: ص 156:

| | |
|------------------------|--------------------------------|
| زركاه ما وا كرفتى خراج | كه چون بود كز كوهر و طوق و تاج |
|------------------------|--------------------------------|

ولكن الأسكندر رفض، وأرسل إلى دارا ردا جافا مع رسوله، يتضمن تحذيرا له من بطشه، مع استشهاده بحروبه مع الزنوج، وتنكيله بهم، قائلا: اذهب وقل للملك الشجاع أنه لا يمكن الاغارة على الأسد المفترس. فلقد تغير الزمان، وماتت تلك الدجاجة التي كانت تبيض البيضة الذهبية. ولقد طوى الزمان البساط القديم، وحل مكانه بساط ملك آخر. لعل الملك لا يعرف عدد الرؤوس التي أطحت بها في حروبي مع الزنوج.

فلا تشغل الفتن، ولا تثر الأحقاد، ولا تجلب الدمار لبلاد إيران.
ولا تطالبي بما لن يتحقق لك، وتعامل معي ملكا ملك⁽²¹¹⁾.

| | |
|---------------------------|----------------------------|
| که بردی سراز خط بر کار ما | زبونی چه دیدی تودر کار ما |
| مکن سر کشی تا نیابی کزند | همان رسم دیرینه را کار بند |

(211) نظامی: شرحنامه، ص 157-158:==

| | |
|-----------------------------|----------------------------|
| که نتوان ست غارات از تندشیر | برو بانکه زد شهریار دلیر |
| شد آن مرغ کوخایه زرین نهاد | زمانه دگر کونه آیین نهاد |
| بساطی دگر ملک راتازه کشت | سپهر آن بساط کهن درنوشت |
| چه سرها بریدم در اقصای زنگ | مگر شه نداند که در روز جنگ |
| خوابی میاور در ایران زمین | میکنیز فتنه میفروز کین |
| چنان باش بامن که باشاه شاه | زمن آنچه برنایدت در مخراه |

فأعاد دارا رسوله إلى الأسكندر للمرة الثانية، ومعه رسالة تهديد مصحوبة بهدية كلها ازدياء وسخرية، حيث كانت عبارة عن كرة وصولجان، وكان مملوءة بحبوب كثيرة لا حصر لها، ووضح في الرسالة هدفه من إرسال هذه الهدية، حيث قال:

"أهديتك أولا الكرة والوصولجان، لأنك طفل، ويليق بك أن تلعب بهما. أما هذه الحبات التي لا حصر لها، فلتدرك أنني قادم إليك بجيش أكبر عددا منها"⁽²¹²⁾.

وقد رد عليه الأسكندر ردا قويا وبليغا فقال:

"لحل الملك يهدف من إعطائي الكرة والوصولجان، أن أطيح بملكه. لأن الكرة ستعين الجغرافيين علي معرفة شكل الكرة الأرضية. وبما أن الملك قد قام لنا كرة هدية، فإنني سأثير بها الكرة الأرضية عليه.

وحيث أنه قد بينت لي في جرأة ووقاحة عدد جيوشك بهذه الحبوب. فإنني سألقى بهذه الحبوب في فناء القصر وأحضر طيوراً آكلة لهذه الحبوب.

فتنقض عليها، وتلتهمها في لحظة⁽²¹³⁾.

⁽²¹²⁾ نفس المرجع، ص 160:

| | |
|----------------------------|------------------------------|
| زجو كان ركوى اندر آمد نخست | كه طفلى تو بازى باين كن درست |
| همان كنجد نا شمرده فشاند | كزين بيش خواهم سبيه برتوراند |

⁽²¹³⁾ نظامي: شرفنامه، ص 160-161=

| | |
|------------------------------|--------------------------|
| =مكرشاه از آن داد جو كان بمن | كه تازوكشم ملك بر خويشتن |
| همان كوى را مرد هيئت شناس | بشكل زمين مى نهد درقياس |

ولعدم تعصب نظامي لبني جنسه، وحرصه على تصوير الأسكندر في صورة الملك المحب للسلام، صور الملك دارا للمرة الثانية في صورة الملك التأثير المحب للظلم والجور. فنذكر لنا أن دارا أدرك نية الأسكندر، بعد أن وصله رده، فجمع الإيرانيين، وطلب العون منهم، كما طلب مساعدة الصين وخوارزم وغزنة وغور، وجمع جيشا جرارا يتكون من الفرسان الشجعان والأبطال الجسورين بحيث بلغ عدده خمسمائة ألف جندي، وتوجه به إلى بلاد الروم، مخربا ومدمرا لكل بلد يمر بها. يقول نظامي:

ساق جيشا ثائرا وكأنه نيران متوهجة إلى بلاد الروم، وجعل كل بلد يمر بها خرابا ووكرا لليوم⁽²¹⁴⁾.

أما الأسكندر فقد صورته في صورة الملك الحكيم المتزن، فقد ذكر لنا أنه عندما علم بمجيء دارا بهذا الجيش الكبير، جمع هو الآخر جيشا من كل البلاد، من مصر والفرنجة والروم، والروس، وأعدّه للقتال، وقد بلغ عدده ثلاثمائة ألف جندي.

وبعد أن أتم أعداد الجيش، جمع عظماء الروم، ليتشاور معهم في شأن محاربة دارا، فأجابوه قائلين:

على الملك الشهير أن يربط الحزام من أجل القتال.

| | |
|-----------------------------|----------------------------|
| جو كوى زمين شاه مارا سيرد | بدين كوى خواهم ازو كوى برد |
| جوزين كونه كرد آن كزار شكرى | بكنجد در آمد در دا وری |
| فر وریخت كنجد بصحن سراى | طلب كرد مرغان كنجدر باى |
| بيك لحظة مرغان دراو تاختيد | زمين را زكنجد بيرداختيد |

⁽²¹⁴⁾ نظامي: شرفنامه: ص 162:

| | |
|----------------------------|------------------------------|
| سباهي جو آتشی سوى روم راند | كجا اوشد آن بوم را بوم خواند |
|----------------------------|------------------------------|

قالوقت أصبح ضيقا، ولا يوجد مجال للتفاوض في الحرب أو السلم⁽²¹⁵⁾.

وفي تلك الأثناء أرسل دارا إلى الأسكندر خطابا شديد اللهجة يقول فيه:
 "أيها الطفل الساذج، لا تضرب بقبضتك الضعيفة الأسد الشرس.
 إنك مثل العقرب وتسلك سلوك الثعبان، فماذا تفعل أمام الثعابين الفاتكة.
 إنني سأطيح بك بسيفي الباتر، فعليك أن تختار الموت أو الهروب.
 فيا سم الله الذي لا عدو له سوى الشيطان، وبزردشت الذي هو خصم
 للشيطان.

اننى سأقضى على بلاد الروم وقاطنيها، ولن أبقى لهم أثرا، وسألتهمهم كالنيران المغرمة"⁽²¹⁶⁾.

(215) نظامي: شرفنامه: ص 165:

| | |
|-------------------------|-----------------------------|
| كمر بست بر جستن كار زار | جنبين گفت كاين نامور شهريار |
| كه آمد باويختن كار تنك | جه سازيم تدبيرش از صلح وجنك |

(216) نفس المرجع: ص 185:

| | |
|----------------------------|----------------------------|
| مزن ينجه در شير جنك از ماى | تواى طفل نابخته خام راى |
| كه با ازدها جنگجوى كنى | جوكز دم توئى مار خوئى كنى |
| كه يامرك خواهى زمن ياكريز | جنانت دهم مالش از تيغ تيز |
| بز رذشت كو خصم اهريمنست | ببزدان كه اهزيش دشمنست |
| شوم بر سر هر دو آتش فشان | كه از روم ورومى نماتم نشان |

وقد رد عليه الأسكندر بخطاب، أظهر فيه نظامي خلق الأسكندر الكريم، وهو أنه ما زال حتى هذا الوقت العصيب يفاوضه في السلام، ولا يبغى الحرب معه. كما ظهرت في هذا الخطاب وطنية نظامي، فتفاخر ببطولات ملوك الفرس القدماء، كذلك تغلبت عليه العاطفة الإسلامية، فأشار إليه تهديد الأسكندر بقضائه على الديانة الزردشتية⁽²¹⁷⁾ السائدة في إيران في ذلك العصر، والتي تخالف الدين الإسلامي. يقول في هذا الخطاب:

لو أمدني الله بالعون، فهذا ليس عجيباً لأنه منحني الملك.

أننى أستطيع أن أرفع رأسي عالياً وأصارع الأسد بسيفي.

فماذا فعل فريدون بقوته الخارقة التي تشبه قوة الثعبان بالضحاك ذلك الرجل الذي له طبيعة الثعبان.

فباسم مالك السموات والأرض، وخالق كل شيء.

أننى لو أدركت الإيرانيين، لخلصتم من دين زردشت.

أننى مستعد لقتالك لو عزمت على الحرب، ومستعد للصلح، لو أردت السلام.

فأنا موافق على ما تريده سواء كان حرباً أم سلاماً⁽²¹⁸⁾.

⁽²¹⁷⁾ تنسب الديانة الزردشتية إلى (زردشت) نبي الفرس، وهي تقوم على عبادة النار.

⁽²¹⁸⁾ نظامي: شرفنامه، ص 191-196:

| | |
|--------------------------|----------------------------|
| عجب نیست کر شهریارى دهد | مرا کر خداوند یاری دهد |
| بشمشیر با شیر بازی کنم | توانم که کردن فرازی کنم |
| هم از قوت ازدهائی چه کرد | فريدون بدان ازدها باره مرد |
| کزومايه دارد همان وهمين | بدارنده آسمان وزمین |
| بزم دین زردشت را از میان | که کرد ست یابم برایر انیان |

ثم انتقل نظامي إلى وصف المعارك التي دارت بين الأسكندر ودارا، وقد أطنب في وصفها بدرجة كبيرة (لا داعي لخوض في تفاصيلها) وأن كنا نلاحظ أن نظامي لم يشر فيها إلى هزيمة دارا على يد الأسكندر بل اكتفى بأن وصفها بأنها كانت معارك شرسة غاية في الضراوة فقال:

"وصل الجيشان إلى ميدان القتال، واصطفا كالجبلين الشاهقين. ثم التحم الجيشان في قتال عنيف وشرس.

حتى ليخيل إليك أن الأرض قد زلزلت زلزالها، وأن اسرافيل نفخ في الصور ايدانا بقيام الساعة.

فقد ارتفع غبار الأرض عاليا، وانفلت عنان السلامة.

ومن كثرة تصاعد غبار الأرض، صارت السماء كالأرض، والأرض كالسما، بحيث يصعب التفرقة بينهما.

وكان الملك دارا في قلب جيشه يقاتل كالأسد الهائج.

وكان الأسكندر يهاجم بشراسة في يوم القيامة هذا، وفي كلتا يديه سيف حاد وباتر.

كما كان الجيشان يهاجمان كالجراد والنمل. وكان القتل يدور بين عالمين⁽²¹⁹⁾.

| | |
|------------------------------|--------------------------|
| زره بوشم ارتيخ يا زي كنى | كمر بندم ار صلح سازى كنى |
| بهرجه آن نمائى نواز كرم وسرد | بدير نده ام زاشتى وتبرد |

(219) نظامي: شرفنامه، ص 198-203:

| | |
|------------------------|----------------------------|
| رسيدند لشكر بجائ مصاف | دوبر كار بستند جون كوه قاف |
| روا رو برامد زراه نبرد | هزاهز درامد بمردان مرد |

أما عن مقتل الملك دارا، فقد تأثر نظامي بما نظمته الفردوسي⁽²²⁰⁾، وأضاف عليه تأمر الأسكندر مع قاتلي دارا على اغتياله، فذكر أن ضابطين من ضباط دارا المقربين إليه في الظاهر، والخائنين لفي الحقيقة، تقدما إلى الأسكندر بعد أن طلب الجيشان فترة من الهدنة، وأظهرا له أنهما ضاقا ذرعا بظلم دارا وغدره، فحقدوا عليه، ثم بينا أنهما يريدان إراقة دمه، وفق خطة محكمة، على شرط أن يمنحها ثروة مالية كبيرة⁽²²¹⁾.

فوافق الأسكندر وعقد الاتفاقية، ومنحهما الثروة، وفقا لما وعدهما به⁽²²²⁾.

وقد صور نظامي جريمة قتل دارا فقال:

| | |
|---------------------------|---------------------------|
| سرافيل صرو قيامت دميد | زمين كفتی از یکدیگر بردید |
| عنان سلامت برون شد زدست | غبار زمين بر هوا راه بست |
| زمين آسمان آسمان شد زمين | زيس كر برتارك وترك وزين |
| براشفت جون شرزه شير سپاه | جها نجوى دارا ز قلب سپاه |
| برانكخته از جهان ر ستخيز | وزي سو سكندر بشمششير تيز |
| بهر دست شمشيري الماس كون | دوست آوریده بکوشش برون |
| نبردی جهان در جهان ساختند | دولشكر جومور وملخ تاختند |

⁽²²⁰⁾ انظر الرسالة، ص 43-47.

⁽²²¹⁾ نظامي: شرفنامه، ص 205-206.

⁽²²²⁾ نفس المرجع: ص 206.

| | |
|----------------------------|---------------------------|
| به بيمان در خواسته داد دست | سكندر بدان خواسته عهد بست |
|----------------------------|---------------------------|

"مد الضابطان الغادران في اندفاع طائش وكأنهما فيلين أيديهما إلى جسد الملك الضخم البينة.

وضرباه بسهم في جنبه، فتلوثت الأرض بدمائه، وصارت كالروضة المملوءة بالشقائق الحمراء.

فخر دارا صريعا، بسبب ذلك الجرح العميق، فتزلزلت الأرض، وكان يوم القيامة قد حل" (223)،

ويصف الفردوسي ندم الأسكندر على تأمره مع الضابطين فيقول:

ولما علم الأسكندر أن هذين الأحمقين - على الرغم من سابق اتفاقه معهما - قد تجاسرا على إراقة دم الملوك.

ندم علمي اتفاقه الذي عقده معهما، لأنه رفع العصمة عن روحه (224).

ثم تقدم الأسكندر إلى دارا، في صحبة هذين القتالين، فلما وصل موكبه إلى دارا، تباعد الذين التقوا حوله، فرأى الأسكندر جسد دارا الضخم ملطخا بالدماء والتراب، وقد انخلعت قلنسوته الكيانية عن رأسه، فترجل الأسكندر جلس بجواره، ووضع رأسه على فخذه.

(223) نفس المرجع: ص 214:

| | |
|----------------------------|---------------------------------|
| دوسر هتک غدار جون بیل مست | بران بیلتن برکشاندند دست |
| زندش یکی تیغ بهلو گزار | که از خون زمین کشت جون لاله زار |
| در افتاد دارا بدان زخم تیز | ز کیتی برآمد یکی رستخیز |

(224) نظامی: شرفنامه، ص 214:

| | |
|------------------------------|-----------------------------|
| سکندر جو دانست کان ابلهان | دلیرند بر خون شاهشهان |
| یشیمان شد از کرده بیمان خویش | که برخاستش عصمت از جان خویش |

وَيَصُورُ نِظَامِي الْمَشْهَدَ الْأَخِيرَ بَيْنَهُمَا فَيَقُولُ:

"أَغْمَضُ دَارَا الرَّاقِدَ عَلَى التُّرَابِ عَيْنِيهِ وَقَالَ لَهُ: إِنَّهُضْ مِنْ هَذَا التُّرَابِ
وَالدَّمِ.

وَدَعْنِي، فَلَمْ تَبْقَ لِي نِجَاةً، وَلَمْ يَبْقَ لِمِصَابِحِي ضِيَاءٌ.

فَأَنَا بِالنِّسْبَةِ لِلْأَرْضِ تَاجٌ يَتْرَبَعُ عَلَى مَفْرَقِ السَّمَاءِ فَلَا تَهْزَنِي، حَتَّى لَا
تَهْتَزَ الْأَرْضُ" (225).

ويبدو من قول دارا هذا، أن نظامي قد تغلبت عليه النعرة الإيرانية،
فأراد أن يبين للقارئ على لسان دارا، أنه على الرغم من تغلب الأسكندر على
ملك بلاده، إلا أن بلاده في ذلك الوقت كانت لها السيادة على العالم، وكان ملكها
ملك العالم، بحيث أن الأرض ستهتز لوفااته.

وقد تأثر الأسكندر بما قاله دارا، فأراد أن يبين له أنه لم يكن راغبا في
قتله، فقال:

"أيها الملك، أنا الأسكندر خادمك.

إنني لم أكن أُرغب أن تتلوث رأسك بالتُّراب، ويلطخ وجهك بالدماء.

ولكن ما فائدة الندم إذا حم القضاء.

فلو كتبت لك النجاة، فسأكون تابعا لك.

أقسم بالله عالم الغيب والأسرار، أنني في أشد الحاجة إلى شفاء دارا.

(225) نفس المرجع: ص 215-216:

| | |
|-------------------------------|---------------------------|
| بدو كفت بر خيز ازین خون و خاك | فروسته چشم آن تن خوابناك |
| جراغ مرا روشنائی نماند | رهاكن كه درمن رهائی نماند |
| مزران مرا تا نلرزد زمين | زمين را منم تاج تارك نشين |

وفي رأيي أن شعرة من رأس الملك أثمن من آلاف التيجان.
فقل كل ما عندك من رغبات، حتى أمر بتنفيذها، وأنى أعدك بذلك»⁽²²⁶⁾.
فأجابه دارا قاتلا:

«لي رغبات ثلاث، أرجو أن تتحقق بفضل ملك العالم.
أولهما: أن تقتص ممن قتلني بغير ذنب.

وثانيها: ألا تقضي - حينما تصبح ملكا على إيران - على أحد ممن كانوا
على عرش الكيانيين.

فانزع بذور الحقد من قلبك، ولا تقطع دابرنا من تلك الأرض.
وثالثهما: أن تنتهك حرمة أسرتي.

بل ارفع من قدر ابنتي روشنك.

وذلك بأن تتزوجها، فقد رببتها تربية سامية ورفيعة.

(226) نظامي: شرفنامه، ص 216 - 218:

| | |
|------------------------------|---------------------------|
| سكندر بناليد كاي تاجدار | سكندر منم جساكر شهريار |
| نخواهم كه برخاك بودى سرت | نه آلوده خون شدى بيكرت |
| وليكن جه سويست كايين كار بود | تأسف ندارد درين كار سود |
| اگر تاجور سر بر افراختى | كمر بند او جاكرى ساختى |
| بداراى كيتي وداناي راز | كه دارم بيهود دارا نياز |
| بنزديك من يكسر موى شاه | كراميتز از صد هزاران كلاه |
| بكو هر جه دارى كه فرمان كنم | بجاره كرى با تويمان كنم |

فلا تبعد قلبك المشرق عنها، لأن الشمس يجب أن يلازمها النور» (227).

ومات دارا بعد أن أنهى كلامه، فبكاه الأسكندر، ثم أمر أن يعدوا مقبرة لائقه به، وأن يضعوا جثمانه في تابوت من الذهب، وأن يدفنوه في جنازة رسمية تليق بمكانته (228).

جلوس الأسكندر على عرش إيران:

صور نظامي الأسكندر في صورة الملك الكريم العادل، فنذكر لنا أن الأسكندر بعد أن دخل إيران، جمع جميع كنوز دارا القديمة والحديثة، كما أحصى جميع ممتلكاته من التحف والطرائف النادرة والتيجان والملابس الملكية والجواهر، ثم قام بفتح تلك الخزائن أمام المحتاجين، واجزل العطاء للطالبيين (229).

(227) نفس المرجع: ص 219:

| | |
|------------------------------|----------------------------|
| براید باقبال شاه جهان | سه چیز آرزو دارم اندر نهان |
| توباشی درین داوری داد خواه | یکی آنکه برکشتن بیکناه |
| جو حاکم توباشی نیاری زیان | دویم آنکن برتاج وتخت کیان |
| نبردازی از تخمه مازمین | دل خود بیسردازی از تخم کین |
| حرم نشکني در شبستان من= | سوم آنکه بر زیر دستان من |
| بدان نازکی دست بخت منست | =همان روشنگ راکه دخت منست |
| که خوان گر ددازنازکان ارجمند | بهم خوانی خود کنی سربلند |
| که با روشنی به بود آفتات | دل روشن از روشنگ بر متاب |

(228) نظامي: شرفنامه، ص 220.

(229) نفس المرجع: ص 227.

ففرح الإيرانيون بهذه العطايا، ودانوا له بالولاء.

ويصف نظامي موقفهم هذا فيقول:

أثنوا على الملك قائلين: ليكن الله معنا لك.

فقد رحل الملك القديم، وأنت ملكنا الجديد.

ولن يكون ملك علينا سواك، ولن يخالف واحد منا رأيك، كانا رهن

إشارتك، ومدينون لك بالولاء»⁽²³⁰⁾.

ولما رأى الأسكندر ولاء الإيرانيين له، أمر بإحضار قاتلي دارا، والإطاحة برأسيهما عقابا لهما على جريمتهما⁽²³¹⁾، وذلك من أجل إخفاء ما كان بينه وبينهما من تأمر على قتل دارا قبل ذلك، ثم أمر الإيرانيين بترك عبادة النار، واعتناق دين الملك الجديد، ألا وهو عبادة الله وحده الذي لا شريك له. وفي سبيل نشره أمر بحرق عبدة النار وتحطيم معابدهم⁽²³²⁾.

وكما سبق أن ذكرت فقد أثرت هنا عاطفة نظامي الإسلامية عليه بصفته مسلما متدينا، بل غلبت على عاطفته الوطنية، فجعلته ينظر إلى حرق عبدة

| | |
|-----------------------|-------------------------|
| در كنج بکشاد برهر کسی | خزینة بسی داد و کوه بسی |
|-----------------------|-------------------------|

⁽²³⁰⁾ نظامي: شرفنامه، ص 227-228:

| | |
|-------------------------|----------------------------|
| کرفتند بر شهریار آفرین | که یار تو بادا سبهر برین |
| کهن رفت و شاه نوما توئی | نه خسرو که کی خسرو ما توئی |
| نیجد کی کردن از رای تو | سر ما و بائینکن بای تو |

⁽²³¹⁾ نفس المرجع: ص 228:

⁽²³²⁾ نفس المرجع: ص 239:

| | |
|--------------------------|--------------------------|
| مغانرا با آتش سبارند رخت | بر آتش کده کار کیرند سخت |
|--------------------------|--------------------------|

النار، وتحطيم معابدهم، على أنه عمل نبيل وصالح، من وجهة نظره الإسلامية العامة الواسعة.

ولعل نظامي قد أشار إلى عبادة الله الواحد، على أساس أنه اعتبر الإسكندر - كما سيرد ذكر ذلك في الجزء الثاني من المنظومة - نبيا مرسلا من قبل الله عز وجل، ولا شك أن أثر التوحيد الإسلامي هو الذي جعل نظامي يسلك هذا المسلك في تصوير شخصية الإسكندر.

أما عن زواج الإسكندر بروشنك ابنة دارا، فقد ذكر لنا نظامي أنه يعد أن استقرت الأمور للإسكندر، فتح الخزائن، وارتدى الخلع الملكية، وأمر بتزيين قصر دارا، استعدادا لزواجه من روشنك. كما أمر أيضا بتزيين جميع أنحاء البلد، وإقامة الأفراح، يقول نظامي:

"تزينت جميع ضواحي البلاد بالزينات الخوارزمية والديباج الرومي.
ورفعت الأعلام عالية تناطح السحاب، وكأن الدنيا قد تحلت بزينات جديدة.

وجلس المطربون في كل ناحية يعزفون ويغنون" (233).

ثم عقد زواجه على روشنك، وفاء لعده مع أبيها، فأحبها وأحسن معاملتها.

وبعد إتمام الزواج توجه الإسكندر إلى مدينة اصرخر، وجلس على عرش إيران.

(233) نظامي: شرفنامه، ص 250-251:

| | |
|--------------------------|--------------------------|
| مطرا كنند آنهمه مرز ويوم | بمنسوج خوارزم وديبای روم |
| جهانرا نو آرايشی ساختند | علم ها بکرد بر افر اختند |
| اظنی سرائی وبسريط زنی | نشاندند مطرب بهر برزنی |

ولقد اعتبر نظامي هذا شيئاً طبيعياً ليس فيه معنى الانكسار والهزيمة لبلاده حيث أصبح واحداً منهم فبعد أن تزوج أميرة إيرانية أصبح خليفاً بعرش إيران، فقال:

توجه إلى اصطخر، وهناك لبس التاج وجلس على عرش كيومرت وكيقباد.

فتزين به ملك إيران، وقويت به شكيمة الأبطال.

وتوافد إليه العظماء مهنتين، لأنهم ارتفعوا بذلك الملك العظيم⁽²³⁴⁾.

ثم وجه الأسكندر خطاباً إلى شعب إيران بين فيه سياسته العادلة التي يتبعها مع شعوب البلاد التي يفتحها، فقال:

"لقد جئت من أقصى الروم إلى إيران، لأجعل الصعب سهلاً بسياستي الحكيمة.

لق استلهمت العدل من السماء، ولا أريد عنه لحظة.

اننى نصير المظلومين، وأخذ بيد الضعفاء.

ولأنني اليوم سلكت الطريق الصواب، فقد عرفت غدى.

لقد جمعت الخراج، لذلك لن آخذ خراجاً أو جزية من ولاية.

ولو عثرت على كنز من كنوز الدنيا، فإننى سأحضره وأقسمه بين

الجميع.

(234) نظامي: شرفنامه، ص 258:

| | |
|------------------------|--------------------------|
| بجای کیومرث وکیقباد | باصطخر شد تاج بر سر نهاد |
| قوی کشت بشت دلیران بدو | شد آراسته ملك ایران بدو |
| بدان بزرگی سر افر اختد | بزرگان بدو تهیت ساختد |

وسأمنح كل شخص مفتاح السعادة، وسأوفر لكل شخص العمل المناسب.
فأنا لا أخشى أي شخص سوى الله.

لذا فإنني سأسحق كل شخص انتهازي وضيع، وسأمنح من يستحق العطاء.

وأقابل الإساءة بالإساءة، والحسنة بمائة حسنة.

فأنا لم أت من تلقاء نفسي من بلاد الروم إلى إيران، ولكن الله هو الذي أرسلني إلى هنا.

لأظهر الحق على الباطل، ولأجد المفتاح لكل قفل وقييد.

ولأساند أصحاب الحق، وأهل أهل الباطل.

فلتكن يا إلهي معينا لي، ولتحمني من شر الحاسدين»⁽²³⁵⁾.

⁽²³⁵⁾ نظامی: شرفنامه، ص 258-261:

| | |
|------------------------------|------------------------------|
| بفرمان من مننگ را كرد موم | باير انم آورد از اقصای روم |
| که ناسایم از داوری یکرمان | بذیر فتم از دا ور آسمان |
| شب تیر کانرا درخشی کنم | ستمیدیه را داد بخشی کنم |
| که آکاهم ازورفو دای خویش | ره راستی کیرم امروز بیش |
| نه ساو از ولایت ستانم نه باج | ده ود و ده را بر کر فتم خراج |
| مهیا کنم قسمت هر که هست | کر کنجی آرم ز دنیا بدست |
| کنم بایه کار هر کس بدید | دهم هر کسی را زدولت کلید |
| مکر زان کسی کا بودتر سکار | ندارم زکس ترس در هیرج کار |
| ببخشایم آنرا که بخشود نیست | در آس افکنم هر کر اسود نیست |

وبعد ذلك أمر الأسكندر بأن يجمعوا الكتب الفارسية في أسرع وقت، وترسل مع المترجمين إلى بلاد اليونان، لتترجم⁽²³⁶⁾.

ثم عزم على الطواف حول العالم، فأستدعى وزيره ارسطوه وأفصح له عن رغبته هذه، وطلب منه أن يصطحب معه زوجته روشنك إلى اليونان⁽²³⁷⁾.

وقد نصحه ارسطو قبل مغادرة إيران، بعدم تعيين أحد من الروم على إيران، وضرورة تقسيمها على أبناء الملوك، حتى ينشغلوا بماتحت حوزتهم، وفي التنافس مع بعضهم البعض، وبذلك يتجنب ثورتهم على بلاد اليونان، كما نصحه بعدم إراقة دماء الملوك حتى لا يثير الفتن ضده، ولا يريق دم مظلوم خوفا من انتقام الخالق⁽²³⁸⁾.

وقد غلبت هنا النعرة الإيرانية على نظامي، فادعى أن الأسكندر قد قسم حكم إيران على أبناء ملوكها، وذلك ليدفع عن بلاده عار الاحتلال، بينما التاريخ الحقيقي يثبت أن الأسكندر أسند أمر ولايات إيران لبعض قواد الروم الذين كانوا دويلات بعد ذلك عرفت باسم (السلوكيين).

ورجع أرسطو إلى اليونان، ومعه روشنك ابنة دارا وزوجة الأسكندر، وهي تحمل جنينا، فلما وضعته، سمته (اسكندروس) بناء على أمر والده

| | |
|----------------------------|----------------------------|
| بياداش نيكي يكي صد كنم | بجای یکی بد یکی بد کنم |
| خدایم فرستاد ازان مرز وبوم | بخود نامدم سوی ایران زروم |
| زمن بند هر قفل یابد کلید= | بدان تاحق از باطل آرم بدید |
| بباطل برستان در آرم هلاک | =سرحق شناسان بر آرم زحاک |
| ز چشم بدان رستکاری دهاد | خدایم در این کار یاری دهاد |

⁽²³⁶⁾ نفس المرجع، ص 268.

⁽²³⁷⁾ نفس المرجع: ص 265.

⁽²³⁸⁾ نظامي: شرفنامه: ص 267:

الأسكندر. وقد رباه أرسطو، واعتني به ليكون وليا على عرش اليونان من بعد والده⁽²³⁹⁾.

زيارة الأسكندر للكعبة:

كان طبيعيا أن يبدأ نظامي بصفته مسلما متدينا ورعا حديثه عن طواف الأسكندر حول العالم، بزيارته للكعبة، لأنها أظهر وأقدس مكان على وجه الأرض. وبما أنه صور الأسكندر في صورة الملك العادل، الذي يفتح البلاد لنشر العدل والأمن، وليس للغزو والاستعمار فكان منطقيا أن أول مكان تهفو نفسه إليه هو الكعبة.

ويصور نظامي زيارته للكعبة فيقول:

"طاف حولها الطواف المفروض.

وقبل بابها أولاً، ثم ذكر الله ناصره.

ومجد أمام بابها، ومنح الفقراء بسخاء"⁽²⁴⁰⁾.

ويعد التعبد والزيارة، اتخذ طريقه إلى بلاد اليمن، وفتحها⁽²⁴¹⁾.

ثم توجه صوب العراق، وعزم على التوجه إلى بلاده، غير أن رسالة وصلت إليه من آذربيجان، تدعوه إلى إصلاح شأن بلاد الأرض، وعدم اغفالها، كما أصلح العالم، وأحمد صوت الظلم.

⁽²³⁹⁾ نفس المرجع، ص 268-269.

⁽²⁴⁰⁾ نظامي: شرفنامه، ص 272:

| | |
|----------------------------|---------------------------|
| طوافي كز اونيست كس را كزير | بر آورد وشد خانه حلقه كير |
| نخستين در كعبة را بوسه داد | بناهنده خویش را كرد ياد |
| بران آستان زدسر خویش را | خزينه بسى دادا درویش را |

⁽²⁴¹⁾ نفس المرجع: ص 273.

فسار الأسكندر إلى هذه الديار، ورتب شئونها، كما أصلح بلاد الأبخاز⁽²⁴²⁾، فخضع جميع الملوك له، وأصبحوا يؤدون له الخراج⁽²⁴³⁾.

ذهاب الأسكندر إلى مملكة بردع⁽²⁴⁴⁾:

تأثر نظامي بما نظمه الفردوسي عن ذهاب الأسكندر إلى بلاد الأندلس ومدينة هروم، وخلط بينهما، وأخرج لنا حكاية ذهاب الأسكندر إلى مملكة بردع⁽²⁴⁵⁾، وهذا ما سأوضحه فيما يأتي.

وقد ذكر أن الأسكندر علم أن مملكة بردع تحكمها ملكة عاقلة جميلة اسمها (نوشابه)⁽²⁴⁶⁾. وأن في بلاطها ألفا من الفتيات الأبيكار الجميلات كالأقمار، يقمن بخدمتها.

هذا بالإضافة إلى ثلاثين ألف فارسة ماهرة، وليس على بابها أحد من الرجال، حتى ولو كانوا من أقربائها⁽²⁴⁷⁾.

⁽²⁴²⁾ الأبخاز: اسم ولاية تقع في إقليم التركستان شمال إيران، اشتهر أهلها بظلمهم. وكان معظمهم يعتقدون الدين المسيحي والبعض الآخر يعبد النار: انظر برهان قاطع، ج1، ص 78.

⁽²⁴³⁾ نظامي: شرفنامه، ص 273-275.

⁽²⁴⁴⁾ بردع: مدينة غنية بالخيرات وكبيرة، تقع في أقصى إقليم آذربيجان. انظر: برهان قاطع، ج1، ص 252.

⁽²⁴⁵⁾ انظر الرسالة ص: 57-60، ص 64-67.

⁽²⁴⁶⁾ ذكر الفردوسي في الشاهنامه اسم هذه الملكة على أنه (قيدافه) ويبدو أن هذا الاسم اصح من (نوشابه) الذي ذكره نظامي، لأنه يذكر في اليونانية على أنه (Candace) وهو قريب من قيدافه.

⁽²⁴⁷⁾ نظامي: شرفنامه، ص 277:

| | |
|--------------------------|----------------------------|
| هزارش زن بكر در بيشگاه | بخدمت كمر بسته هريك جو ماه |
| برون از كنيزان جابك سوار | غلامان شمشير زن سنى هزار |
| نكشتى زمردان كسى بر درش | وكر چند نزديك بودى برش |

فلما علمت هذه الملكة أن الأسكندر ينوى التوجه إلى مملكتها بجيوشه، أرسلت إليه الهدايا والتحف لتثنيه عن المجئ إليها، وكانت الهدايا عبارة عن خراف مطهية، وأحصنة بألجمة ذهبية، وملابس ملكية، وجميع ما تنتجه المملكة من منتجات وخيرات ثمينة تليق به (248).

ولكن هذه الهدايا شوقت الأسكندر أكثر وأكثر إلى مشاهدة هذه المملكة، واكتشاف أسرارها، فتوجه إليها متكررا في هيئة رسول من قبله، يقول نظامي في ذلك:

أعد نفسه كما يفعل الرسل، وتوجه إلى الحسناء في هيئة رسول (249).

ولما علمت نوشابه بقوم رسول من قبل الأسكندر إليها، زينب البلاط، والطريق المؤدي إليه، وصفت الفتيات الجميلات مزدانات بمختلف أنواع الزينة.

ثم أمرت بإحضار الرسوم أمامها، فدخل الأسكندر بشجاعة، واتجه كالأسد المغرور نحو العرش، ولم يخلع سيفه، ولم ينحن أمامها كعادة الرسل، فشكت في أمره، وأمعت النظر إليه، وتأكدت من هيئة وطريقة جلوسه أنه الأسكندر (250).

وبعد أن ألقى الأسكندر خطابه أمام الحاضرين، ردت عليه نوشابه، وواجهته بحقيقة شخصيته قائلة:

"لقد جاءت عبارات رسالتك حادة كالسيف الباتر، ومن ذا الذي له القدرة على أن يطلق هذا السيف على.

ولكن حينما يضرب الملك بسيفه، فإن ضربته تكون قوية عالية.

(248) نفس المرجع: ص 281.

(249) نفس المرجع ونفس الصفحة:

| | |
|---------------------------|-------------------------|
| سوى تازنين شدد فرستا موار | برسم رسولان براراست كار |
|---------------------------|-------------------------|

(250) نظامي: شرفنامه: ص 282 - 283.

فما أطلقته من سيف كلام الأسكندر، يشير إلى أنك الأسكندر، فأكشف عن نفسك.

لقد دعوتني، ثم جئت أنت بنفسك إلى فخي، فتخل عن فكرك الثاقب فقد جاء ساذجا.

لقد أرسلك اقبالي إلي، فما أسعد طالع فكري الثاقب المنير» (251).

لكن الأسكندر أنك ما تقوله، فأمرت جارية، بأن تسرع، وتحضر ثوبا حريريا منقوشا عليه صور ملوك العالم لديهما، ثم أعطته للأسكندر، كي يرى رسمه قائله:

«إنظر رسم من هذا؟ وما رأيك في هذا الأمر؟

فإن كان رسمك، فلا تجادل كثيرا، فمحال أن تغطي السماء بحاجسيك» (252).

(251) نفس المرجع، ص 285:

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| بيان توجون تيغ كردن زند | كرا ازهره كاين تيغ برمن زند |
| وليكن جوشه تيغ بازي كند | سر تيغ او سر فرازي كند |
| زيغ سكوندرجه راني سخن | سكوندر توئي جاره خويش كن |
| مرا خواندي و خود بدام آمدی | نظر يخته تركن كه خام آمدی |
| فرستادت اقبال من بيش من | زهي طالع دولت انديش من |

(252) نفس المرجع، ص 285:

| | |
|---------------------------|-----------------------------|
| ببين تا نشان رخ كيست اين | دراين كار كاه ازبي جيست اين |
| اكر ا بيكر تست جندين مكوش | بايروى خويش آسانرا مبوش |

فلما رآها الأسكندر، وجل علاه الخجل ولما أدركت نوحابه ما ألم بهذا الأسد الهصور من خجل، قالت:

"أيها الملك المتلفر كم أحدث الدهر مثل هذه الحيل.

فلا تفكر في شيء، وأعلم أن صداقتي أكثر من أي شيء آخر، وإن هذا المنزل منزلك.

وأنى لك جارية مطيعة، وخادمة منقادة سواء في دربارك أم ديارى⁽²⁵³⁾.

ثم استضافته في بلاطها، واحتفت به، وأقامت له حفلا كبيرا، انصرف بعده مرورا عائدا إلى بلاده، بعد أن أنعم على نوحابه، وعلى من حولها بالعطايا الكثيرة⁽²⁵⁴⁾.

ذهاب الأسكندر إلى جبل البرز:

ويذكر نظامي أن الأسكندر سار بجيوشه بعد ذلك إلى جبال البرز، وكان رجاله يحملون ثروته وكنوزه معهم، ويسرون ببطء لكثرة ما معهم من الجواهر والذهب، حتى شعروا بالمشقة والتعب، فشاؤروا الأسكندر في أمر هذه الجواهر، فأمرهم بدفنها تحت الأرض قائلا:

"كل واحد يحمل كنزا عليه أن يدفعه، ليستريح من المشقة والتعب.

(253) نفس المرجع، ص 287:

| | |
|-------------------------|------------------------------|
| بد وكفت كى خسرو كامسكار | بسى بازى آرد جنين روز كار |
| ميديش ومهر مرا پيش دان | همان خانه راخانه خویش دان |
| ترا من كنيزي برستند، ام | هم آنجا هم اينجا يكى بند، ام |

(254) نفس المرجع، ص 300-308.

على أن يفضل كل واحد كنزه عن كنز الآخر، بوضع طلسم عليه،
يحمل صورته»⁽²⁵⁵⁾.

وكان هدف الأسكندر من ذلك، هو أن يعرف كل واحد من رجاله مكان
كنزه، عند العودة من طواف العالم.

ويبدو أن غرض نظامي من هذه الحكاية، هو إظهار أن الأسكندر كان
ثريا، ولم يكن طوافه حول العالم من أجل الحصول على الثروة والكنوز، بل
كان من أجل سياحة العالم، ونشر العدل.

كما يبدو أيضا أن غرض نظامي من الحديث عن ذهاب الأسكندر إلى
جبل البرز بالذات دون غيره، كان من أجل إثبات بطولة الأسكندر الفاتحة، وقوة
شخصيته، ذلك لأن جبل البرز يعد أعلى قمم الجبال الموجودة في إيران، والتي
تفضل بين إيران والهند، وقد كان حديث الإيرانيين عن صعود قمم جبل البرز
كناية عن العظمة والشجاعة»⁽²⁵⁶⁾.

ذهاب الأسكندر إلى قلعتي دريند وسرير⁽²⁵⁷⁾:

ويذكر نظامي أن الأسكندر واصل سيره إلى قلعة دريند، واستطاع أن
يفتحها بعد مشقة كبيرة، لمناعة حصنها⁽²⁵⁸⁾. ثم سار منها إلى قلعة سرير،
فرحب أهلها به، حيث أجلسوه على عرش كيخسرو⁽²⁵⁹⁾، ونثروا عليه الأموال
تحت قدميه، وقدموا له مبتهجين خمر الظفر في كأس النصر⁽²⁶⁰⁾.

⁽²⁵⁵⁾ نفس المرجع، ص 313:

| | |
|---------------------------|----------------------------|
| بفرمود تا هر كرا كنج بود | نهان كرد كز برذنش رنج بود |
| جدا هر يكی بر سر مال خویش | بر انكیخت شكلی ز مثال خویش |

⁽²⁵⁶⁾ برهان: برهان قاطع، ج 1، ص 157.

⁽²⁵⁷⁾ هاتان القلعتان في إقليم القوقاز.

⁽²⁵⁸⁾ نظامي: شرفنامه، ص 322-323.

⁽²⁵⁹⁾ كيخسرو: هو أحد ملوك الدولة الكيانية.

⁽²⁶⁰⁾ نظامي: شرفنامه، ص 329=

فلما أبصر الأسكندر الكأس، نهض من مكانه، ثم شربها، ولم يطلب غيرها، ثم خلع سوارا من ساعده، ونثر حباته على الكأس تكريما له. ثم جلس ووضعه أمامه. ونظر إلى ذلك العرش الخالي من ملكه، وبكى تأثرا على ذلك الكأس الفارغ من الخمر⁽²⁶¹⁾.

وقد نجح نظامي نجاحا كبيرا هنا في تصوير حب الإيرانيين للأسكندر، لدرجة أنهم قدموا نخب الانتصار في الكأس الذي كان يشرب فيه ملوكهم القدماء. وهو يعد أعز وأعلى شيء عندهم، وأجلسوه على عرشهم وأيضا وفق توفيقا عظيما في تصوير احترام الأسكندر لعادات وتقاليد شعوب البلاد التي كان يفتحها، وهذا يتفق مع ما ذكرته كتب التاريخ.

ذهاب الأسكندر إلى غار كيخسرو:

ثم اتجه الأسكندر بعد ذلك إلى غار الملك كيخسرو، وعندما اقترب منه، حذره حارسه بعدم التوغل في هذا الغار خشية هلاكه، لأنه لم طرق كثيرة ومتشعبة، وتسكنها الأفاعي، ولكن الأسكندر بشجاعته الفائقة، لم يعبأ بكلامه، وأسرع مترجلا إلى الغار⁽²⁶²⁾، مصطحبا معه وزيره ويدعى (بليناس) واثنين

| | |
|-------------------------|--------------------------|
| فشانند برسسر نثار نوش | فشانند بر تخت كيخسروش |
| بفيروزى آرنند نزيديك وى | در آن جام فيروزه ريزاندي |

⁽²⁶¹⁾ نفس المرجع، ص 331:

| | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| بخور دان يكي جام وديكر نخواست | جوشه جام را ديد بر باي خاست |
| بر افشانند وينشست وبنهادبيش | بران جام عقدي زبازوى خویش |

⁽²⁶²⁾ نظامي: شرفنامه: ص 337:

| | |
|--------------------------|-------------------------|
| بياده سوى غار خسرو شتافت | سكلر زكفتار او روى تافت |
|--------------------------|-------------------------|

من غلمانه. وظل يسير حتى وصل إلى نهاية هذا الغار فلم يجد أي أثر للملك كيوخسرو، بل وجد بئراً عميقة، تتبعث من داخلها نيران متوهجة، تحرق كل من يقع فيها، فدقق النظر إليها، واكتشف حقيقة هذه النيران المتوهجة وهي أن هذه البئر عبارة عن منجم كبريت، فطلب من وزيره بليناس، أن يربط حبلاً حول وسطه، وينزل في هذه البئر كي يكشف حقيقة سره، فنفذ بليناس ما كلفه به الإسكندر، وخرج من البئر مؤكدا صحة اكتشاف الإسكندر.

وقد أدرك الإسكندر باكتشافه هذا سر اختفاء الملك كيوخسرو، وهو أنه كان قد ألقى بنفسه في البئر، واحترق جسمه بتفاعلات الكبريت²⁶³ يقول نظامي:
"علم أنه مات في هذا الغار، واختفى بسبب تفاعلات الكبريت الكيميائية⁽²⁶³⁾.

والواضح من هذه الحكاية الأسطورية أن نظامي الكنجوى قد نجح في إثبات أن شجاعة الإسكندر وذكاءه استطاعا أن يكشفوا عن الغموض الذي يكتنف سر اختفاء كيوخسرو أحد ملوك الدولة الكيانية، الذي كان قد اعتكف عن الناس في غار، ثم اختفى عن الدنيا، ولم يظهر له أثر، وظل سر اختفائه غامضا، لم يستطع أحد من الإيرانيين كشفه.
ذهاب الإسكندر إلى إقليم خراسان:

ثم اتجه الإسكندر إلى إقليم خراسان، فاستولى على مدنه، وقضى على معتنقي الدين الزردشتي بها، وحطم معابدهم، يقول نظامي:
"دخل الإسكندر جيلان في سرعة خاطفة كسرعة السحاب، وفي جرأة وشجاعة كالنمر الشرس.

وحطم كل معبد للنار هناك، فكأنه وضع الثلج على رأس عابد النار.

⁽²⁶³⁾ نظامي: شرفنامه، ص 338:

| | |
|----------------------------|---------------------------|
| يکو کرد از ان کیمیارا نهفت | خبرداشت آنکو درین غار خفت |
|----------------------------|---------------------------|

وعندما قضى على عبدة النار، وأطاح بالدين الزردشتي.
 ترك جيلان واتجه إلى السرى ملحقا الخسائر بأعدائه.
 وقبض على عبدة النار هناك، وقضى عليهم.
 ثم اتجه من نيسابور إلى مرو في سرعة مثل الحجلة حين تهجم على
 طائر التذرو.

وأخمد النار في معابد النار، فانفض عابدها عنها.
 ثم دخل بلخ، فجعل نيران زردشت كالماء بطوفان سيفه.
 وطوى بجيشه الجرار خراسان وكرمان غزنين وغور» (264).

(264) نظامي: شرفنامه، ص 347-350:

| | |
|-------------------------------|----------------------------|
| بدانسان كه در بيشه آيد هزير | بكيلان در آمد بكر دار اير |
| جويخ سرد كردش بر آتش برست | هر آشكهي كامد آنجا بدست |
| بر انداخت آيين زردشت را | جو بشكست بر هير بديشت را |
| بأفكندن دشمن أفكند بي | زكيلان برون شد در آمد بيري |
| بر آورد از ان دوده يكباره دود | بر آتش بر ستان سباست نمود |
| زملك نشابور شد سوي مرو | جو زد لشكر كيك را بر تذرو |
| وز آتش برا كند پروانه را | بكشت آتش هيريد خانه را |
| بطوفان شمشير جون آب كشت | ببلخ آمد و آتش زرد هشت |
| به بيمود هر يك بسم ستور | خراسان وكرمان غزنين وغور |

وكما سبق أن ذكرت فقد غلبت هنا عاطفة نظامي الإسلامية على عاطفته الوطنية فتحدث دون تعصب لبنى جنسه، عن قضاء الأسكندر على الديانة الزردشتية، وقتل معتقيها، وتحطيم معابد هذه الديانة، على أنه عمل جليل من ملك مؤمن يفتح البلاد من أجل نشر المعدل.

ذهاب الأسكندر إلى الهند:

تأثر نظامي عند حديثه عن ذهاب الأسكندر إلى الهند تأثرا كبيرا بما نظمه الفردوسي، وبشكل لا يتفق مع طبيعة شخصية الأسكندر كملك مصلح عادل كما وردت في منظومته، وكملك فاتح مسيطر كما وردت في الشاهنامه في هذا الموضوع، بل يمكن القول بأنه أعاد نظمه في صورة موجزة⁽²⁶⁵⁾. ولكنه اختلف عنه في أن ذكر في أول حديثه، أن توجه الأسكندر إلى الهند كان مسببا، وذلك لكي يؤدب (كيد) ملك الهند، لشقعه عصا الطاعة عليه، وهذا على عكس الفردوسي الذي لم يذكر سببا، سوى رغبة الأسكندر في الغزو والفتح⁽²⁶⁶⁾. يقول نظامي:

حينما أتوجه إلى كيد الهندي، فإنني سأحمد نيران حقه وكيده.

ولو أطاعني مثل الآخرين، فلن يجد مني إلا كل رعاية وتقدير⁽²⁶⁷⁾.

وعندما وصل الأسكندر بجيوشه إلى حدود الهند، أرسل إلى كيد رسالة شديدة اللهجة، يبلغه فيها أنه قد جاء لقتاله، فعليه أن يعد جيشه ويخرج لملاقاته، ويطلبه بسداد الخراج، وألا سيطيح برأسه وعرشه⁽²⁶⁸⁾.

⁽²⁶⁵⁾ انظر الرسالة ص 50 - 53.

⁽²⁶⁶⁾ انظر الرسالة ص 51.

⁽²⁶⁷⁾ نظامي: شرفنامه، ص 352.

| | |
|--------------------------|---------------------------|
| ازو كيد ه وكيد يكس ونهم | جو من سر سوي كيد هند ونهم |
| نباشم براو جز عنايت رسان | كرايد بخدمت جو ديكز كسان |

⁽²⁶⁸⁾ نفس المرجع: ص 353 - 354.

فلما قرأ كيد رسالة الأسكندر، رأى أنه من الأفضل أن يسالم الأسكندر، خوفاً من أن يتحقق الحلم الذي رآه في منامه عنه، يعلق نظامي فيقول:
 "وعندما رأى كيد تلك النيران المتوهجة، وجد أنه من الأفضل طلب الصفح منه.

لأن المنام الذي رآه عن ذلك البطل الشجاع، يخشى أن يتحقق" (269).

ثم أرسل كيد رسالة إلى الأسكندر يطلب فيها صفحة وعفوه، ويظهر فيها طاعته وتبعيته له، ويهديه أربعة عجائب لا مثيل لها في الدنيا، ويوضح هذه العجائب الأربعة فيقول:

"الأولى أرسل ابنتي إلى الملك، وهي فتاة جميلة كالشمس المشرقة، وكالقمر المنير.

والثانية كأس للمشرب مصنوع من الياقوت الصافي، لا ينقص الشراب بالشرب منه.

والثالثة فيلسوف حاذق يكتشف الأسرار، ويحل المعضلات.

والرابعة طبيب عاقل ماهر، يجعل المرضى أصحاء" (270).

(269) نظامي: شرفنامه، ص 354:

| | |
|-------------------------------|----------------------------|
| جو كيد آنجنان آتش نيزديد | ازو رسنكارى بيهريز ديد |
| كه خوابى در آن داورى ديده بود | ز تعبیر آن خواب ترسيد، بود |

لم يذكر نظامي لنا المنام وتفسيره، كما فعل الفردوسي، بل اكتفى بالتلميح بأن "كيد" رأى مناماً عن الأسكندر.

(270) نظامي: شرفنامه، ص 356:

| | |
|--------------------------|-------------------------------|
| يكى دختر خود فرستم بشاه | جه دختر كه تابنده خورشيد وماه |
| دويم نوش جامى زياقوت ناب | كزوكم نكردد بخوردن شراب |
| سوم فيلسوفى نهانى كشاي | كه باشد برآز فلک رهنماي |

فقبل الأسكندر منه هذه الهدايا، ثم أرسل له رسالة ودية، يبلغه فيها بأنه لن يحاربه، وسيكون معنا له في السراء والضراء⁽²⁷¹⁾.

ذهاب الأسكندر إلى الصين:

وقد تأثر نظامي هنا أيضا تأثرا كبيرا بما نظمه الفردوسي⁽²⁷²⁾، وأعاد نظمه، بصورة تتفق مع طبيعة شخصية الأسكندر الملك العادل المصلح، فذكر أن الأسكندر غادر الهند إلى التبت، ومنها اتجه إلى الصين. ولما وصل إلى حدودها أرسل رسالة إلى ملكها، يقول له فيها:

"إننا لم نجئ من إيران إلى هنا من أجل محاربتكم بل جئنا عابرين كضيوف.

ولكي يطيعنا ملك الصين ويأتمر بأوامرنا دون حرب أو سفك دماء. فإذا كانت الشمس في بلدكم تشرق من الشرق، وتغرب في سرعة نحو الغرب.

فأنا تلك الشمس التي ساقطت جيشا من الغرب صوب الشرق.

فإن كنت تخاف غدر الزمان، فلا تعص أوامري.

وانظر إلى صحراء الزوج، فقد أصبحت بسيفي بحرا من الدماء في يوم المعركة.

وكيف أطحت بغرور دارا، وقهرت فور.

وقضيت على عروش ملوك آخرين، فلم تعادي الأسود.

بدلا من أن ترسل الهدايا والكنوز لهم، فلقد نزل الأسكندر بجيش كبير كالسد على مشارف البلد.

| | |
|-------------------------|---------------------------|
| جهارم يزشكى خردمند وجست | كه نالند كائرا كند تندرست |
|-------------------------|---------------------------|

⁽²⁷¹⁾ نفس المرجع: ص 358-359.

⁽²⁷²⁾ انظر الرسالة: ص 72-76.

فإذا كنت تتوى قتالنا فانك قد أشعلت النيران في نفسك.

وإذا نويت السلام، فإنني قابل اعتذارك.

فاخبرني بما تتوي، كي أضع في سلتي الحب أو الكراهية» (273).

(273) نظامی: شرحنامه، ص 376-378:

| | |
|------------------------------|-------------------------------|
| نه بر جنگ از ایران زمین آمدم | بمهمان خاقان جین آمدم |
| بدان دل که از راه فرمانبری | کند میهمانرا بر ستشگری |
| بشهر شما گر بلند آفتاب | زمشرق کند سوی مغرب شتاب |
| من آن آفتابم که اینک ز راه | زمغرب بمشرق کشیدم سپاه |
| اگر ترسی از بیج دوران من | میجان سراز خط فرمان من |
| بین تا ز شمشیر من روز جنگ | چه دریای خون شد بصرای زنگ |
| جگوه ز دارا نشاندم غرور | چه کردم بجای فرومایه فور |
| دگر خسروانرا بنیروی بخت | بسر چون در آوردم از تاج و تخت |
| بجای فرستانم نزل و کنج | جرا باهزیران شندی کینه سنج |
| فرود آمدن جیست بر طرف راه | چو سد سکندر کشیدن سپاه |
| اگر قصد بیکار ما ساختی | بخوری بر آتش بر انداختی |
| و گریبش اقبال باز آمدی | کجا عذر اگر عذر ساز آمدی |
| خبر ده مرا تا بدانم شمار | که در سله ما رست یا مهره مار |

وبعد أن قرأ ملك الصين رسالة الأسكندر خاف، وتردد في محاربتة، ثم رد عليه برسالة يقول فيها:

لقد عبرت من بحر إلى بحر، واستوليت على إيران وتوران.
وعندما سيطرت على الغرب، رفعت علمك على الشرق.
فاستوليت على العالم بأكمله، وقد سئم قلبك الحرب الآن.
فأنت الأسكندر ملك إيران والروم، وأنا حاكم هذا البلد.
لقد خلقت أنا وأنت من التراب، والتراب من الأرض، وكل إنسان يرجع أصله إلى التراب.
فجميع العظماء تواروا في التراب، وفي التراب يستوى الجميع، فلا يوجد إنسان أفضل من غيره.

فلا تطح برؤوس الصينيين، حتى لا ينكسوا صفتكم في القاع.
ولا تتجبر إذا كنت قويا، لأن الله أقوى من أي ملك.
فأنا لست كبقية ملوك الصين، فسأحضر إلى حضرتك.
وأحضر لك كل ما أمرتني بكل ود وسرور.
لأنه في مثل هذه الظروف، إكرام الضيف واجب⁽²⁷⁴⁾.

(274) نظامي: شرفنامه، ص 384-387:

| | |
|---------------------------|----------------------------|
| زدریا بدریا تو کردی نشست | برایران وتوران ترا بود دست |
| زیر کار مغرب جویر داختی | علم بر خط مشرق انداختی |
| کرفتی جهان جمله بالا وزیر | هنوزت نشددل زبیکار سیر |
| سکندر تونی شاه ایران وروم | منم کار فرمای این مرزوموم |
| من وتوزخا کیم وخالک اززمی | همان به که خاکی بود آدمی |

ولما وصلت هذه الرسالة إلى الأسكندر، سر وتراجع عن محاربتة، كما بدأ ملك الصين بعد ذلك يعد مراسم الاحتفال لقدم هذا الضيف، وقد أبدع نظامي في تصويرها فقال:

"أعد له ضيافة ملكية، يظل العالم في دهشة من عظمتها، وأعد مأدبة طعام جميلة كالجنة البهيجة، تعجز أنياب الأسود عن التهامها لكثرة طعامها وتنوعه، وزينوها بالخمير الصافية والفاكهة النضرة بكافة أنواعها، بحيث لا يوجد نوع في العالم إلا ووجد على هذه المائدة، كما وضعت عليها الأطعمة الصينية، وكذلك الحلوى اللذيذة المطعمة بالنقل، والطرائف الثمينة النادرة التي لا يراها إنسان في العالم، كما احتوت أيضا الجواهر الثمينة⁽²⁷⁵⁾.

ثم ترك ملك الصين البلاد لنوابه، وتوجه إلى الأسكندر لدعوته، ورجع معه، وهناك جلس الأسكندر على عرش ذهبي مرصع بالجواهر أعد له من قبل، ثم عطر وايديه بالكافور والعنبر، ثم عقد ملك الصين زنار الخدمة، ووقف على الجانب الأيمن للعرش، وجاء العظماء بناء على أمر الملك، وسجدوا أمام الأسكندر، تحية وتعظيما له، وبعد ذلك أمر الملك بأن يحضروا الطعام على موائد ذهبية، ثم يضعونه على أرض مغطاة بالرمل الأصفر اللون، كلون الذهب، وبعد الأكل أحضروا الخمير الصافية، وجلسوا يشربونها في مكان مغطى بالبساط

| | |
|-----------------------------|------------------------------|
| همه سرورى تابخا كست ويس | كسى نىست نر خاك بهتر زكس |
| مكن كشتته جينباترا خواب | كه افتد تر انيز كشتى در آب |
| قوى دل مشو كرجه دستت قويست | كه حكم خدا برتر از خسرو يست |
| بدر كاه تو سر نهم بر زمين | نه من جمله كشور خدايان جين = |
| =بهر آرزو كاورى در قياس | بفرمان بذيرى پذيرم سنباس |
| دراين داورى هيچ بيغارم نيست | زهمان برستى مرا جاره نيست |

(275) نظامي: شرحنامه، ص 408 وما بعدها.

الأحمر، وعزف الموسيقيون بجوارهم ألحانا عذبة، وتقدم المطربون، وشدوا بأغان جميلة وجديدة، كما رقص الراقصون من فرط عذوبة هذه الألحان⁽²⁷⁶⁾.

وبعد إنتهاء الحفل قدم فغفور الصين الهدايا الثمينة إلى الأسكندر، وكانت عبارة عن جواهر لا حصر لها، وأقمشة صينية، هذا بالإضافة إلى طيور وحيوانات نادرة الوجود⁽²⁷⁷⁾.

ويعد أن تصالح الأسكندر مع ملك الصين، غلبه حنين العودة إلى وطنه، لكن جاءه أحد قواده، ويدعى (دوال)، وأخبره أن الروس يشنون الغارات على مستعمرات الروم، وأنهم الآن في مملكة بردع، فغضب الأسكندر وصمم على محاربتهم والانتقام منه قاتلاً:

"لو أن بلاد الروس مثل مصر، فاجعلها بحراً من الدماء كنيل مصر، وسألقي بها تحت أقدام الفيلة"⁽²⁷⁸⁾.

ذهاب الأسكندر إلى إقليم القيقاق:

ويذكر نظامي أن الأسكندر وهو في طريقه إلى بلاد الروس، مر على منطقة تسمى (القيقاق)⁽²⁷⁹⁾ تسكنها نساء جميلات سافرات الوجه، لا يتحرجن من أخ أو غريب، فلما راهن جند الأسكندر، فتنوا بهن. فطلب الأسكندر من زعماء القيقاق، أن يأمرؤ النساء بتغطية وجوههن، حتى لا يغيرين جنوده بمتابعتهن. لكنهم أجابوه بأن هذه عادتتهن قاتلين:

⁽²⁷⁶⁾ نظامي: شرفنامه، ص 409-410.

⁽²⁷⁷⁾ نفس المرجع: ص 411.

⁽²⁷⁸⁾ نظامي: شرفنامه: ص 422:

| | |
|--------------------------|--------------------------|
| سر آسيمه در بای بیلش كنم | اكر روس مصر است نیلش كنم |
|--------------------------|--------------------------|

⁽²⁷⁹⁾ القيقاق: اسم منطقة تقع في إقليم التركستان، وتسكنها طائفة من الأتراك يسمون بالقيقاقيين: انظر: برهان قاطع، ج3، 1518.

"لما كان عدم النظر إلى الوجه السافر أفضل، فإن الوزر يقع على العين لا على الوجه السافر" (280).

فاستدعى الأسكندر وزيره بليناس، وطلب منه أن يفكر في حيلة لكي يجبر نساء القيجاق على لبس الحجاب، ففكر وصنع طلسمًا على هيئة فتاة من الحجر، وألبسها حجابًا من الرخام الأبيض، وغطى وجهها ببرقع. فلما رأتها كل امرأة من نساء القيجاق، خجلت من نفسها، ولبست الحجاب، وغطت وجهها (281).

والمؤكد وقوع أقليم القيجاق في طريق الأسكندر إلى بلاد الروس قد حركت في أعماق نظامي ذكرياته القديمة في هذا الأقليم، حيث كانت زوجته الأولى التي تدعى (أفاق) والتي أشاد بجمالها - كما سبق أن ذكرت - من هذا الأقليم، وقد أنجب منها ابنه الوحيد (محمد)، فجعلته يزج بهذا الموضوع معترضًا خط سير الأحداث في المنظومة.

كما أثرت نشأة نظامي الدينية في معالجته لفكرة هذا الموضوع، حيث وفق توفيقًا عظيمًا في تصوير الأسكندر كملك مصلح متدين استطاع أن يقنع النساء بحيلته الذكية إلى الصواب وذلك في صورة طبيعية صادقة تؤهله للحديث عنه كنبى بعد ذلك.

ذهاب الأسكندر إلى بلاد الروس:

توجه الأسكندر من القيجاق إلى بلاد الروس بجيش كبير جرار، يزيد عدده عن تسعمائة ألف جندي، جمعه من مختلف البلاد التي فتحها، بالإضافة إلى جيشه الأصلي.

(280) نفس المرجع: ص 426:

| | |
|--------------------------|-------------------------|
| جنايت نه بروى بر بيده به | جودروى بيكانه نادیده به |
|--------------------------|-------------------------|

(281) نظامي: شرفنامه: ص 426 - 428.

ولما وصل إلى بلاد الروس تقابل الجيشان، وكان الإسكندر في مقدمة جيشه، وقائده (دوالي) والفرسان الإيرانيون على ميمنته، وقائده (قندرخان) والصينيون على يسرته⁽²⁸²⁾.

وقد دارت بين الجيشين سبع معارك ضارية وشرسة⁽²⁸³⁾، كان النصر فيهما حليف الإسكندر، وأمعن في الروس القتل والأسر والشنق.

وقد علق نظامي على فوز الإسكندر في هذه المعارك فقال:

"أعطت الدنيا الحظ والملك لملك العالم، ولحقت الهزيمة بعدوه.

فأمعنوا في جيش الروس قتلا وأسرا وشنقا"⁽²⁸⁴⁾.

ثم استطاع بعد النصر أن يخلص الملكة نوشابة ملكة بردع من أسرهم⁽²⁸⁵⁾.

وقد نجح نظامي هنا نجاحا عظيما في تصوير الإسكندر في صورة الملك العادل الثائر على الظلم، الذي توجه على الفور لنصرة المظلوم، يصطحب معه جنود البلاد التي فتحها في المعارك دون خيانتها، مما يدل على جبههم وإخلاصهم له.

ثم حديثه عن قيادة الإسكندر لهذه المعارك في جرأة نادرة وشجاعة باسلة من أجل الثأر والانتقام من الروس، فقال:

كان الإسكندر في تلك الحرب كالأسد الثائر يضرب بحربة قوية في يده.

⁽²⁸²⁾ نظامي: شرفنامه، ص 437.

⁽²⁸³⁾ نفس المرجع: انظر وصف المعارك، ص 436 - 473.

⁽²⁸⁴⁾ نفس المرجع - ص 476.

| | |
|----------------------------|--------------------------|
| هزيمت در افتاد بدخواه را | جهان داد شاهي جهانشاه را |
| ز روسي بسى خون وهوى ريختند | كرفتند وكستند وآو يختند |

⁽²⁸⁵⁾ نفس المرجع: ص 478.

فكان يشبه الفيل المدرع بدرع من الفولاذ، والأسد الغاضب حين يزار» (286).

كذلك اطنابه في وصف المعارك، كان يهدف من ورائه، إثبات ثورة الإسكندر على الظلم، وإصراره على القضاء عليه.

أيضا ختم نظامي حديثه لهذه المعارك، بأن ذكر أن الإسكندر لم يغنم منها غنائم كثيرة رغم انتصاره، لدليل قوي منه على أن الإسكندر كان هدفه الوحيد هو بسط العدل والإطاحة بالظلم، يقول:

لم يغنم الملك غنائم كثيرة، وبحيث يسهل حصرها» (287).

أسطورة ماء الحياة:

أثرت نشأة نظامي الدينية الإسلامية تأثيرا ملحوظا في تناوله لهذا الموضوع. ويبدو هذا واضحا في العنوان الذي وضعه له وهو "إفانه ابن حيوان" أي (أسطورة ماء الحياة)، فكلمة أسطورة تعني أن هذا الموضوع أو هذه الحكاية خرافية، وليست حقيقة.

ثم بدأ حديثه، فذكر أن الإسكندر جمع كبار رجاله دولته في جلسة، فحكى كل واحد منهم حكاية، إلى أن جاء الدور على شيخ هرم، فحكى أن هناك عين ماء تقع في وادي الظلمات، كل من يشرب من مائها، ينعم بالحياة الأبدية، فدهش الإسكندر وتعجب، وسأله عن طريق الوصول إلى تلك العين، فأجابوه أنه

(286) نظامي: شرفنامه، ص 475:

| | |
|----------------------------|---------------------------|
| سكندر در ان حرب جون شيرمست | يكى حرب بهلوانى بدست |
| جكونه بود بيل بولاد بيوش | زشير زيان جون بر آيد خروش |

(287) نظامي: شرفنامه، ص 477:

| | |
|-------------------------|------------------------|
| نه جندان غيمت بخسرورسيد | كه اندازه آيدانرا بديد |
|-------------------------|------------------------|

بوجوده في بلاد الروس، أصبح الطريق للوصول إليها قصيرا وسهلا، لأنها تقع في القطب الشمالي.

فسار الأسكندر مصطحبا معه مستشاره الخضر وجيشه نحو الشمال، لكن كثيرا من جنوده كانوا قد تعبوا ومرضوا من مشقة السير، إلى أن مر في أثناء

السير على واد، وجد به غارا، فأمر جنوده أن يستريحوا به، حتى يعود إليهم.

ثم واصل الأسكندر سيره هو والخضر وبعض رجاله، حتى وصل إلى أقصى القطب الشمالي، حيث ساد الظلام فترك رجاله، وطلب من الخضر أن يتقدم ويقوده إلى عين ماء الحياة، يقول نظامي:

"وعندما وصل الأسكندر إلى منطقة الظلمات، ترك أتباعه، وأمر الخضر بأن يكون قائده ومرشده في ذلك الطريق الجديد"⁽²⁸⁸⁾.

وسار الأسكندر والخضر في الظلام، يبحثان عن ماء الحياة، لكن الأسكندر ضل الطريق.

بينما استطاع الخضر أن يصل إلى عين ماء الحياة، فشرب من مائها، واستحم فيها، فنعم بالحياة الأبدية، يقول نظامي:

"نزل بعد أن خلع ثيابه في سرعة، واستحم في هذا الماء الطاهر.

وشرب منه بقدر ما استطاع، فأصبح جديرا بالحياة الأبدية"⁽²⁸⁹⁾.

⁽²⁸⁸⁾ نظامي: شرفنامه، ص 508:

| | |
|------------------------|------------------------------|
| عنايت بترك مهمات كرد= | سكندر جو آنهك ظلمات كرد |
| كه خضر بيمبر بود بيشرو | =جنان داد فرمان در آن راه نو |

وقد تأثر هنا أيضا نظامي مثلما تأثر الفردوسي بقصة (موسى والعبد الصالح) الذي يدعى الخضر والتي ورد في القرآن الكريم في سورة الكهف.

⁽²⁸⁹⁾ نظامي: شرفنامه، ص 510:

أما الأسكندر فقد ظل في الظلام يبحث عنها أربعين يوماً، فلم يعثر عليها، فيئس في النهاية، وعزم على الرجوع عن هذا الطريق الذي قضى فيه وقتاً طويلاً⁽²⁹⁰⁾.

ثم سمع هاتفاً ينصحه بالعودة قائلاً:

"يجب على الأسكندر الذي لا يرى ماء الحياة الذي يبحث عنه، أن لا يبحث عن الخضر الذي وصل إلى ماء الحياة.

لقد أسرع الأسكندر إلى الظلام بينما وجد الخضر طريق النور بحصوله على الماء"⁽²⁹¹⁾.

فرجع الأسكندر بعد ذلك على الفور إلى جنوده الذين كان قد تركهم في الغار وانصرف بهم عائداً إلى بلاده.

وقد اكتفى نظامي بختم حديثه برجوع الأسكندر من وادي الظلمات ولم يتأثر لتدينه وروعه بما ذكره الفردوسي في الشاهنامه من أن الهاتف دعا الأسكندر إلى التوجه إلى الجبل، فرأى إسرائيلي وهو ينتظر أمر الله بالنفخ في الصور، وعد هذا تصدياً على الآداب الشرعية وعلق وقال:

"لن أتحدث عن إسرائيلي ونفخ الصور لأنه يجب البعد عن هذا المجال.

| | |
|---------------------------|----------------------------|
| سروتن بدان چشمه باك شمسیت | فرد آمد وجامه بر کند جست |
| حيات ابد را سزاوار شد | وزو خورد چندانکه بر کار شد |

⁽²⁹⁰⁾ نفس المرجع: ص 512.

⁽²⁹¹⁾ نفس المرجع: ص 513.

| | |
|--------------------------|-----------------------------|
| نجسته بخضر آب حيوان رسيد | سكندر كه حبست آب حيوان نديد |
| ره روشني خضر يابد بر آب | سكندر بتاريكي ارد شتاب |

وإذا كان شاعرا آخر قد تحدث عن ذلك، فلا يجب أن أذكره مرة ثانية" (292).

عودة الإسكندر إلى بلاد الروم:

وقد ختم نظامي حديثه عن الإسكندر بعودته إلى بلاده، فنكر أن شعب اليونان عندما علم بعودته، فرح فرحا شديدا، ويصور مظاهر هذا الفرح فيقول:

"خرج عظماء اليونان حاملين الأعلام لاستقباله.
وأضأوا الطريق القادم منه، فصار كالقمر المتلألئ في منتصف الليل.
وعلقوا الزينات بجميع المدن وفرشوا الأبسطة في الطرق.
وزينوا جميع القصور فبدت جميلة كالجنة.
ونثروا الذهب والفضة على الأرض.
وفتحوا الخزائن، ووزعوا الأموال على الناس فبدت السعادة على
وجوههم" (293).

(292) نظامي: شرفنامه، ص 513-514:

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| حديث سرافيل وآراى صور | نكفتم كه ده ميشد زراه دور |
| جو كوينده ديكر آن كان كشاد | أساسي دكسر باره نتوان نهداد |

(293) نظامي: شرفنامه، ص 522:

| | | |
|---------------------------|---|------------------------------|
| بزر كان روم آكهى يافتند | ذ | سوى رايست شاه بش تافتند |
| همه خاك روم ازره آورد شاه | | برافروخت جون شب درخشنده ماه= |
| = آرايش آمد همه روى شهر | | زمين يافت از كنج بوشيده بهر |

وبعد أن وصل الأسكندر إلى بلاده، جلس على العرش، وكان قد استفاد الكثير من طوافه حول العالم، ففتح باب الحكمة الذي هياؤه ليكون بعد ذلك نبياً يقول نظامي:

"عندما جلس الأسكندر على عرش اليونان، كان قد حصل على مفتاح كنز السعادة.

لأنه استفاد من رحلته علماً كثيراً، ففتح بذلك باب الحكمة الإلهية.

ثم وصل إليه التكليف بالنبوة، فامتثل للأمر⁽²⁹⁴⁾.

وهكذا نجح نظامي في ختم منظومته شرفنامه بهذه الخاتمة الطيبة، حيث هياؤها القارئ نفسياً للانتقال إلى الحديث عن الأسكندر كحكيم ثم كنبى بعد ذلك في الجزء الباقي من منظومته (اسكندرنامه) والذي يعرف كما سبق أن ذكرت باسم (اقبالنامه) وهذا ما سنتحدث عنه في الفصلين التاليين.

| | |
|------------------------|--------------------------|
| بہشتی زہر قصری انکیختد | زور سیم را بر زمین ریختد |
| شکستد قفل در کنج را | جهان قفل بر زد در رنج را |

(294) نظامي: شرفنامه، ص522:

| | |
|---------------------------|-------------------------|
| جوشه باز برتخت یونان رسید | بدو داد کسج سعادت کاپد |
| زدانشی بی ما یها ساز کرد | در حکمت ایزدی باز کرد |
| جو فرمان رسیدش بیغمبری | نیبجید کردن زفر ما نبری |

الفصل الثالث

الأسكندر الحكيم في منظومة (اقبالنامه)

بدأ نظامي هذه المنظومة بمقدمة تقليدية كتلك التي بدأ بها منظومة شرفنامه في التوحيد بالله والحمد، وفي نعت الرسوم الكريم، وفي مدح ممدوحه عز الدين مسعود أتابك الموصل، الذي قدم له هذه المنظومة. ثم يبدأ بعد ذلك في سرد أحداث القصة ويبدوها بالعنوان التالي:

بداية الحكاية:

تحدث فيه نظامي عن الأسكندر بعد عودته إلى بلاد اليونان وكيف أعد نفسه ليصبح حكيماً فقال:

"عاد إلى اليونان من أقصى البلاد، وأضاء وطنه القديم بالنور.

لقد صار أستاذاً في العلوم والمعارف.

فتقّب بفكرة عنان الفلك، وحل المعضلات.

فصار ملماً بجميع أنواع المعارف في اللغات اليونانية والبهلوية والدرية"⁽²⁹⁵⁾.

⁽²⁹⁵⁾ نظامي: اقبالنامه، ص 36-37:

| | |
|---------------------------|---------------------------|
| بيونان زمين آمد ازراه دور | وطن گاه بيشينه را داد نور |
| ز رامش سوى دانش آوردای | بزوهش كرى كرد بارهنماى |
| دماغ فلک را بانديشه سفت | در ببستگيها كشاد از نهفت |
| سخن را نشان جيست بررهبرى | ز يوناني وبها وي ودرى |

ويعرف نظامي الاهتمام الأسكندر بترجمة كتب العلم المختلفة إلى اليونانية وتأليف كتب في شتى المعارف فيقول:

أمر الفلاسفة بترجمة كتب العلم من اللغات المختلفة، غير اليونانية والرومية إلى اليونانية⁽²⁹⁶⁾.

كما أمر بتأليف الكتب في شتى الموضوعات وهي كما يقول نظامي:
 "ألفوا أولاً كتاب (كيتي شناس) أي معرفة الدنيا في الجغرافية، ثم كتاب (رمز روحانيين) أي رموز الروحانيين، في علم الأرواح، وهو الذي خلد اسم اليونانيين به.

ثم كتاب (سفر اسكندري) أي أسفر الأسكندر وهو الذي حل فيه اليونانيون المعضلات"⁽²⁹⁷⁾.

ثم أصدر بيانا إلى العلماء، يحثهم فيه على طلب العلم، والسعى إليه، قال فيه:

"هكذا صدر قرار من صاحب العرش العالي.
 يقول إن كل عالم جليل له منزلة رفيعة عندنا.

(²⁹⁶) نظامي: اقبالنامه، ص 37 =

| | |
|-------------------------------|---------------------------|
| كندد أنجه دانش بود ترجمه | =سفر مود تافيلسوفان هممه |
| جه از جنس يونان جه از جنس روم | ديكر زيبانهاى هر مرز وبوم |

(²⁹⁷) نفس المرجع: ص 37-38:

| | |
|---------------------------|----------------------------|
| كتايبست كان هست كيتي شناس | نخستين طرازيكه بست از قياس |
| كز زنده مانده يونانيان | دكر دفتر رمز روحانيان |
| بدونرم كردنر آهن جو موم | همان سفر اسكندري كاهل روم |

فلا يبحث أحد عن وسيلة يسمو بواسطتها على غيره، إلا عن طريق العلم والمعرفة.

فيجب على كل عالم يصل إلى منزلة، أن يتطلع إلى المنزلة الأعلى منها⁽²⁹⁸⁾.

فاستجاب الجميع لما كلفهم به الأسكندر، فصارت بلاد اليونان منارا للعلم والمعرفة، وذاع صيتها بفضلها، يعلق نظامي فيقول:

تعلموا المعرفة من الحكماء، وأشرق وجوههم بنورها.

وذاع صيت بلاد اليونان عن طريقها، ويفضل ذلك الملك المحب للمعرفة⁽²⁹⁹⁾.

ولا ريب أن نظامي بمقدمته هذه مهد الطريق أمام إتجاهه الذي خصص له اقبالنامه وهو خلع صفة الحكمة والمعرفة على الأسكندر.

لما سمي الأسكندر بذى القرنين:

ثم ترك نظامي الحكمة فجأة، وانتقل إلى الحديث عن سبب تسمية الأسكندر بذى القرنين، فسر لنا أقوالا كثيرة وردت في هذا الصدد فقال:

⁽²⁹⁸⁾ نفس المرجع: ص 38:

| | |
|-------------------------|---------------------------|
| أشارت جنان ش زخت بلند | كه داناست نزيدك ما ارجمند |
| نجويد كسى بركسي برتدرى | مكر كز طريق هنر برورى |
| زهر بايكاهى كه والا بود | هنر مندرا بايه بالا بود |

⁽²⁹⁹⁾ نظامي: اقبالنامه، ص 38:

| | |
|-------------------------|--------------------------|
| همه رخ بدانش برافروختند | زفرز انكان دانش آموختند |
| زفرهنگ آن شاه دانش بسند | شد آراز يونان بدانش بلند |

"كان يسمى بذي القرنين لأنه طاف العالم من المشرق إلى المغرب.
وفي قول آخر لأنه كانت له زلفتان متجمدتان خلف أذنيه كالقرنين.
وفي قول ثالث أنه رأى في المنام ارتباط قرني الفلك بواسطة الشمس.
وفي قول رابع يذكره المؤرخين أن عمره كان قرنين من الزمان (300).
ثم ذكر رأي أبي معشر البلخي الذي أورده في كتابه الألوفا فقال:
"ويقول أبو معشر فيلسوف العالم في كتابه الألوفا رأيا آخر.
وهو أنه لما مضى على موت الإسكندر وقت طويل، لم يصدق الناس
أنه مات.

فرسم اليونانيون من فرط حبيهم له على ورقة.
وأثقف الرسام رسمها، فبذبت مطابقة له تماما.
ثم رسم صورتين لملاكين أحدهما على يمينه والآخر على يساره.
فبدوا في شكل قرنين، يشعان الأشعة الحمراء والصفراء على وجهه.
وأذاع المنجمون أن الله خلق له ملكين على يمينه ويساره.
وانتشرت قصة الإسكندر في مختلف الأنحاء بانتقال هذه الصورة من
بلاد اليونان إلى مختلف الجهات.

(300) نفس المرجع: ص 44:

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| كه برمشرق ومغرب آورد كام | كه صاحب نو قرنش بدان بودنام |
| نو كيو بس بشت بيبيده داشت | بقول ديكر كويسبيده، داشت |
| دوقرن فلك بستد از آفتاب | همان قول ديكر كه دروقت خواب |
| كه عمرش دوقرن آمد ازروز كار | ديكر داستاني زد آموز كار |

فحظيت بإعجاب الناس، فأسادوا بفن الرسامين اليونانيين.
فلما أبصر العرب تلك الصورة، رسموا للإسكندر صورة أخرى تقليدا
لها.

وظنوا أن هذا الرسم ليس ملكا بل قرنا.
وبسبب هذا الخلط الذي وقعوا فيه لقبوه بذي القرنين⁽³⁰¹⁾.
ثم ذكر نظامي قولا آخر، أثبتته في قوله:

(301) نظامي: اقبالنامه، ص 44-45.

| | |
|------------------------------|--------------------------------|
| أبو معشر اندر كتاب الوفا | ذكر كونه كويد جهان فيلسوف |
| نبود آن خلل خلق را در كمان | كه جون برسگندر سر آمد زمان |
| بر آراست آرايشی در خورش | جو برجای خود كلك صور نكرش |
| يكی بريمين ويكى بريمار | دونفش ذكر بست بيكر نكار |
| برا ولا جور و زر آميخته | دو قرن از سر هيكل انكيخته |
| دو فرخ فرشته زي روى قياس | لقب كرد شان مرد هيت شناس |
| فرشته بود بر جب و راستش | كه در بيكرى كايزد آراستش |
| حديث سكندر بد و كرد ياد | زيونان بديكرد سواد افشاد |
| بر آرايش دستكاران روم | ثنا رفت از ايشان بهر مرز و بوم |
| شكندر دكر صورت انكاشتند | عرب جون بدان ديده بكماشتند |
| نه فرخ فرشته كه اسكندر است | كمان بودشان كانجه قرنش در است |
| كه صاحب دو قرنش لقب داده اند | از اين روى در شهيت افتاده اند |

"وقال لي عالم قولا غير هذا هو أنه كانت له أذنان أكبر من الحجم الطبيعي" (302).

وقد أورد قصة تتعلق بأذني الأسكندر، ومن الواضح أنها من نسيج خياله، وأنه أتى بها لتعطي شيئا من الطرافة إذ تحكى أن الأسكندر كان يعلق على أذنيه طوقا من الذهب ليخفي حجمها الكبير، كما كان له حلاق خاص، وهو الوحيد الذي يعرف سرهما، وقد أمره بعدم إفشاء هذا السر للناس وإلا أطاح برأسه.

وذات يوم خرج إلى الوادي متضايقا من كتمان سره هذا، فرأى بئرا عميقة، فأفضى بسره على ورقة كتبها، وألقى بها في هذه البئر، ثم رجع إلى قصره مسرورا مرتاح البال.

وتصادف أن مر مغن على هذه البئر وجلس على حافتها، وأخذ يصغر من الناي نغمات حلوة، حولت ورقة السر التي ألقيت في البئر إلى ناي، إذا نفخ أحد فيه، أصدر نغمات مختلفة تكشف سر الأسكندر.

وذات مرة مر قاطع أحجار، فرأى هذا الناي في قاع البئر، فأخرجه، وأخذ ينفخ فيه، فصار يصدر نغمات مختلفة، كاشفة لسر الأسكندر. وكان الأسكندر ذاهبا في نفس الوقت إلى الوادي، فرأى هذا الرجل وهو يفضح سره، فثار وغضب، فاضطرب الرجل وأقسم له بأنه لم يقل سره لأحد، فعفا عنه (303).

(302) نظامي: قبالنامه، ص 45:

| | |
|---------------------------|--------------------------------|
| جزاین گفت بامن خداوند هوش | که بیرون از اندازه بودش دو گوش |
|---------------------------|--------------------------------|

(303) نظامي: شرفنامه، ص 376-378:

| | |
|-----------------------------|-------------------------|
| نه برجنگ از ایران زمین آمدم | بمهمان خاقان جین آمدم |
| بدان دل که از راه فرمانبری | کند میهمانرا بر ستشکری |
| بشهر شما کر بلند آفتاب | زمشرق کند سوی مغرب شتاب |

والواضح من حديث نظامي عن سبب تسمية الأسكندر بذى القرنين - على الرغم من أنه ليس له علاقة هنا بالحديث عن حكمة الأسكندر - أنه كاني يهدف إلى إظهار عدم تأييده لما ورد في أقوال المفسرين المسلمين، من أن الأسكندر المقدوني هو ذو القرنين الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، وأنه يميل إلى أن الأسكندر هو ملك يوناني سمى بذى القرنين لكبر حجم أذنيه، كما أراد أن يبين لقارئه أن كل عظيم لابد أن يفرد بشيء غريب يميزه على غيره من أفراد البشر، فتحاك حوله الأقوال والحكايات من أجل هذا الشيء.

الأساطير:

ثم يترك نظامي الحكمة مرة أخرى، ويذكر لنا عدة قصص اسطورية نسحبها عن الأسكندر كان هدفه منها أن يبين للقارئ أن الأسكندر قد استفاد من هذه القصص بعض الخبرات والمعارف التي تؤهله ليصبح حكيماً.

| | |
|---------------------------|-------------------------------|
| من أن أفتابم كه اينك زراه | زمغرب بمشرق كشيديم سباه |
| اكر ترسى ازبيج دوران من | مبيجان سراز خط فرمان من |
| ببين تا زشمشير من روز جنگ | جه درياى خون شد بصحراى زنگ = |
| = چگونه زدارا نشاندم غرور | جه كردم بجای فرومايه فور |
| دكر خسروانرا بنيروى بخت | بسر جون در آور دم از تاج وتخت |
| بجای فرستادن نزل وكنج | جرا باهزيران شدى كينه سنج |
| فرود آمدن جبست بر طرف راه | جو سد سنكلر كشيدين سباه |
| اكر قصد بيكار ما ساختى | بخورى بر آتش بر انداختى |
| وكربيش اقبال باز آمدى | كجا عنذر اكر عنذرساز آمدى |
| خبر ده مراتبا بدانم شمار | كه درسله مارست يامهره مار |

والقصة الأولى عنوانها (الأسكندر والراعي العالم) وهي تذكران الأسكندر كان يعشق فتاة جميلة، فمرضت في يوم الأيام، فحزن عليها حزنا شديداً، لأنه كان يظن أنها سوف تموت، وذات يوم أبصر راعيا شيخا، ودعاه للجلوس معه، وكان الراعي عالما وبارعا في الكلام، فلما عرف سر حزن الأسكندر حكى له قصة، وهي أن أحد أمراء مرو كانت عروس جميلة تشبه فتاة الأسكندر وكان متيما بحبها، فمرضت مرضا شديداً، حتى يئس الأطباء من شفائها، لكنها شفيت في النهاية، فعاش الأمير معها سعيدا مسرورا.

فتفاعل الأسكندر، وبينما هو كذلك بلغه نبأ شفاء محبوبته، وفرح الأسكندر فرحا كبيرا، وأقام حفلا ابتهاجا بشفائها⁽³⁰⁴⁾.

أما القصة الثانية فعنوانها (ارشميدس والفتاة الصينية)، وهي تحكي أن ارشميدس كان أجمل شباب عصره، وقد شمله الأسكندر بعطف وأحبه أرسطو، فتنبهه وعلمه أصول العلم والمعرفة لكي يخلق منه انسانا فاضلا، لأنه كان يعتقد أن تلميذا عاقلا فاضلا خير من ألف تلميذ أحمق.

ولكن ارشميدس انقطع عن الدرس فجأة، وعلم أستاذه أن سبب انقطاعه هو عشقه لفتاة جميلة، أثرته بحبها فصار متيما بها. فطلب ارسطو أن تحضر الفتاة أمامه ثم أعطاها شرابا أذهب جمالها، فصارت قبيحة، ثم دعا ارشميدس لرؤيتها، فلما نظر إليها، نفر منها وقطع علاقته بها، رغم أن أرسطو أعاد إليها جمالها بعد ذلك، لكن هذا الشراب عجل بوفاتها فماتت بعد مدة قصيرة⁽³⁰⁵⁾.

أما القصة الثالثة عنوانها (مارية القبطية) - ويبدو أنه استوحى هذه الشخصية من التاريخ القبطي - ونظم عليها قصة تحكي أن مارية القبطية هذه كانت ابنة أمير شامي، وكان الأعداء قد أغاروا على بلادها وأستولوا عليها بعد وفاة أبيها، فلجأت إلى الأسكندر، لتطلب عونه ومساعدته، وهناك تقابلت مع أرسطو فصارت تلميذة له فعلمها علوما كثيرة، ومنها صناعة الذهب.

⁽³⁰⁴⁾ نظامي: اقبالنامه، ص 45 - 49.

⁽³⁰⁵⁾ نفس المرجع: ص 55 - 61.

وبعد أن ساعدها الأسكندر على استرداد ملكها، ظلت تصنع الذهب، حتى أصبحت ثرية جدا، لدرجة أن كل دابة عندها حتى الحمير كان لها سروج من الذهب، كما زينت كلابها بسلاسل ذهبية.

وقد جاء إليها عدد من الكيميائيين يطلبون منها تعلم هذه الصناعة فصنعت أمامهم الذهب من شعرها، ثم أخذت تشرح لهم الأعشاب المختلفة التي تستخدم في هذه الصناعة.

وقد أوقع الحساد بينها وبين الأسكندر، ولكنها في النهاية استطاعت أن تكسب وده، وتسترضيه بالهدايا⁽³⁰⁶⁾.

أما القصة الرابعة فعنوانها (الخراساني وخذاعه للخليفة) وقد جاءت هذه القصة معترضة قصة مارية القبطية، وهي تحكي أن رجلا من أهل خراسان، استطاع أن يخدع أهل بغداد والخليفة نفسه، بتغيير كلمة (كبريت) إلى كلمة (تبريك) بطريقة كيميائية، ولكن الخليفة استطاع أن يكشف خداعه وزيفه⁽³⁰⁷⁾.

أما القصة الخامسة والأخيرة وعنوانها (الفقير الذي أصبح غنيا بطالع ابنه) وهي تحكي أن فقيرا قد أصبح غنيا، فاستدعاه الأسكندر، وطلب منه أن يبين له سبب ثرائه، فقال الرجل أنه كان فقيرا مدقعا وكانت زوجته امرأة راضية بفقرة هذا، وتصادف أنها كانت تضع في وقت لم يكن يملك فيه شيئا تأكله فخرج يطلب الرزق، وسار حتى وصل إلى الصحراء، فوصل إلى منزل أراد أن يحتمي به، فلاحظ أن المنزل يسكنه أخان زنجيان، وأن أحدهما قام لاستخراج كنز يوجد فيه، فلما فرغ من استخراجة، قفز عليه أخوه، فقاتله، ثم شرع في دفنه، فانتهاز هذا الفقير الفرصة، وحمل الكنز وأسرع به إلى زوجته، فوجدها قد وضعت ابنا، فسر الرجل بابنه السعيد، الذي كان قدومه قدوم الثروة والجاه.

فطلب الأسكندر من أحد حكمائه، ويدعى (واليس) أن يطالع هذا المولود، فوجده سعيدا، وسعادته مستمدة من دولة الأسكندر⁽³⁰⁸⁾.

(306) نظامي: اقبالنامه، 62-72.

(307) نفس المرجع: ص 67-71.

(308) نظامي: اقبالنامه، ص 72-82.

انكار الحماة السبعين لحكمة الفيلسوف هرمس⁽³⁰⁹⁾:

ثم عاد نظامي مرة أخرى إلى الحديث المباشر عن الحكمة، ولكن ليس عن حكمة الاسكندر، وإنما عن حكمة بعض الفلاسفة الحكماء ونبوغهم فيها، وذلك من خلال قصص أسطورية، أبرز فيها معرفة الاسكندر الجيدة بالحكمة، واتصاله بهؤلاء الفلاسفة، ومناقشته لهم في مهاراتهم واعجازاتهم في الحكمة، حتى بلغ بالاسكندر في آخر قصة ختم بها المنظومة إلى درجة الحكيم الماهر الذي تفوق على كل هؤلاء الفلاسفة العظام.

وتحكي هذه القصة أن سبعين حكيما من حكماء اليونان، كان الحقد قد سيطر على قلوبهم لتفوق الفيلسوف هرمس عليهم في الحكمة، فانفقوا على أن يسفها آراءه في الاجتماع الذي سيمقد فيما بينهم.

ويصف نظامي هذا الاجتماع فيقول:

كان يدلى في كل مسألة تطرح بحجة قوية مقنعة كشعاع النور الثاقب للعين، والنافذ إلى القلب.

لكنه لم منهم سوى الاستكثار جهرا لكلامه⁽³¹⁰⁾.

فغضب هرمس، وصاح فيهم بكلمات سحرية، قضت عليهم، فلم يتحركوا من مكانهم حتى يوم القيامة، يقول نظامي:

⁽³⁰⁹⁾ هرمس: بضم الهاء والميم وسكون السين وقد اختلفت الأقوال في حقيقة شخصية هرمس، فيقال أنه ادريس عليه السلام، ويقال أنه اسم رجل كان بصناعة آلة العزف المعروفة (بالبريط). ويقال أيضا أنه اسم حكيم كان معاصرا للاسكندر: انظر الشهرستاني الملل والنحل، ج10، 1923، برهان: برهان قاطع، ج4.

⁽³¹⁰⁾ نظامي: اقبالنامه، ص83:

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| بهر نكته حتى باز بست | كه جو نئور در ديبده دل نشست |
| نديد آن سخن را بر ايشان بند | جز انكار كردن بيانك باند |

"صاح فيهم بكلمات سحرية قليلة قائلا: لا يتحرك أحد منكم من مكانه حتى يوم القيامة.

فتجمد السبعون حكيما، ولم يتحركوا من أماكنهم"⁽³¹¹⁾.

فلما علم الإسكندر بما حدث، توجه إلى هرمس، وسأله عن سر هذه الواقعة، فأجابه بأن صوته قد فتح أبواب السماء لاستقبال أرواحهم، فأستحسن الإسكندر فعله، وأقره. وهناك، ثم عاد إلى بلطه.

ويبين نظامي الخبرات والمعارف القيمة التي اكتسبها الإسكندر من هذه القصص بقوله:

وكان كلما يجلس في خلوة مع شخص، يذكر له هذه القصة، ويحكى له قصصا أخرى كثيرة مثلتها⁽³¹²⁾.

إساءة أرسطو إلى أفلاطون:

وتبين هذه القصة المكانة العلمية الرفيعة التي بلغها الإسكندر، بحيث أصبح جديرا بلوغ منزلة الحكيم الماهر، فتحكى أن الإسكندر كان قد عقد اجتماعا لفلاسفة اليونانيين، وجلس هو على عرش الروم يتحدث بلسان طليق قوى في الرصانة كالنيران، وبارع في السلاسة كالشمع⁽³¹³⁾.

⁽³¹¹⁾ نظامي: اقبالنامه، ص 84:

| | |
|-------------------------------|--------------------------|
| برایشان یکی بانکه برزد که های | مجنیبید کس تا قیامت زجای |
| همان لحظه برجای هفتاد مرد | زجنیش فتانند وکشنتند سرد |

⁽³¹²⁾ نفس المرجع: ص 84-85.

⁽³¹³⁾ نظامي: اقبالنامه، ص 86:

| | |
|--------------------------|---------------------------|
| سکندر نشست از بر تخت روم | زبانى جو آتش دماغى جو موم |
|--------------------------|---------------------------|

ثم طلب من الفلاسفة الذين كانوا قد تجمعوا حوله مئات ومئات - كما يصفهم نظامي- أن يتحدث كل واحد منهم عن المجال الذي تتفوق فيه، سواء في الطبيعة أو الإلهيات أو الرياضيات أو الهندسة أو الآداب والفنون.

ولما جاء الدور على الفيلسوف أرسطو، ذكر أمام الحاضرين، أنه يفوقهم جميعا في العلم والمعرفة وأن لديه من الحجج والدلائل، التي تثبت صحة قوله. وكان من بين الحاضرين الفيلسوف أفلاطون، فغضب من ذلك الكلام، لأنه أستاذ أرسطو وجميع الحاضرين، واعتزل الناس، وعاش في قبة عالية، كان يسمع فيها أنغام الافلاك، ثم صنع آلة موسيقية، وذهب بها إلى الصحراء، فكانت نغماتها تجذب الحيوانات، وتجعلها أليفة.

وسمع أرسطو بذلك، فصنع آلة موسيقية تشبهها، ولكن نغماتها لم تفعل فعلها، مما جعله يذهب إلى أستاذه أفلاطون، ويطلب منه العفو، ويثني عليه كثيرا⁽³¹⁴⁾.

ويبين نظامي أن الأسكندر قد أصبح عالما حكيما يقدر أهل العلم والمعرفة فيقول:

ولما عرف الأسكندر أن أفلاطون صار أستاذ المعرفة في بلاد الروم رفع منزلته في السيادة، وأعلى منزلته عنده⁽³¹⁵⁾.

الخاتم والراعي:

ويذكر نظامي أن أفلاطون قد حكى هذه القصة للأسكندر، وهي أنه قد سمع عن زلزال حدث في بخاري، فأحدث شقا في الأرض، تدفق منه معدن النحاس بكميات كبيرة، ثم استقر في بئر عميقة على شكل حصان.

⁽³¹⁴⁾ نظامي الكنجوى: اقبالنامه، ص 85-92.

⁽³¹⁵⁾ المرجع السابق: ص 92.

| | |
|--------------------------|---------------------------|
| سكندر جودانست كزهر علوم | فلاطون شد استاد دانش بروم |
| برافزود بايش در آن سرورى | بلزدخودش داد باالاترى |

وذاًت يوم كان راع يمر بجوار تلك البئر، فلفت نظره ذلك الحصان، وكانت أشعة الشمس قد سطعت عليه، فبدأ متلأئناً منيراً، وقد امتطاه رجل ميت، وفي أصبعه خاتم، فأخذ الخاتم ولبسه، فلاحظ أنه يرى الرعاة إذا وقف بينهم، لكنهم لا يرونه، فتفحص الخاتم، وعرف أن سره يكمن في فسه، إذ أنه إذا رفعه إلى أعلى ظهر أمام من يقف أمامه، وإذا حركة جهة اليمين إختفى عن الناظر إليه⁽³¹⁶⁾.

وقد استعان هذا الراعي بالخاتم في أن يحقق كل ما يريده من ثروة وجاه، وأن يصبح ملكاً ثم نبياً، يقول نظامي:

"هكذا ارتفع شأن الراعي، فعاد عرش الملك إليه.

فانظر إلى الخاتم، وكيف أوصله خاتم الملك إلى منزلة النبوة".

ويختم نظامي هذه القصة بأن الأسكندر سر بسماعها، وأثنى على أفلاطون⁽³¹⁷⁾.

والواضح من هذه القصة أن نظامي قد تأثر عند نظمها بما ورد في التاريخ اليهودي عن سيدنا سليمان بن داود وخاتمه الشهير.

أحوال الأسكندر مع سقراط:

وتحكى هذه القصة أن الحكيم سقراط سلك طريق الزهد، بعد أن أصبح أستاذاً على حكماء اليونان، وعاش في الصحراء.

وذاًت يوم عقد الأسكندر اجتماعاً مع الحكماء، فطلب منهم استدعاء

سقراط قائلاً:

⁽³¹⁶⁾ نظامي: اقبالنامه، ص 94-95.

⁽³¹⁷⁾ نفس المرجع: ص 97.

| | |
|----------------------------|--------------------------|
| شبان آنجانن كردن اقرار كشت | كه آن بادشاهي بدوياز كشت |
| نكین بين كه از مهر انكشتری | جگونه رساند بيغمبری |

"أرسلوا في استدعاء سقراط، لا تناقش وأتباحث معه" (318).

ولكن سقراط رفض العودة مع من ذهب إليه، وقال له:

"إذهب وقل للأسكندر لا تبحث عن كل شيء لا تجده في الدنيا، لقد صوت في العالم المعنوي.

وهذا كلام واضح، ومع أنني موجود الآن في العالم المادي، لكنني قد تخيلت عنه.

لأنني حين أتشغل بعبادة الله، أدنو من الحضرة الألهية" (319).

فلما بلغ الأسكندر قول سقراط هذا، زاره له الهدايا، فلم يقبلها، وأبلغه أنه حرم على نفسه أكل اللحوم، وأنه يعيش الآن على الخبز المصنوع من الشعير، ويرتدي الخرقة التي يرتديها رجال الصوفية.

ثم قال له:

"أي خوف من خلق العالم، طالما أنني عقدت الحزام لخدمة الخالق الطاهر.

لقد صرت سيدك بعبادتي لله، أما إذا جئت عندك، فسأصبح عبدك.

(318) نظامي: اقبالنامه، ص 98:

| | |
|----------------------|-------------------------|
| فرستيد وخوانيد بگووى | نكهيدان تركيب واخلاط را |
|----------------------|-------------------------|

(319) نفس المرجع: ص 99:

| | |
|--------------------------|-----------------------------|
| بد وگفت روياسكندر بگووى | كه هرج اندرين ره نيابي مجوى |
| من آنجايم وين سخن زوشنست | كراينجا خياليست آن بي منست |
| مراكر بدست آرد ايزد پرست | هم از در كه ايزد آيم بدست |

فيا أسكندر انظر إلى السماء، وتأمل حركة كواكبها ونجومها، لتعرف مغزى هذا الكون»⁽³²⁰⁾.

ولاحظ سقراط أن الأسكندر، ينصت إلى كلامه ويتقبله، فبدأ في إهداء النصائح إليه بضرورة التخلي عن متاع الدنيا وزينتها، وعبادة الله، والتقرب إليه، فأستجاب الأسكندر لنصائحه، وأمر كاتبه بتسجيلها، فكتبها بماء الورد⁽³²¹⁾.

وعلى الرغم من أن هذه القصة تضمنت خلطا تاريخيا، لأن سقراط كان قد عاش في عصر متقدم على عصر الأسكندر، وهو القرن الخامس قبل الميلاد، بينما عاش الأسكندر في القرن الثالث قبل الميلاد، إلا أنها كانت تمهيدا موقفا من نظامي للحديث عن الأسكندر كحكيم يشتغل بعلم الحكمة والمعرفة قبل أن يختم منظومته.

حديث الحكيم الهندي مع الأسكندر:

وقد أظهر نظامي في هذه القصة شخصية الأسكندر كحكيم ماهر، حيث استهلها بقوله:

"ارتقى عرش الأسكندر بعلمه ومعارفه"⁽³²²⁾.

⁽³²⁰⁾ نظامي: اقبالنامه، ص 102-103:

| | |
|-----------------------------|--------------------------------|
| زخلق جهان بنده را چه باک | که بنده کمربیش یزدان باک |
| در این بندگی خواجه باشم ترا | کر آیم بتو بنده باشم ترا |
| ببین ای سکندر بتقوم راست | که این نکته را ارتفاع از کجاست |

⁽³²¹⁾ نفس المرجع: ص 108:

| | |
|-------------------------|---------------------------|
| بفرمود تا مرد کاتب سرشت | بآب زر آن نکته ها را نبشت |
|-------------------------|---------------------------|

⁽³²²⁾ نظامي: اقبالنامه، ص 108:

| | |
|-------------------------|---------------------------|
| سکندر با این فرهنگ خویش | ملوکانه بر شد باورنگ خویش |
|-------------------------|---------------------------|

ثم ذكر نظامي لنا بعد ذلك أن حكيمًا من الهند قد جاء إلى بلاط
الأسكندر، وقابله، وقال له:

"لقد سمعت أنك صرت نابعة عصرك، وأسألك سؤالاً، وأنتظر أجابتك
الوجيهة القيمة"⁽³²³⁾.

فقبل الأسكندر، فسأله الحكيم الهندي عن نهاية العالم، وحقيقة الروح،
والأحلام، وعلم النجوم.

فأجاب الأسكندر عن نهاية العالم فقال:

"هكذا الله خلق عالميين، هما الدنيا والآخرة، فالآخرة كنز، والدنيا
مفتاحه.

فإن تررع في الدنيا أعمالاً صالحة، فإنك تحصد في الآخرة ثمار ما
زرعت"⁽³²⁴⁾.

وأجابه عن الروح بأنها خالدة لا تموت فقال:

"ماذا يقولون عن الإنسان الذي يموت؟ هل يقولون أسلم الروح، أم ماتت
الروح.

إنهم يقولون: أسلم الروح وهذا صحيح، فهناك فرق بين إسلام الروح،
وبين موتها.

⁽³²³⁾ نفس المرجع: ص 110:

| | |
|------------------------|----------------------|
| زمن برسش وباسخ آيد زتو | جواب سخن فرخ آيد زتو |
|------------------------|----------------------|

⁽³²⁴⁾ نظامي: اقبالنامه، ص 113:

| | |
|---------------------------|-----------------------------|
| که آيزدو کيتی بدان آفريد | که آنجا بود کنج و آنجا کلید |
| در اینجا کنی کشت و کارنوی | در آن جا پرکشتت را بد روی |

فدع الروح، لأنها شعاع طاهر من النور الإلهي، وليست من الماء والتراب»⁽³²⁵⁾.

وأجابه عن الأحلام، بأنها ليست خيالية، وإنما هي صدى لحياة الإنسان وتجاربه، فقال:

«أن نفس الإنسان مصدر جميع الأحلام، فالأشياء المألوفة لديه، لا الغريبة عنه، هي التي يراها في الحلم.

فإذا رأيت ميثا أو حيا في الحلم، فهو نور ينتشر من شمعك.

وهو مثل لفكرك الصافي، ومظهر لأمل إدراكك»⁽³²⁶⁾.

وأعجب الحكيم الهندي باجابات الاسكندر، وسجد يقبل الأرض، اعترافا بقدرته وعظمته، كما أتى الحكماء الحاضرون على الأسكندر، يقول نظامي:

«أشاد بالملك، وسجد يقبل الأرض قائلا: لقد ضرب الملك أعنان الإقلاك بقدرته العالية.

وأنتى جميع الحكماء على هذا الفكر الثاقب، وذكروا اسم الله»⁽³²⁷⁾.

⁽³²⁵⁾ نفس المرجع، ص 114-115:

| | |
|------------------------------|--------------------------------|
| حكايت زشخصي كه او جان سيرد | جه كويند؟ جان داد يا جان بمررد |
| بكويند جان داد واين نيست رزق | زداده بود تا فرورمرده فرق |
| زجان در كذر كان فروغيست بباك | زنور إلهى نه از آب و خاك |

⁽³²⁶⁾ نفس المرجع: ص 120:

| | |
|----------------------------|--------------------------|
| بتسليم شه بوسه بر خاك زد | شه از خرس سربر افلاك زد |
| همه زير كان برجان هوش وراى | دميدند وخواندند نام خدای |

⁽³²⁷⁾ نظامي: اقبالنامه، ص 115:

وقد بدت في هذه القصة ثقافة نظامي الدينية العميقة، وثقافته العامة الواسعة بوضوح في إبراز شخصية الأسكندر كحكيم. كما أن هذه القصة تعد بداية موفقة للخاتمة التي ختم بها نظامي حديثه عن حكمة الأسكندر، وهي أنه الأسكندر أصبح حكيماً ماهراً قديراً، تفوق بأرائه في الحكمة والمعرفة على آراء الحكماء السبعة، الذي اجتمع بهم.

خلوة الأسكندر بالحكماء السبعة:

ختم نظامي حديثه عن حكمة الأسكندر بهذه القصة، فنذكر فيها أن الأسكندر اختار سبعة حكماء من الفلاسفة اشتهروا بالعلم والمعرفة وهم: (أرسطو) وزير مملكته، و (بليناس) الشاب، و (سقراط) الشيخ، وأفلاطون وواليس ورفرور يوس الذين جاؤرت شهرتهم عنان السماء، وهرمس وهو سابعهم، وكان عاقلاً اشتهر في الآفاق برزاقته⁽³²⁸⁾.

ثم عقد اجتماعاً معهم، ويصف نظامي مكانته العالية بينهم، فيقول:

| | |
|--------------------------|------------------------------|
| خيال همه خوابها خانكيست | دران أشنائتي نه بيكا نكيست |
| اكر مرده كرزنده بين خواب | ز شمع تر ميخيزد آن نور و تاب |
| نماينده انديشه باك تست | نموده تمنای ادراك تست |

(328) نظامي: اقبالنامه، ص 120-121:

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| از آن فیلسوفان كزين كرد هفت | كه برخاطر كس خطائی نرفت |
| ارسطو كه بد مملكت را وزير | بليناس برنا وسقراط بيبر |
| فلاطون وواليس ورفرور يوس | كه روح القدس كرد شأن دستبوس |
| همان هفتمين هرمس نيك راى | كه برهفتمين آسمان كرد جاى |

"جمعهم الملك كالدائرة حوله، وكان هو نقطة الارتكاز (329).

ثم طلب منهم أن يحددوا ما هو أصل العالم، وما هي مادة الخلق الأولى،

فقال:

"إن العقل السليم والرأي السديد يحتمان البحث عن مادة الخلق الأولى، وأصل العالم" (330).

فأجاب أرسطو أنميرى أن الحركة هي أصل الخلق الأول، وفسر رأيه فقال: إن النار تتولد من قوة دوران الأفلاك، ومن شدة توهج النيران يتولد الهواء، لكنه يكون ساخنا جدا، وحينما يسقط في الآبار، يبرد ويتحول إلى ماء، ثم يتبخر هذا المال وينتج عنه التراب. وعندما تستقر العناصر الأربعة، تمتزج ببعضها البعض بأمر الله، وينتج عنها الخلق الأول (331).

وأجاب واليس أن الماء هي مادة الخلق الأولى، ومن تحركها تتولد بقية العناصر الأربعة، ثم تمتزج ببعضها البعض، فيتكون السكون (332).

أما سقراط فقد رأى أن السحاب هو أصل الخلق، ووضح رأيه، فقال أنه لم يكن يوجد قبل الخلق سوى الله الذي أثار بعظمته وقدرته السحاب، فخلقت السماء من أمطاره، والقمر والشمس من برقه، والأرض من بخاره، ثم استقرت في مكانها (333).

(329) نظامي: اقبالنامه، ص 121:

| | |
|---------------------------|----------------------------|
| جنین هفت بر کار برکزد شاه | در آن دایره شه شه نقطه کاه |
|---------------------------|----------------------------|

(330) نفس المرجع: ص 121:

| | |
|------------------------|-----------------------------|
| جان واجب آمد برای درست | که ترکیب اول جه بود از نخست |
|------------------------|-----------------------------|

(331) نفس المرجع: 123 - 125.

(332) نظامي: اقبالنامه، ص 125.

(333) نفس المرجع: ص 127.

وقد أجاب بليتاس بشأن الخلق الأول فقال: إن أول طلسم خلق هو الأرض، ومنه تولدت العناصر الأربعة⁽³³⁴⁾.

ورأى فرفوروريوس أن أصل الخلق الأول هو المادة التي تحولت من فيض الله، وذلك أن الله قبل أن يخلق الكون، خلق جوهرًا صار أزليًا بفضل فيضه، ثم انقسم هذا الجوهر إلى قسمين، قسم ارتفع إلى أعلى فصار السماء، وقسم نزل إلى أسفل فصار الأرض⁽³³⁵⁾.

أما هرمس فقد قام بوصف العالم، ولم يعط إجابة بشأن الخلق الأول⁽³³⁶⁾.

ثم أدلى أفلاطون برأيه فقال: إن الله خلق مواد متفرقة، لأنه لو كانت هناك مادة أصلية، نتج عنها خلق شيء من شيء، لكانت هذه المادة أزلية⁽³³⁷⁾.

ثم عقب نظامي على هذه الآراء برأى الأسكندر الصحيح فقال على لسانه:

"ما دنا لا نستطيع أن نقرأ كتاب الخلق، فكيف نستطيع التكهن بما فيه؟ وأنتم وقد أطلعتم على أسرار السماء، انظروا كيف قلتم أقوالاً مختلفة. ولهذا لا يحسن التنبؤ بشيء أكثر من هذا، لأن خلق العالم لا بد له من خالق"⁽³³⁸⁾.

⁽³³⁴⁾ نفس المرجع: ص 126.

⁽³³⁵⁾ نفس المرجع: ص 127-128.

⁽³³⁶⁾ نفس المرجع: ص 128-129.

⁽³³⁷⁾ نظامي: أقبانامه: ص 129-130.

⁽³³⁸⁾ نفس المرجع: ص 131.

| | |
|-----------------------------|--------------------------------|
| جو مالوح خلقت ندائيم خواند | تجسس دراو جون ترائيم راند |
| شما كاسمان راورق خوانده ايد | سخن بين كه جون مختلف رانده ايد |
| از اين بيش كفتن نباشد بسند | كه نقش جهان نيست بي نقش بند |

وفي الحقيقة أن جمع نظامي لهؤلاء الحكماء السبعة حول الأسكندر بهذه الصورة التي صورها، يعد شيئاً من ابتكاره، وذلك لكي يصل إلى الهدف الذي يريد أن يختم به منظومته، وهو بلوغه منزلة الحكيم الماهر القدير الذي يفق هؤلاء الحكماء المشهورين في العلم والمعرفة، لأنه لم يثبت تاريخياً أن هؤلاء الحكماء قد عاشوا في عصر واحد، فواليس توفي قبل سقراط الذي توفي قبل الأسكندر بمائة عام تقريباً، كما توفي أفلاطون قبل الأسكندر، أما فرفوريس وبليناس فقد عاشا بعد عصر الأسكندر. كما أن شخصية هرمس فتبدو وهمية، لأنه كما سبق أن ذكرت اختلفت الأقوال في حقيقة أمرها والذي ثبت تاريخياً هو أن أرسطو كان معاصراً للأسكندر سواء أكان أستاذه، أم كان زميلاً له⁽³³⁹⁾.

ونحن بصدد هذه القصة لا يهمنا تحرى الدقة التاريخية، بقدر ما يهمنا أن نقول أن ثقافة نظامي الغزيرة المتنوعة، وبراعته في تصوير هذه القصة، قد نجحنا في تجسيم شخصية الأسكندر كحكيم ماهر للقارئ.

وختم نظامي للجزء الأول من منظومته (اقبالنامه) الذي يتناول حكمة الأسكندر، كما أن هذه القصة تعد تمهيداً طيباً للحديث عن نبوة الأسكندر، حيث أنه بلغ منزلة إدراك وجود الله ووجدانيته، مما جعله أهلاً للنبوة، ولتحمل الرسالة والخروج لطوافه العالم من أجل هدايته.

وأهم ما نلاحظه على الجزء الأول من منظومة (اقبالنامه) الذي تناول الحديث عن حكمة الأسكندر أنه على الرغم من عدم تحرى نظامي الدقة فيما ذكره من الحكماء السبعة، وغلبة الناحية القصصية عليه، ومزج الحقائق فيه بالأساطير، إلا أن نظامي قد استطاع بمهارته الفائقة في النظم أن يجعل الجو العام لهذه القصص يتيح للأسكندر أن يتعلم الحكمة ويكون حكيماً، سواء كان الحديث مباشراً أو غير مباشراً عنه، إلى أن وصل به في النهاية إلى منزلة الحكيم الماهر الذي يفوق جميع حكماء عصره من خلال تسلسل الأحداث بشكل

(339) عباس بورشو شترى: إيران نامه، جلد سوم، ص 343-398، طبع تهران 1321.

منطقي، وتصوير جميل صادق بعيد التكلف، يجعل القارئ يقتنع بأن الأسكندر
قد صار حكيما ماهرا حقا، وأنه مؤهل لبلوغ منزلة النبوة.

الفصل الرابع

الأسكندر النبي في منظومة (اقبالنامه)

تمهيد:

بدأ نظامي الجزء الثاني من منظومة (اقبالنامه)، والخاص بنبوة الأسكندر، بالحديث عن المكانة العلمية الرفيعة التي بلغها الأسكندر، وذلك تمهيدا للحديث عن نبوته، فقال:

"بلغ مكانة في العلم والمعرفة، أعطاه العقل بها مفتاح السعادة.

ففتح أبواب الجهل المغلقة، وحل الكثير من المشكلات والمعضلات.

فصار لا مثيل له في الدنيا، لمعرفته بجميع العلوم الموجودة فيها"⁽³⁴⁰⁾.

وببلوغه هذه المكانة، دخل الأسكندر في مرحلة المكاشفة، فكان يظل طوال الليل والنهار يتأمل الكون، ويبحث في أسرارها، حتى نزل عليه ملاك من السماء، يبلغه تحية الله، وأن الله اختاره، ليكون نبيه المرسل إلى الناس لهدايتهم قائلًا:

"طف العالم مثل الفلك، واطور رأس الطغاة بالحب والمودة.

وادم الخلق إلى عبادة الله، والدخول في دينه، والبعد عن الضلال.

وأصلح هذه الدنيا البالية، وظهر الآفاق من الغفلة والأثام.

⁽³⁴⁰⁾ نظامي: اقبالنامه، ص 135:

| | |
|-----------------------------|---------------------------|
| که دادش خردبر بر کشایش کلید | زتعلیم دانش بجائی رسید |
| بسی بسته هارا کره باز کرد | بسی رخنه را بستن آغاز کرد |
| تمامی جز اورا نبود از جهان | بدانستن علمهای نهان |

وأيقظ النائمين في الظلام، وارفح عن طريق العقل والاقناع النقاب عن وجوههم.

فأنت كنز الرحمة قبل الخالق الطاهر، وأنت مبعوثه على الأرض-
التعسة" (341).

وخشى الأسكندر القيام بهذه المهمة، لأنه لا يعرف لغات الشعوب التي سيتوجه إليها وقال للملاك:

إذا حملت الرسالة النبوية أي حجة أهدى بها الخلق، وأي معجزة أظهرها في الكلام حتى يصدقني الناس؟" (342).

فأجابه الملاك بأن دليل نبوته سيكون معرفته للغات شعوب العالم، وتهئية الجيوش اللازمة له في جهات العالم الأربعة (343).

(341) نظامي: اقبالنامه، ص 136:

| | |
|---------------------------|--------------------------|
| برای بگرد جهان جون سپهر | در آری سر وحشیان را بمهر |
| کنی خلق را دعوت ازراه بد | بدارنده دولت و دین خود |
| بنا نوکنی این کهن طاق را | ز غفلت فرو شوئی آفاق را |
| سر خفتگان را بر آری زخواب | ز روی خرد بر کشائی نقاب |
| توئی کنج رحمت زیزدان باک | فرستاده بر بی نصیبان خاک |

(342) نظامي: اقبالنامه، ص 138:

| | |
|-------------------------|--------------------------|
| وگر دعوی آرم بییغمبری | جه حجت کن خلق را رهبری |
| جه معجز بود درسخن یاورم | که دارند بینفد کان باورم |

(343) نفس المرجع، ص 138-139.

فسر الأسكندر، وأخذ يستعد للطواف حول العالم لهداية الناس، فكان أول شيء بدأ به، هو إعداد نفسه روحيا لهذه الرسالة، يقول نظامي:

"أعد ثلاثة كتب غير الكتاب المقدس الذي يعد عن طريق العقل، رمزا لوجود الخالق.

وكتبها نساخ ماهر بحبر أسود على قماش من الحرير.

وقد ألف أرسطو الكتاب الأول، وتحدث فيه عن جوهر الناس الحسن والسيء. وألف أفلاطون الكتاب الثاني وأورد فيه كل المعارف التي يعرفها.

وألف سقراط الكتاب الثالث، في الحديث عن الخصال المستحبة والمحمودة.

وجمع الملك هذه الكتب الثلاثة بعد الفراغ من تأليفها.

وصهرها بخاتمة، وضمها في مجلد واحد⁽³⁴⁴⁾.

وهكذا أعد نظامي الأسكندر كنبى للقارئ، ثم انتقل به إلى الحديث عن طواف العالم، ويبدو أنه قد تأثر بالفكرة التي وردت في القصة النثرية

(344) نظامي: اقبالنامه، ص 141:

| | |
|-----------------------------|---------------------------|
| بجز سفر اعظم كه در بحر دي | نشانی بند از مایه ایزدی |
| سه فرهنگه کامه ز فرخ دبیر | بمشك سیه نقش زد بر حریر |
| ارسطو نخستین ورق در نوشت | خبر داند از گوهر خوب وزشت |
| فلاطون دگر نامه رانقش بست | ز هردانشی کامد اورا بدست |
| سوم درج را کرد سقراط بند | زهر جوهری گان بود دلمیند |
| جو کشت این سه فهرست برداخته | سخنهای بایکد گر ساخته |
| شه آن نامه هارا همه مهر کرد | بیجد و بنهاد دریک نورد |

(اسكندرنامه) وهي أن الأسكندر كان يجلس ليلا وكان ينزل عليه ملاك من السماء، ويتناقش معه في أموره، ويخبره بما سيحدث⁽³⁴⁵⁾، ثم أضاف عليها، وطورها ونظمها في منظومة عبارة عن قصص اسطورية تتحدث عن الأسكندر كنبى، يطوف العالم من أجل نشر تعاليم دين الله، وبسط العدل بين أرجائه.

طواف الأسكندر النبي للعالم:

بدأ الأسكندر يعد الترتيبات اللازمة للسفر، فأمر أولا بإعطاء خراج الروس والروم لابنه (اسكندروس)، وسلمه لأمه، ونصحها بنصيحة قال فيها:

"إنني ذاهب، فأحكي بما يوجب العدل والدين، حتى يشيدوا بسياستك، وأظهري عاطفة الأمومة للرعية، ولكن لا تجعلها تتغلب عليه، واطيعي الله، ولا تعصيه ولقد حتمت الضرورة أن أرحل، وأترك لك التاج والعرش، وأسأساك طريقا طويلا، ولا أعلم هل سأعود إلى عرشى أم لا ؟ فأفعل ما أوصيتك به، حتى إذا عدت، لا تصيبني عين السوء من جراء أخطائك"⁽³⁴⁶⁾.

⁽³⁴⁵⁾ انظر الرسالة: ص 108.

⁽³⁴⁶⁾ نظامي: اقبالنامه، ص 166-167:

| | |
|-----------------------------|--------------------------------|
| جنان کن کہ کوئند بادا جنین | کہ من رفتم اینک تو ازداد و دین |
| جو مادر شدی مہر مادر نماى | بدر وار با بند کان خدای |
| نکہدار فرمان برورد کار | ببروردن داد و دین زینہار |
| سبردن بتو شغل دیہیم و گاہ | ضرورت مرا رفتی شد براء |
| ندانم کہ آیم بر اورنک خریش؟ | کرفتم رہی دور فرسنگ بیش |
| تہ توخیرہ باشی نہ من چشم زد | کر آیم جنان کن کہ از جنم بد |

ويعد ذلك استعراض الأسكندر جيشه، وأعد جيشا كبيرا يتكون من مائة ألف جندي من خيرة جنوده، كما اصطحب معه أربعة آلاف جمل محملين بالأمتعة⁽³⁴⁷⁾.

توجه الأسكندر صوب الغرب:

ذهابه إلى مصر:

خرج الأسكندر من مقدونية متجها صوب الغرب فوصل أولا إلى مصر، ومكث فيها يومين، ثم توجه إلى الاسكندرية، وأمرهم بأن يبنوا منارا على البحر، ويوضع عليه مرآة، لتبين العدو، حيث يقترب، فيمكن الاستعداد لدرء خطر⁽³⁴⁸⁾.

ذهاب إلى بيت المقدس:

ثم سار الأسكندر من الاسكندرية إلى بيت المقدس، فلما وصل هناك، توجه إليه الناس يشكون حاكمهم الظالم، ويطلبون الخلاص عليه يديه قاتلين: "بما أن تراب الأرض بوطأة أقدامك عليه، فطهر لنا أيضا البيت الطاهر.

فأرفع رايتك على المقدس، وأطح بالعدو من على وجه الأرض ففي ذلك المكان الطاهر، يوجد شيطان يعادى أحباب الله.

ولم ير زوار ذلك البيت العظيم منه سوى السوء والضرر.

فقد أراق الدماء، وقضى على الكثيرين بدون وجه حق.

ونحن جميعا في خوف من هذا الحاكم الشرير، وانت القاضي عليه، ونحن نطلب العدل منك⁽³⁴⁹⁾.

⁽³⁴⁷⁾ نظامي: اقبالنامه، ص 167-168.

⁽³⁴⁸⁾ نفس المرجع، ص 168.

⁽³⁴⁹⁾ نظامي: اقبالنامه، ص 169.

بكن خانه باك را نیز باك

كه جو از تاو باكي بذيرفت خاك

وبعد أن استمع الأسكندر إلى هذه الشكوى، توجه على الفور إلى حاكم بيت المقدس، وحاربه، ونجح في القضاء عليه، ويصف نظامي هذه الواقعة فيقول:

"أغلق الملك الطريق أمام ذلك الشرير في أول غارة شنّها عليه. ولم يكذب بصره، حتى قتله، وعلقة على بوابة بيت المقدس. ثم أرسل مناديا في الحال ليعلن للناس مدى ظلمه. ويطلب من كل من لحقه حيف أن يذكره. لأنه خلص هذه الديار المقدسة من برائته، وعطر ترابها برائحة العنبر" (350).

| | |
|-----------------------------|------------------------------|
| بمقدس رسان رايت خوبش را | برافکن زکیتی بد اندیش را |
| در آن جای با کان یک اهریمست | که باد وستان خدا دشمنست |
| مطیعان آن خانه ارجمند | نبیتد ازو جز کداز وگزند |
| بخون ریختن سریر افرختست | بس را بناحق سر انداختست |
| همه در هر اسیم ازین یوزاد | توئی دیویند از تو خواهیم داد |

(350) نظامی: اقبالنامه، ص 169-170:

| | |
|-----------------------------|--------------------------|
| باول شیخون که آورد شاه | بران راهزن دیویر بست راه |
| جو بیداد کردید خون ریختش | زد. روازه مقدس او بخشتش |
| منادی برانگیخت تار زمان | زیب داد او بر کشاید زیان |
| که هر کوبدین خانه بیداد کرد | بدینگونه بخت بدش یاد کرد |

ذهابه إلى بلاد الأندلس:

ثم اتجه نحو العرب، وسار إلى بلاد الفرنجة ومنها إلى بلاد الأندلس، فلما وصل إليها، أخذ يدعو الناس إلى الدين والفضيلة، فقبلوا دينه وتعاليمه، ولم يخرجوا من طاعته وأسرعوا للسير معه في الطريق المستقيم⁽³⁵¹⁾.

ذهابه إلى مغرب الشمس:

ثم أسرع الأسكندر بعد ذلك إلى البحر، وركب سفينة، واتجه بها إلى حيث تغرب الشمس، فظل يسير في البحر لمدة ثلاثة شهور، حتى وصل إلى جزر كثيرة، بدت خالية من الناس، فلما تجول فيها، عثر على أناس من غير جنس الآدميين، فلما شاهدوه، فروا هاربين إلى الجبال.

ثم واصل سيره، فوصل إلى واد رمال صفراء، فلما بلغ نهايته، كان قد وصل إلى المحيط الذي أظهر له أمواجه الهائلة، فرأى الأسكندر غروب الشمس فيه وأدرك أنه لا يوجد مكان أبعد من ذلك، يمكن الذهاب إليه⁽³⁵²⁾.

ثم وصف لنا نظامي غروب الشمس في ذلك البحر فقال:

كان غروب الشمس عن العالم واضحا في ذلك البحر العميق.

فلم تكن حجب المياه تخفى رؤية أشعتها.

| | |
|---------------------------|--------------------------|
| جو زو بستد آن خانه باك را | بعتبر بر أميخت آن خاك را |
|---------------------------|--------------------------|

⁽³⁵¹⁾ نفس المرجع: ص 170:

| | |
|-----------------------------|---------------------------|
| برافرنجه آورد از آنجاء سباه | وز افرنجه براندلس كرد راه |
| جو آمد كه دعوى وداورى | بدانش نمائى ودين برورى |
| كس از دانش ودين او سرنتافت | وهى ديپروشن بدان ره شتافت |

⁽³⁵²⁾ نظامي: اقبالنامه، ص 171.

وفي كل يوم وليلة، يلقي الفلك الأشعة على البحر من عين الشمس البعيدة. فتعطي لنا الدليل على عين الشمس، وعين ماء البحر.

وهي نفسها العين الحمئة التي تغرب فيها الشمس، حينما تتجه إلى البحر، وتغوص فيه⁽³⁵³⁾.

وقد ظل الأسكندر في دهشة لرؤيته هذه العين، وانشغل بالتفكير في أمرها، وسأل أحد علمائه عنها وعن صاحبها، فأجابه بأن مفسرين كثيرين قد طرقتوا باب التفكير فيها، ولم يصلوا إلى نتيجة، وأنا نفسي لا أعرف، ولم يصلني جواب لسؤالي من شخص، ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذي يعرف سرها⁽³⁵⁴⁾.

ثم جلس يستريح على ساحل المحيط، فلما نظر إلى مياهه، اكتشف انها ثقيلة ثقل الزئبق، فاستشار خبراء، في أن يبجر بسفينة ليكشف سر هذه المياه الغامضة، ولكنهم نصحوه بعدم المخاطرة، لأن بهذه المياه أفعى ضخمة

⁽³⁵³⁾ نظامي: اقبالنامه، ص 171-172:

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| فرو رفتن آفتاب از جهان | در آن زرف دریا نبودی نهان |
| حجابی مغائی بدان آب را | نیوشیدی از دیدها تاب را |
| فلك هر شبانروزی از چشم دور | بدریا در افکندی از چشمه نور |
| بما در فرو رفتن آفتاب | اشارت بجشمه است و دریای آب |
| همان چشمه کرم کوراست جای | بدریا حوالست کند رهنمای |

ويبدو أن نظامي قد تأثر في هذه القصة بما ورد في القرآن الكريم في سورة الكهف آية 86، حيث قال الله تعالى: "حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة". كما مال نظامي إلى تفسير (حمئة) على أنها بمعنى (ساخنة)، وهذا يتفق مع قراءة ابن عاصم وعامر وحمز والكسائي الذين قرأوا عين حمئة أي حارة على عكس قراءة الباقرين في عين حمئة أي كثيرة الحماة، وهي الطينة السوداء: أنظر أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي: الجامع الأحكام القرآن، طبع القاهرة 1360هـ، 1941م، ج11، ص 49.

⁽³⁵⁴⁾ نظامي: اقبالنامه، ص 173.

كالتمساح سوداء اللون مفترسة مخيفة، تفنك بكل من ينظر إليها، فتفيض روحه في الحال، والأسوأ من هذا كله، أنه لو أبحر سيد ساحلا مضيئا يتلألا من كثرة نوره، وفي مكان تلاطم الأمواج توجد أحجار كثيرة متعددة الألوان، زرقاء وحمراء وصفراء وسوداء، كما توجد أحجار المرقشيشا⁽³⁵⁵⁾ ذات اللون الذهبي المتلألئ من كثرة ضيائها، وعندما ينظر الإنسان إليها، يضحك من فرط السعادة والسرور، إلى أن يموت من كثرة الضحك في الحال⁽³⁵⁶⁾.

فلما سمع الأسكندر هذه الحكاية، فكر في حيلة للحصول على هذه الأحجار، فأشار وزيره عليه، بأن يرسل بعض الرجال معصيين الأعين، يمتطون جمالا سكيرة، ويمسكون هذه الأحجار بقماش، ويلقونها به.

وقد نجح الرجال بهذه الطريقة في إحضار الأحجار، فأمرهم الأسكندر أيضا بحمل رمال صفراء من الوادي، ثم رحل هو وجنوده من ذلك المكان، وساروا حتى وصلوا إلى واحة، فأمرهم ببناء قلعة، يستخدمون في بناء ما حملوه من الأحجار والرمال الصفراء، فكانت هذه القلعة تثقل كل من ينظر إليها.

بحثه عن منابع نهر النيل:

وبعد أن رحل عن هذه القلعة، واصل سيره على ظهور الفيلة مخترفا الصحراء، وظل يسير مدة ستة أشهر، حتى وصل إلى نهر النيل، فأبدى رغبته في تتبع منابع النيل التي كانت تعد أمرا غامضا عليه، فأعد جيشين، كل واحد منهما على ضفة من ضفتي نهر النيل، وواصل السير بهما ليلا ونهارا، يطوى الجبال والأودية والصحراء تلو الصحراء، حتى وصل إلى جبل أخضر اللون، تتبعث منه رائحة مسكية، فأرسل رجلا من رجاله، ليكتشف مصدر سبب هذه الرائحة، فلم يعد الرجل، فأرسل غيره، وهكذا أخذ الأسكندر يرسل الرجل تلو الآخر، دون أن يرجع واحد منهم، حتى هلك عدد كبير من جيشه، وأخيرا أرسل رجلا، وأرسل معه ابنه، ليلقى الابن من أعلى الجبل إلى أبيه وصفا له، حتى

(355) المرقشيشا: حجر كريم يصنع منه الكحل، وهو عدة أنواع ذهبي وفضي ونحاسي وحديدي ومعدي، ولكن أفضلهم الذهبي. أنظر برهان قاطع، ج4، ص2995.

(356) نظامي: اقبالنامه، ص 174 - 176.

يكشف سره الخامض، وقد نجحت هذه الفكرة، فعرف الإسكندر من وصف الجبل أن له جانبيين أحدهما مصدرا للبهجة والسرور، والآخر مرعب مملوء بالدمار⁽³⁵⁷⁾.

ذهاب إلى حديقة أرم:

وترك الإسكندر هذا المكان، وسار في الصحراء مدة حتى وصل إلى حديقة أرم، فوجدها جنة ذهبية الأشجار، بناها قوم شداد⁽³⁵⁸⁾.

وقد وصفها نظامي فقال:

"دخلها ملك الدنيا وطاف بها، فوجد أرضاه صفراء بسبب أشجارها الذهبية.

فجميع أشجار الفاكهة مملوءة بالياقوت واللؤلؤ.

ويتدلى التفاح والرمان الياقوتي اللون من كل ناحية.

والبرتقال الذهبي والفضي بنوعية، يسحر الأبواب بمناظره الخلابة.

وقد فرش بساط في تلك الحديقة يتلألأ بالجواهر كالمصباح المنير.

كما أقيم تمثالان من الذهب، على هيئة إنسان.

لو وقعت عين نحات عليهما، لسيطر عليه الخوف إذا عرف أنهما

تمثالان من الذهب، وليسا حقيقيين.

كما أعد بها حوض من البلور المتلألأ كقطع الثلج الفضية اللون.

ويعيش بداخله سمك من الياقوت الصافي، يبدو أكثر تالكتا من القمر

المنير في وسط الماء.

وبنى بها أيضا قصر عظيم أحجاره من الفضة والذهب.

⁽³⁵⁷⁾ نظامي كنجوى: اقبالنامه، ص 177-180.

⁽³⁵⁸⁾ شداد: هو رجل يدعى شداد بن عاد من نسل نوح عليه السلام، وقد بنى حديقة فناء ليس لها مثل في عصره، وقد ذكر شعراء الفرس حديقة أرم ككناية عن الحديقة الغناء، وقد عاشت هذه القبيلة في عصر هود عليه السلام، وأهلكها الطوفان بسبب عصيانها له.

وله قبة من الذهب الخالص تبدو متألئة كالشمس الساطعة» (359).

وقد دخل الأسكندر هذا القصر، فتخيل أنه يدخل قصرا في الجنة من روعة جماله وبهائه، فوجد عبارة مكتوبة بالخط الأخضر على لوح مصنوع من الياقوت، وموضوعة على أحد أعمدته تقول: أيها السيد: تقدم في خشوع وخجل، فلقد رقد في هذه المقبرة شداد بن عاد، الذي حظيت بفضل هذه الحديقة برونقها وبهائها، فتمهل في خشوع، ولا تعتدي علينا وتفضنا، لأننا لنا حشمة وحرمة في القبر، كما أننا لم نفضح أحد من قبل، واحفظ شرفنا، لأنك سوف ترقد أيضا في التراب.

(359) نظامی: اقبالنامه، ص 282:

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| درون رفت سالار کیتی نورد | زمین از درختان زر دید زرد |
| یکایک درختانش از میوه بر | همه میوه بیجاده و لعل و در |
| زهرسو آو یخته سیب و نار | همه نار یاقوت و یاقوت نار = |
| = زرنارنج زرین و سیمین ترنج | فرب آمدہ با نظرہا بغنج |
| بساطی کشیده دران سبز باغ | زکوہر برا فروخته جون چراغ |
| دوتتدیس از زر برانکیخته | زهر صورتی قلبی ریخته |
| جو در چشم بیکر شناس آمدی | اگر زر نبودی هراس آمدی |
| زیلور تر حوضہ ساخته | جویخ بارہ سیم بکداخته |
| دران ماهیان کردہ از جزع ناب | نمایندہ تر زانکہ ماہی در آب |
| دوخشتی بر آورده قصری عظیم | یکی خشت از زر یکی خشت سیم |
| در او کنبیدی روشن از زرناب | درفشندہ جون کنبید آفتاب |

إنهم لو أعدوا للميث في هذه المقبرة قبة من حجر الصوات الأسود فستكون عاقبتها أن تطيح رياح السماء بجدرانها، فتصبح ترابا في الوادي ويصير جسده غذاء للنمل، ورأسه ترابا تحت حوافر الحيوانات، فأنت يافتح قفل الأسرار، خف من مثل ذلك اليوم، وتلطف ببناء ولا تأمن لمثل هذه اللحظات، لأن آخرتك ستكون مثل آخرة أي إنسان وجميع كنوز هذه الخزنة وعرشنا وتاجنا ملك لك، فأحمل الكنوز، لأنها حلال لك، وليس لك شأن بنا⁽³⁶⁰⁾.

في تصويرها للقارئ، فخرجت في صورة جميلة رائعة، كان هدف نظامي منها، هو إظهار الأسكندر في صورة النبي العازف عن زخارف الدنيا ومباهجها، حتى أنه لم يبق بها مدة، ينعم بخيراتها كما أنه رفض أخذ الكنوز، لقناعته وزهده فيه.

كما ظهرت في هذه القصة من خلال الحديث عن الأسكندر نظرة نظامي إلى الدنيا، وهي أنها دنيا فانية لا تدوم، وأن الإنسان مصيره الزوال مهما علا شأنه فيها.

ذهابه إلى جماعة المتوحشين:

واختتم نظامي حديثه عن رحلة الأسكندر إلى الغرب بأسطورة تحكي أن الأسكندر سار مخترقا الصحراء، فلما قطع نصف الطريق، رأى جماعة متوحشة في صورة الأدميين، يسكنون الكهوف، فسألهم عما لديهم من عجائب، فأجابوه قائلين:

"إن طعامنا ما نسطاده من هذه الصخراء التي هي ماأوانا.

فحن نسطاد من هذه الصحراء، ونعيش كالوحوش.

فنأكل من ذلك الصيد ما نجده سائغا، ونصنع ثيابنا من جلوده وأوباه.

ولا تستخدم هنا نار، ولا يوجد ماء، فنارنا مستمدة من الشمس، وماؤنا يؤخذ من السحاب"⁽³⁶¹⁾.

(360) نظامي: اقبالنامه، ص 183-185.

(361) نظامي: اقبالنامه، ص 186.

ثم ذكروا له أن صحراءهم نائية خالية من الكنوز، ولذلك لم يستطيعوا أن يتصلوا بأحد، فمنحهم الأسكندر الكثير من العطايا، وأرشدهم إلى تعاليم دينه، فأكرموا وفادته، وأرشدوه إلى طريق الوصول إلى الربع المسكون، فوصل إليه بفضل إرشادهم⁽³⁶²⁾.

وقد تأثر نظامي في نظمه لهذه الأسطورة، بفكرة أسطورية ذكرها الفردوسي عند حديثه عن عثور الأسكندر على كنز كيخسرو⁽³⁶³⁾.

ثم ختم نظامي رحلة الأسكندر إلى الغرب، بأن توجه إلى ساحل البحر، وصنع سفنا كثيرة وأنزلها من الساحل إلى البحر، وركب البحر أكثر من شهر، حتى أوصل جيشه إلى اليباس، ثم استراح شهرا ليبدأ رحلته إلى الجنوب⁽³⁶⁴⁾.

نوجه الأسكندر صوب الجنوب:

لم يذكر لنا نظامي في هذه الرحلة أسماء بلاد أو أقاليم أو مدن أو قرى ذهب إليها الأسكندر، بل اهتم بذكر بعض القصص والحكايات، دون ذكر أماكن وقوعها.

القصة الأولى:

وتحكي هذه القصة أن الأسكندر ذهب إلى قرية جميلة كالجنة البهيجة، ووجد أهلها يستخدمون جمجمة قتيل، بعد أن تركوها تجف لمدة ثلاثة وأربعين

| | |
|----------------------------|--------------------------------|
| خور شهای ماصید صحراى ماست | درین زرف صحرا که ماواى ماست |
| برسم ددان زند کانی کنیم | درین دشت تخجیر بانى کنیم |
| کنیم آلت جامه از موی و جرم | خوریم آنچه زان صید یابیم بزم |
| بو دآب از ابر آتش از آفتاب | نه آتش بکار آید اینحانه آب |

⁽³⁶²⁾ نظامي: اقبالنامه، ص 188.

⁽³⁶³⁾ انظر الرسالة، ص 77-79.

⁽³⁶⁴⁾ نظامي: اقبالنامه، ص 188-189.

يوماً، ثم أخلوها من المخ، في التنبؤ بما سيحدث من خير وشر، حيث كانوا يضربون تلك الجمجمة بقضيب من حديد ويسألونها عما سيحدث في الليل والنهار من خير وشر، فيصدر من داخلها صوت يشبه الكلام، فكانوا يعتقدون أنها بذلك الصوت تخبرهم بأحوال الطقس غداً إذا كان حاراً أم بارداً، وتعرفهم بأحداث العالم في دورته في هذه الفترة من الزمان⁽³⁶⁵⁾.

فنهاهم الأسكندر عن مثل هذه الخرافات ودعاهم إلى اتباع دينه، ثم كلف دين من رجاله بمهمة هدايتهم ورعايتهم، وغادر القرية بعد أن اطمأن على هدايتهم.

القصة الثانية:

وتذكر هذه القصة أن الأسكندر واصل سيره في طرق وعرة، حتى وصل إلى واد مملوء بالماس، فيبدو ومثلأنا بسببه، كما أنه مملوء أيضاً بالأفاعي الفاتكة، يفوق عددها مئات الألوف، تسد طريق الوصول إلى هذا الماس.

فلما رأى الأسكندر الماس طمع في الحصول عليه، يقول نظامي:
 "عندما شاهد الملك منجم الماس، خفق قلبه له كتأكلؤ بريق الماس"⁽³⁶⁶⁾.
 وفكر في حيلة للحصول عليه، وهي أن أمر رجاله، بذبج ألف نعجة، وإلقائها في قاع الوادي، حتى إذا ما شاهدتها النسور، انقضت لخطفها إلى خارج الوادي لالتهامها.

وقد نجحت حيلة الأسكندر، فلما رأت النسور اللحم تسطع ببريق الماس الملتصق بها، هبطت في الوادي، وخطفت اللحم، وخرجت بها إلى خارج

⁽³⁶⁵⁾ نظامي: اقبالنامه، ص 190 - 191.

⁽³⁶⁶⁾ نظامي: اقبالنامه، ص 193.

| | |
|--------------------------|-------------------------|
| كذركاه دارد جو الماس تيز | جه شد دید كان الماس خيز |
|--------------------------|-------------------------|

وبعد أن أكلتهما، تركت الماس، فأمر الأسكندر رجاله بجمعه، وترك ذلك المكان، متجها إلى الصحراء⁽³⁶⁷⁾.

وفي الحقيقة لم يوفق نظامي في ذكر مثل هذه القصة، لأنها لا تتفق مع حديثه عن الأسكندر كنبى، فقد سبق أن ذكر لنا أن هاتفا أبلغه أن الله اصطفاه للطواف حول العالم من أجل هداية الناس إلى الدين الحق، فكان هذا يحتم عليه أن يصف بصفات النبي القنوع، لا المتكالب على المال على عكس ما صوره، وذلك حتى يتفق مع صفات النبي الحقيقي.

القصة الثالثة:

وتحكي هذه القصة أن الأسكندر عبر كثيرا من الصحارى، حتى وصل إلى مكان فسيح مملوء بالمزروعات والخضروات، فرأى شابا وسيم الوجه، ضخم البنيان يفلح الأرض، فتقدم إليه، وعرض عليه العرش مقابل أن يتخلى عن الفلاحة التي يمارسها، فرفض شاكرا الأسكندر، ثم سأله الأسكندر عن دينه، فأجاب الشاب:

"يا من خصصت بالنبوة من قبل الله لتهدي الخلق إلى طريق الخير.

لقد تعلق قلبي بالله مثلك، فأنا أتبع نفس الدين تدعو إليه.

لقد رأيتك أكثر من مرة في المنام، فتعلقت حياتي بك كما تتعلق حياة السمكة بالماء.

وبما أنك جئت لدعوة الناس جهرا، فإنني لن أتخلف عن خدمتك⁽³⁶⁸⁾.

⁽³⁶⁷⁾ نظامي: اقبالنامه، ص 194 - 195.

⁽³⁶⁸⁾ نظامي: اقبالنامه، ص 196 - 197.

| | |
|-----------------------------|---------------------------|
| جو انمرد كفت ای زکیتی خدای | ببیغمبری خلق را رهنمای |
| در آنکس دل خویش بستم که تو | همان قبله را مبرستم که تو |
| ترا دیدم أم بیشتر زین بخواب | بتوزنده کنتم جوماهی بآب |

فأثنى عليه الأسكندر، وقضى يوماً كاملاً في هذا المكان الفسيح، ثم غادره.

القصة الرابعة:

واصل الأسكندر سيره، فطوى كثيراً من المنازل، حتى وصل إلى مدينة كالجنة الجميلة، ولكن كان يحكمها حاكم ظالم، يعيث فيها فساداً، فحاربه الأسكندر، وانتظر عليه، ثم أرسى فيها قواعد العدل وسماها (أسكندر آباد)، وأعاد لكل شخص حقه المعتصب⁽³⁶⁹⁾.

توجه الأسكندر صوب الشرق:

ذهابه إلى الهند ثم إلى مدينة لنكربهشت⁽³⁷⁰⁾:

ثم توجه الأسكندر بعد ذلك إلى الهند، فلما وصل إليها، كان الوقت ربيعاً، فكانت الحدائق يانعة، والأزهار متفتحة، عطرة الرائحة. فتوقف فيها قليلاً⁽³⁷¹⁾، ثم اتجه شرقاً، فسار حتى وصل إلى المدينة المباركة التي يسميها الأتراك (لنكربهشت) لبهاؤها، فوجد فيها ربيعاً جميلاً، ومعبداً اسمه قندهار.

وكان في هذا المعبد صنم له عينان من حجرين كريمين، فأمر الأسكندر بتحطيم الصنم والمعبد، وأخذ ما يوجد من جواهر، لأنها لا تفيده الناس، فتقدم أحد كهنة المعبد ومثل بين يدي الأسكندر، وقص عليه قصة المعبد، وهي أنه كان في الأصل قصراً أثرياً قيماً، أوشك على الانهيار لقدمه فهبط عليه طائران، وكانا يحملان في منقاريهما حجرين كريمين، ثم طارا تاركين الحجرين، فبنى الناس

| | |
|-------------------------|----------------------------|
| بخدمتكرى جون نيندم ميان | كنون كامدى وين خبر شد عيان |
|-------------------------|----------------------------|

⁽³⁶⁹⁾ نظامي: اقبالنامه، ص 197-198.

⁽³⁷⁰⁾ لنكربهشت: معناها (مرسى الجنة) أي المكان الذي تستقر فيه، وهي مدينة وهمية من صنع خيال نظامي.

⁽³⁷¹⁾ نظامي: اقبالنامه، ص 200.

مكان القصر معبداً، وصنعوا صنما، وجعلوا عينيه من هذين الحجرين
الكريمين (372).

وأيقن الكاهن أن الأسكندر نبى مصلح، فذله على كنز أخفى تحت
الأرض، تعجب مستخرجوه من كثرة ما فيه من جواهر، فاستولى الأسكندر عليه
وتصدق بجزء منه واحتفظ بالجزء الباقي (373).

ثم واصل الأسكندر رحلته، فكان يقطع الصحارى، حتى يصل إلى
المناطق المعمورة، فيهدى الناس إلى تعاليم دينه، يقول نظامي:

"فكلما شاهد آدميين في بقعة تحدث معهم، واستمع إلى كلامهم. ودعاهم
إلى عبادة الله، حتى هداهم إلى الدين الحق" (374).

ذهاب إلى الصين:

وبعد ذلك ذهب الأسكندر إلى الصين، فلما علم خاقان الصين، أن
الأسكندر قد جاء هذه المرة كنبى يدعو الناس إلى دين الله الحق، رحب بقدومه،
وأحسن استقباله، وأعد له الهدايا اللائقة به، وعقد ميثاقاً معه، فتوطدت أواصر
الصدقة بينهما، بل أنه اعتنق دينه، وتعلم أصوله وتعاليمه، وحفظ آياته (375).

ثم عرض الأسكندر على خاقان الصين أن يصحبه في رحلة بحرية
ينوي القيام بها في المحيط، فوافق، ثم اختار الأسكندر عشرة آلاف رجل من

(372) نظامي: اقبالنامه، ص 201-202.

(373) نظامي: اقبالنامه، ص 202..

(374) نظامي: اقبالنامه، ص 202-203:

| | |
|--------------------------|----------------------------|
| بهر بقعه كادى زاد ديد | بايشان سخن كفت وزيشان شتيد |
| زيزدان برستى خبر داد شان | زدين تويتاي نظر داد شان |

(375) نفس المرجع: ص 203:

| | |
|------------------------|-------------------------|
| بذيرفت خاقان ازودين او | در آموخت آيات و آيين او |
|------------------------|-------------------------|

خيرة جنوده، وأبحروا جميعا نحو الشرق، ثم جنحوا صوب الجنوب وتوغلوا في أعماق المحيط مدة أربعين يوما متصلة دون راحة، حتى وصلوا إلى البحر الأزرق⁽³⁷⁶⁾، فرسوا على الشاطئ، ورفعوا الأعلام⁽³⁷⁷⁾.

ولاحظ الأسكندر أنه بالقرب من الشاطئ يوجد معبد، تخرج منه طوال الليل عرائس البحر الجميلات، ثم يذهبن إلى الشاطئ، فيغنين بصوت عذب، ويرقصن، بحيث أن كل من سمع غناءهن، سكر من عذوبة صوتهن، فابتعد بمن معه عن الشاطئ حتى لا يزعجهن⁽³⁷⁸⁾.

ولما حل الصباح، أمر الأسكندر قبطان السفينة، بالابحار في ذلك المحيط، الذي كان في حالة هياج شديد، فأبحروا حت وصلوا إلى بحر الصين، وفجأة ظهرت جزيرة من بعيد، فساروا إليها. وهناك علم الأسكندر من رجاله أنه لا يمكن السير أبعد من هذه الجزيرة، لأنها تعد نهاية حدود العالم من ناحية الشرق. فأمر ببناء طلسم رافعا يده مشيرا إلى عابري البحار، أنه ليس للناس طريقا بعد هذه الجزيرة، وما هو إنسان يستطيع أن يعرف ما يوجد في الطرف الآخر من البحر⁽³⁷⁹⁾.

وبعد أن تم بناء الطلسم، رجع الأسكندر إلى خاقان الصين، الذي كان في انتظاره، فأستراح اسبوعا، ثم واصل هو والخاقان سيرهما، فسارا في الصحراء عشرة أيام، حتى وصلا إلى مدينة صغيرة جميلة عامرة بخيراتهما، فعرف من أهلها أنهم يخافون من صوت مرعب، يأتي من البحر، عندما تشرق الشمس في صورة طرقت شديد، فيهرعون إلى كهوف قد بنوها تحت الأرض، يخفون أبناءهم فيها.

⁽³⁷⁶⁾ يبدو أن نظامي كان يقصد بالبحر الأزرق، بحر صغير يقع في الهند قرب مدينة قنوج كان يسمى (آب سياه) وقد استعمل كلمة أزرق للمحافظة على الوزن الشعري للبيت: انظر: البستاني: دائرة المعارف، الجزء الأول طبع بيروت 1876م.

⁽³⁷⁷⁾ نفس المرجع، ص 203-204.

⁽³⁷⁸⁾ نظامي: اقبانامه، ص 205.

⁽³⁷⁹⁾ نفس المرجع: ص 207-208.

وقد طلب الأسكندر من بليناس، تفسير هذه الظاهرة الغريبة، ففسره أن هذا الصوت يحدث بفعل تأثير الشمس حينما تسطع على أمواج البحر، وأشار على الأسكندر أن يأمر الجنود بدق الطبول، فطرب الناس، وأصبح دق الطبول عادة من عاداتهم، وأقبلوا على تعلم دينه، الذي يدعو إليه، وشكروه على هدايتهم من الضلال، إلى معرفة الله⁽³⁸⁰⁾.

ثم واصل الأسكندر رحلته حتى بلغ الصين، فاستراح شهراً، ثم بدأ رحلته إلى الشمال.

توجه الأسكندر صوب الشمال:

وقد بدأ الأسكندر رحلته صوب الشمال في فصل الصيف، بعد أن غادر الصين محملاً بالكثير من الهدايا، التي قدمها له خاقان الصين إليه.

وقد واصل سيره في الصحراء، حتى وصل إلى أرض مملوءة بالفضة، فلم يحمل منها إلى القليل لكثرة ما يحمله معه من الذهب⁽³⁸¹⁾.

لم يوفق نظامي في هذه الحكاية، لأنها تتناقض مع شخصية الأسكندر النبي، التي يتحدث عنها، فقد صورته هنا في صورة ملك طماع يهوى جمع الكنوز والأموال، فلم يكتف بما معه من ذهب كثير، بل أمر قائد جنوده بحمل الفضة قائلاً:

"خذ من هذا الكثير قليلاً، حتى لا يتعب حاملوه، من كثرة ما يحملون.

ولا تقل للجنود، فلولا عشقي للفضة، لخافوا أن يحملوا هذه الأحمال الثقيلة"⁽³⁸²⁾.

⁽³⁸⁰⁾ نظامي: اقبالنامه، ص 216-218.

⁽³⁸¹⁾ نظامي: اقبالنامه، ص 222.

⁽³⁸²⁾ نفس المرجع ونفس الصفحة:

| | |
|------------------------------|-----------------------------|
| نه جندان كه محلل كش آيد برنج | باندازه بردار ازین راه كننج |
| كر انبار كردنر ويا بند بيم | بلشكر مكو وكر از عشق سيم |

بناؤه سد يأجوج:

وواصل الأسكندر سيره حتى وصل إلى جماعة متدينة، يقطن أهلها سفوح الجبال، ووجدهم قد اهدتوا إلى الحق دون أرشاد نبي، فعرفوا الله عن طريق العقل بالهام من الله. فلما شاهدوا طلعة الأسكندر قبلوه نبيا، واعتنقوا دينه، وطلبوا منه أن يزودهم بالعلم ويمنحهم العدل، فبين الأسكندر لهم أصول دينه، وأعطاهم أموالا كثيرة⁽³⁸³⁾.

وشكوا له من قبيلة يأجوج قاتلين:

"توجد جماعة في تلك الصحراء تدعي يأجوج أفرادها آدميون مثلنا، ولكن طبيعتهم شريرة كطبيعة الشيطان.

ويغطي الشعر أجسامهم من الرأس إلى أخمص القدم بحيث لا ترى شيئا من وجوههم.

ويريقون دماء غيرهم بأنيابهم وأسنانهم التي تشبه أنياب الحيوانات المفترسة.

وينهبون إنتاج كل منجم ولا يأكلون إلا النباتات.

وليس لهم حرفة سوى النوم والأكل، بحيث لا يموت أحد منهم، إلا ويكون قد أنجب ألفا.

ويغيرون علينا كل مدة فيخربون بيوتنا.

ويسلبون أغنامنا، وينهبون طعامنا"⁽³⁸⁴⁾.

⁽³⁸³⁾ نظامي: اقبالنامه، ص 224.

⁽³⁸⁴⁾ نفس المرجع، ص 224-226.

| | |
|-------------------------|---------------------------|
| جوما آدمى زاده وديو فام | كروهي درآن دشت يا جوج نام |
| نبيسى نشانى تواز روپشان | رسیده زسر تا قدم موپشان |

وبعد أن استمع الأسكندر إلى شكواهم، دبر وسيلة لدفع الشر عنهم، فبنى لهم سدا منيعا من الفولاذ، يفصل بينهم وبين قبيلة يأجوج، يصف نظامي مناعة وصلابة هذا السد فيقول:

"هكذا أقام سدا منيعا من الفولاذ، لا يتحطم إلى يوم القيامة"⁽³⁸⁵⁾.

وقد تأثر نظامي من هذه القصة بما ورد في القرآن الكريم في سورة الكهف⁽³⁸⁶⁾.

من قصة ذي القرنين مع قبائل يأجوج ومأجوج، وبنائه سدا لدرء خطرهم، مثلما تأثر الفردوسي من قبله عند حديث عن الأسكندر في الشاهنامه.

وقد تأثر أيضا نظامي بوصف الفردوسي في الشاهنامه لهذه الجماعة، ولم يصف عليه جديدا، ولكنه اختلف في وصفه لكيفية بناء السد⁽³⁸⁷⁾.

وكما وفق نظامي في ذكر هذه القصة عند الحديث عن الأسكندر النبي توفيقا عظيما حتى يصوره كنبى ينشر الدين الحق، ويهب الناس العطايا، ويدفع

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| بخون ريختن جنك ونداندان زده | بجنكآل ونداندان همه جون دده |
| طعامي ندارند جز رستى | زهر طعمه كان بود حبستى |
| نميرد يكى تا نزايد هزار | ندارند جز خواب وجز خور دكار |
| كنند آشيانهاي ما را خواب= | بهر مدت آرند بر ما شتاب |
| خورشهاي ماهر چه باشد خورند | =زما كوسيندان بغارت برند |

⁽³⁸⁵⁾ نفس المرجع: ص 226:

| | |
|--------------------------|-------------------------|
| که تار ستخيزش نباشد شكست | بدانگونه سدى زيولا دبست |
|--------------------------|-------------------------|

⁽³⁸⁶⁾ سورة الكهف: آيات 94-98.

⁽³⁸⁷⁾ انظر الرسالة: ص 71.

الظلم وينشر العدل، كما كانت هذه القصة تمهيدا طيبا لختم الحديث عن نبوة الأسكندر في المنظومة.

ذهاب إلى المدينة الفاضلة:

وهذه القصة هي خاتمة الحديث عن نبوة الأسكندر، وقد صور نظامي فيها نموذجا حيا للعالم المثالي، الذي ينبغي وجوده في هذا العالم. فذكر لنا أن الأسكندر واصل سيره حتى وصل إلى مدينة جميلة تشبه الجنة من حيث وفرة خيراتها، وبهاء جمالها، ليست لها أبواب، يسكنها قوم تسود الأمانة بينهم، فهم يتركون دكاكينهم مفتوحة دون أن يغلقوها، ومراعيهم وبها أغنامهم بلا حراسة، فلا يوجد بينهم لص ولا مخادع، وجميعهم متساوون في الحقوق والواجبات متعاونون في السراء والضراء، فيعيشون بذلك في سعادة وهناء، مبتعدين عن المساويء الخلقية، يسودهم العدل، كما أنهم لا يعادون غيرهم، ويفرحون لما يعود عليهم من خير، ويتألمون لمصيبتهم وهم لا يأكلون حتى يشبعون، ويعفون عند المقدرة، ولا يحزنون لموت أحد منهم، وأنهم يعلمون أنهم لا حيلة لهم أمام الموت، فهو المصير المحتوم الذي كتبه الله على الإنسان⁽³⁸⁸⁾.

وقد سألهم الأسكندر عن دينهم فقالوا:

"نحن جماعة من الضعفاء نعتنق دين الله، ولا تحيد شعرة من رأسنا عن

الحق.

وليس لدينا مكر ولا خداع، فنحن لا نعرف سوى الصدق والاستقامة

فقط.

لقد أغلقنا باب الانحراف والفسق في وجه الدنيا، وتخلصنا بالدين الحق

منه.

فنحن لا نقول الكذب لأي سبب من الأسباب، ولا نرى في النوم ليلًا

ملاذًا للهروب من آثامنا.

(388) نظامي: اقبالنامه، ص 227-231:

كما أننا لا نفعل ما يغضب الله من سوء نرضى بكل ما يكتبه الله علينا، لأن الاعتراض عليه اثم»⁽³⁸⁹⁾.

وقد ختم نظامي حديثه عن الأسكندر النبي بوصول الأسكندر إلى هذه المدينة الفاضلة، التي يسودها العدل والسعادة والهناء، لمعرفة أهلها بما لهم وما عليهم دون حاجة إلى حاكم يسوسهم، أو قاض يفصل بينهم، وفي الحقيقة كان نظامي موقفاً إلى حد كبير في هذه الخاتمة بالنسبة لحديثه عن نبي ينشر رسالة سماوية مكلف بها، فيكون وصوله إلى المدينة الفاضلة هو نهاية المطاف به، وهو الهدف في المنشود الذي يسعى إليه.

ويبدو أن نظامي قد تأثر عند نظمه لهذه القصة بالمذهب المثالي عند أفلاطون، فوجد في آرائه عن الجمهورية المثالية ما تنادي به أعماق نفسه النقية الورعة، وما تسمح به أخلاقه النبيلة كشاعر اشتهر بالفضيلة في عصره، فنظم هذه القصة ليبين للقارئ المبادئ النبيلة السامية التي يجب أن يقوم عليها أي مجتمع إسلامي، هذا بالإضافة إلى ثقافة نظامي الدينية العالية قد أثرت أيضاً في نظمه لهذه القصة، حيث تأثر بما ورد في القرآن الكريم في وصف الجنة وما

⁽³⁸⁹⁾ نفس المرجع: ص 228-229:

| | |
|--------------------------|------------------------------|
| كروهی ضعیفان دین بروریم | سر موئی از راستی تکذ ریم |
| نداریم بر برده کج بسیج | بجز راست بازی ندانیم هیچ |
| در کجروی برجهان بسته ایم | زدنیما بدین راستی بسته ایم |
| دووغی نکوئیم در هیچ باپ | بشب باز کونه نه بینیم خواب |
| نیر سیم جیمزی کزوسودنیست | که یزدان ازان کار خشنود نیست |
| بذیریم هرج آن خدائی بود | خصوصت خدای آزمائی بود |

بشر الله به المؤمنين بالعيش في نعيم وأمان، دون حاجة إلى حاكم يسوسهم، يظللهم العدل الألهي.

عودة الأسكندر إلى بلاد اليونان:

وهنا بدأ نظامي يمهّد لرحيل الأسكندر من الدنيا، وبالتالي نهاية منظومته اسكندرنامه، فذكر لنا أن الأسكندر سمع هاتفًا، ينصحه بالرجوع إلى بلاده، وكفاه طوافًا حول العالم قائلًا:

"الأفضل لك أن لا تتعب نفسك أكثر من هذا.

فلقد طوفت العالم حتى آخره، فأرجع إلى موطنك الأصلي"⁽³⁹⁰⁾.

رجع الأسكندر من الشمال إلى كرمان، ثم رحل إلى كرمانشاه، وسار منها إلى بابل، ثم توجه شطر بلاد اليونان، فلما وصل من بابل إلى مدينة شهر زور، أصابه المرض، وعجز عن الحركة فجأة.

ولما أحس بدنو أجله، جمع رجاله، وأخذ يتحدث معهم عن الموت والرحيل عن الدنيا، وعن فتحه للعالم من أقصاه إلى أقصاه، وتطهيره من الظلم، ونشره للعدل في أرجائه، ودعوته إلى الدين الحق، وكيف أنه سيترك الدنيا، دون أن يأخذ معه شيئًا، وضرب لهم مثلًا فقال:

"إذا حط طائر على جبل، ثم طار، فماذا يصيب الرجل من زيادة أو نقصان؟".

إنني ذلك الطائر، والدنيا جبل، وأن لتلك الدنيا أن تغتم نفراقي"⁽³⁹¹⁾.

⁽³⁹⁰⁾ نظامي: اقبالنامه، ص 236:

| | |
|--------------------------|-------------------------|
| جناتش آمد آواز هاتف بکوش | کزین بیشر سوی بیشی مکوش |
| رساندی زمین را باخر نورد | سوی منزل اولین باز کرد |

⁽³⁹¹⁾ نظامي: اقبالنامه، ص 247:

وصية الأسكندر:

ثم استدعى الأسكندر وزيره، وأملاه وصيته إلى أمه، قال فيها:

"حينما تصلك وصيتي هذه، لا تحزني وتعقدي حاجبيك.

ولا تجزعي وتلبسي ملابس الحداد.

فأنظري إلى طبيعة الدنيا.

واحزني واغتمى كثيرا لو وجدتني شخصا خلد فيها.

وبما أن العمر ينتهي سواء كان طويلا أم قصيرا، فيستوى لو كان عشر سنوات أو مائة سنة.

فكيف أخشى الرحيل من الدنيا، وأنا معي مفتاح الأبواب، ومصباح الطريق إلى الجنة بأعمالي الحسنة⁽³⁹²⁾.

| | |
|----------------------------|------------------------------|
| يكي مرغ بر كوه بنشست وخاست | جه افزود بر كوه با زوجه كاست |
| من آن مرغم ومملكت كوه من | جو رفتم جهانرا جه اندوه من |

⁽³⁹²⁾ نفس المرجع، ص 255-256:

| | |
|-----------------------------|--------------------------|
| که جون این وثیقت رسد سوی تو | نکیرد کره طاق ابروی تو |
| مصیبت نداری نبوشی بلاس | بهنجار منزل شوی رده شناس |
| نبجی بناله نکردی ز راه | کنی در سرانجام کیتی نگاه |
| اگر ماندنی شد جهان برکسی | بمان درغم وسو کواری بسی |
| جو بسیاری عمر ما اند کیست | اگرده بودسال وکرسد یکیست |
| جرا ترسم از رفتن هشت باغ | که دربا کلیست وره باجراغ |

"أن الأسكندر هو الذي كان وحده دون غيره من ملوك العالم، ملكا على أقاليم العالم السبعة.

وليس في يده كنوز الدنيا التي جمعها غير التراب.

وأنتم أيضا حينما تخرجون من الدنيا، سوف لا تأخذون معكم غير التراب"⁽³⁹³⁾.

وفي الحقيقة تعد هذه الصورة الشعرية أجمل صور المنظومة، فهي تعبيراً حقيقياً عن شخصية الأسكندر التي رسمها نظامي في منظومته اسكندرنامه، كما أنها تعد من المشاهد الأخيرة الجميلة التي نجحت نفسية نظامي التقية الورعة في التعبير عنها وتصويرها تصويراً حياً وصادقاً.

ويذكر لنا نظامي بعد ذلك أنهم حملوا جثمان الأسكندر من شهرزور إلى مصر ودفنوه في مدينة الأسكندرية⁽³⁹⁴⁾.

وقد سمعت أم الأسكندر بوفاته، فحزنت حزناً شديداً، وماتت سريعا تأثراً عليه⁽³⁹⁵⁾. وقدّم العظماء فروض الطاعة والولاء لابنه (اسكندروس)، ولكنه رفض بحجة أنه لا يملك صفات أبيه، لذا فإنه سيقضى حياته كراهب في أحد الأديرة⁽³⁹⁶⁾.

⁽³⁹³⁾ نظامي: اقبالنامه، ص 259:

| | |
|----------------------------|----------------------------|
| كه فرمانده هفت كشور زمين | همين يكتن آمد ز شاهان همين |
| زهر كنج دنيا كه درباريست | بجز خاك جيزى ندارد باست |
| شما نيز چون از جهان بكنريد | ازين خاكدان تيره خاكي بريد |

⁽³⁹⁴⁾ نفس المرجع، ص 259-260.

⁽³⁹⁵⁾ نظامي: اقبالنامه، ص 263-264.

⁽³⁹⁶⁾ المرجع السابق: ص 264-268.

وبعد أن انتهى نظامي من الحديث عن الأسكندر ختم المنظومة بحديثه عن موت الحكماء السبعة⁽³⁹⁷⁾، الذين سبق أن ذكرهم عند الحديث عن حكمة الأسكندر، ثم تحدث عن خاتمة حياته⁽³⁹⁸⁾، حيث أنه كان قد أحس بدنو أجله لكبر سنه، فقد مات بعد انتهائه من نظم المنظومة بعام واحد، وطلب في هذه الخاتمة الرحمة والمغفرة من الله سبحانه وتعالى، وأخيراً مدح عز الدين مسعود حاكم الموصل، الذي أهداه هذه المنظومة⁽³⁹⁹⁾.

وبذلك تنتهي قصة الأسكندر عند نظامي، بعد أن صورة من ثلاثة جوانب هي: جانب البطولة، وجانب الحكمة، وجانب النبوة.

⁽³⁹⁷⁾ المرجع السابق: ص 268 - 278.

⁽³⁹⁸⁾ المرجع السابق: ص 278 - 280.

⁽³⁹⁹⁾ المرجع السابق: ص 280 - 293.

تقويم منظومة "اسكندرنامه"

تعد منظومة اسكندرنامه أروع وأعظم عمل أدبي تتناول شخصية الأسكندر المقدوني في الأدب الفارسي على مر عصوره، وذلك من حيث ضخامة حجمها، فقد نظمت في أحد عشرة ألف بيت من الشعر، ومن حيث تعدد جوانبها، فلقد صور نظامي فيها ثلاثة جوانب من شخصية الأسكندر وهي الملك والحكيم والنبي في صورة تتفق مع مزاجه الخاص وآرائه ومبادئه، وتتناسب أيضا مع ظروف عصره، مما أعطاه قيمة أدبية عظيمة، وشهرة عالمية بين آداب العالم المختلفة.

وعلى الرغم من أن نظامي قد تأثر بالموضوعات التي طرحها الفردوسي عن الأسكندر في الشاهنامه، وبالصورة التي رسمتها القصة النثرية (اسكندرنامه) لشخصية الأسكندر كملك عادل محب السلام التي القصة المجهولة المؤلف، والتي ألفت - كما سبق أن ذكرنا- في بداية القرن السادس الهجري، وهو القرن الذي نظم في آخره نظامي منظومته إلا أنه لم يكتف بما ورد فيهما، بل أضاف عليها، وأخرج لنا قصة ظهرت فيها شخصيته واضحة، وآرائه النزيهة المستقلة، ويبدو ذلك في هدم انسياقه وراء تعصب الفردوسي الشديد لبني جنسه، ونسبه الأسكندر إلى الملك دارا الإيراني، بل أثبت صراحة نسب الأسكندر إلى أبيه فيليب اليوناني، ثم صوره في صورة الملك العادل المحب للسلام، المصلح للعالم ثم أضاف عليها صورتين أخرتين هما الحكيم والنبي.

وكان تصوير نظامي لهذه الصور الثلاثة من شخصية الأسكندر واضحا وجليا، فقد درج به من صورة إلى أخرى حتى ارتقى به إلى منزلة النبوة في مهارة شعرية فائقة، جعلت القارئ يشعر بأن هذه الصور الثلاثة مرتبطة ارتباطا وثيقا، ومكملة لبعضها البعض، فشوقته إلى تتبعها حتى النهاية، فمثلا صورته في صورة بطل عدل وإصلاح، ألم بالعلوم والمعارف الموجودة في عصره، فصار عالما وحكيما يقبل عليه حكماء الهند لمناقشته، ثم يجمع الحكماء حوله، ويخلق جوا من الحكمة والمعرضة، ويناقشهم فيما يتعلق بالخلق الأول وأصل العالم،

ويتفوق هو عليهم برأيه الذي يثبت وجوده الله، لأن كل خلق لابد له من خالق. فأصبح بذلك مؤمنا بوحداية الله، مما أهله للنبوة والرسالة، فبدأ مرحلة جديدة وهي خروجه إلى الناس بدعوته الجديدة، وطوافه العالم شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، داعيا وهاديا.

غير أن هناك بعض الملاحظات تؤخذ على نظامي، لكنها لا تقلل من شأنه ولا تنقص من قيمة عمله العظيمة منها أنه قد غلب عليه التعصب لبني جنسه فصور الأسكندر في عدة مواضع في صورة غير التي رسمها له في المنظومة، فعلى سبيل المثال صور الأسكندر في صورة الملك المتأمر الذي تأمر مع الخونة على قتل ملك بلاده دارا، وإن كان قد تراجع بعد ذلك وذكر أن الأسكندر ندم على تأمره هذا.

مثال آخر وهو تصويره للأسكندر في صورة الطماع المتكالب على جمع المال، وهذا لا يتفق مع تصويره له كنبى اصطفاه الله للطوائف حول العالم من أجل هداية الناس إلى الدين الحق.

ملاحظة أخرى تؤخذ على نظامي أنه على الرغم من نجاحه في تصوير الأسكندر كحكيم ماهر، إلا أن أغلب القصص التي أوردها في الجزء المتعلق بالحكمة لم يكن الحديث فيها مباشرا عن الأسكندر، بل كان ذكر الأسكندر يأتي من ثنائها. وفي رأبي لو كان نظامي نظم مجموعة هذه القصص في الحديث عن حكمة الأسكندر مباشرة، لكن تأثيرها أقوى وأعمق في نفس القارئ.

ومما يؤخذ عليه أيضا أن النعرة الإيرانية قد تغلبت عليه فأبت عليه نفسه ذكر خضوع بلاده لحكم اليونانيين فكذب هذه الحقيقة التاريخية في الحديث عن ترك الأسكندر الحكم من بعده لأبناء الملوك الإيرانيين - والحقيقة تقول أنه وزع حكم الأقاليم التي فتحها بين قواده، ممن عرفوا بعد ذلك بالسلوكيين.

ومع كل هذه المآخذ فقد كان نظامي استاذ فن القصة في الأدب الفارسي، فقد نظم منظومته اسكندرنامه في قالب قصصي، اتخذ ميدانا لآرائه، وأطلق الأسكندر بما يؤمن هو به، ويدعو إليه، وجعله يصل إلى الهدف الذي يتمنى تحقيقه، وهو أن يعيش الناس في صفاء وأمن وسلام، يظللهم العدل،

يعرف كل واحد منهم حقوقه وواجباته، دون الحاجة إلى حاكم يسوسهم ويوجههم، طالما أوصل الأسكندر إلى مثل هذا المكان، أوقفه عن السير، لأنه اعتبر نفسه قد حقق الهدف المنشود.

لذلك فإن شخصية الأسكندر في المنظومة تعد أصدق تصوير لشخصية نظامي الكنجوى، كداع من دعاة الفضيلة، يتمنى أن يبني المجتمع أسس وطيدة من العدل والسلام والأخلاق النبيلة.

وقد أصبح نظامي الكنجوى بتصويره هذا لقصة الأسكندر، اماما قلده شعراء من الفرس والترك، واعتمد هؤلاء جميعا على منظومته (اسكندرنامه) واقتبسوا مما فيها من أقوال ومعلومات عند نظمهم لمنظوماتهم.

وأشهر من قلده من شعراء الفرس: أمير خسر والدهاوى المتوفى عام 725هـ فنظمها تحت عنوان (آئينه سكندري)، وهي إحدى خمس منظوما تتعرف باسم (بنج مثوى) وعبد الرحمن الجامي المتوفى عـ "898هـ" ونظمها تحت عنوان (خردتامة سكندي)، وهي أيضا إحدى سبع منظومات، تعرف باسم (هفت اورنك).

وأشهر من قلده من شعراء الترك: الأحمدي الكرمانلي المتوفى عام 815هـ ونظم القصة تحت عنوان (اسكندرنامه)، ويقال أنها عبارة عن ترجمة غير دقيقة لمنظومة نظامي اسكندرنامه التي تناولتها بالبحث والدراسة حيث تصرف وغير فيها⁽⁴⁰⁰⁾.

وجدير بالذكر هنا أن نشير إلى أن منظومة اسكندرنامه تعد إحدى أسباب ذبوع اسم نظامي بين المستشرقين الأوربيين، فقد نال مكانة عالية عندهم مثل سعدى والفردوسي وحافظ والخيام، بل أنه صار خامسهم، ومازالت هذه المكانة له حتى الآن.

(400) بروسة لي محمد طاهر: عثمانلي مؤلفري، استنبول سنة 1333، والجزء الثاني، ص 73-74.

ففي عامي 1826م و 1828م نشر المستشرق الروسي (فرانسوا ادرمان) في مدينة غازان منتخباً من (اسكندرنامه نظامي) اشتمل على قصة حرب الأسكندر مع الروس، وذلك تحت عنوان (De Expedition Russorum).

ثم نشر المستشرق الروسي (ليس سبتزناجل) في عام 1828م كتاباً في مدينة بطرسبرج أخذه عن (اسكندرنامه) وسماه حملة الأسكندر ضد الروس وهو يقع في مجلدين.

كما ترجم قصة حرب الأسكندر ضد الروس إلى الفرنسية، وأعد النص والترجمة للنشر في نفس السنة، ولكن وفاته المبكرة حالت دون ذلك، فتكفل بهذه المهمة المستشرق الروسي (شارموا) وكان يتقن الفارسية، فقام بالقاء نظرة على الترجمة، ثم كتب لها مقدمة قيمة، ونشر النص والترجمة.

كما نشر المستشرق الانجليزي (ناثان بلند N.Bland) (خردنامه اسكندري)⁽⁴⁰¹⁾ في كلكته عام 1884م.

ثم نشر المستشرق الألماني (شبرنجر Sprenger) ومحمد شوشتری في عام 1852م (فردنامه اسكندري) تحت عنوان (اسكندرنامه بحري).

ونشر المستشرق الألماني (ولهلم باخر W.Bacher) في عام 1871م، كتاباً عن نظامي في جوتنبرج تحت عنوان (حياة نظامي وآثاره). تحدث في القسم الأول منه عن حياة الشاعر وآثاره، ودرس في الجزء الثاني من منظومة اسكندرنامه بصفة خاصة.

ثم نشر (كلارك Calarke) في عام 1881م (اقبالنامه سكندري) تحت عنوان (اسكندرنامه بری) وذلك في مدينة كلكته.

كما نشر المستشرق الهولندي (هوتسما Houtsma) في عام 1921م كتاباً في ليدن تحت عنوان (خلاصة خمسة نظامي) وهو عبارة عن منتحينات من منظومات الشاعر.

(401) نفس المرجع، ص 259-260.

الباب الخامس
قصة الأسكندر بعد نظامي

تمهيد:

لم ينقطع الاهتمام بشخصية الإسكندر وقصته بعد عصر نظامي الكنجوى، ولم تفتر العناية بالقصة بين الشعراء والكتاب، بل ظهرت صور مختلفة من القصة تفننوا في رسمها على مختلف العصور حتى العصر الصفوي.

وإذا أردنا استعراض صور القصة منذ القرن السابع الهجري الذي توفي نظامي في أوائله حتى العصر الصفوي أي القرن العاشر الهجري فأن الحديث يطول بنا كثيرا دون مبرر للإطالة، لأن صور القصة جميعها، تشبه ملامحها الرئيسية ملامح القصص التي سبق أن درسناها أي قصة الإسكندر عند الفردوسي، والقصة النثرية التي اقتبس منها نظامي، ومنظومة اسكندرنامه لنظامي، بكل ما حوته من حقائق وخرافات وأساطير، مركزة الأضواء على ثلاثة جوانب من شخصية الإسكندر، هي جانب البطولة، وجانب الحكمة، وجانب النبوة، كما سبق أن بينا، ومرددة ما قيل من أن الإسكندر إيراني الأب يوناني الأم، ومن أنه المقصود بذي القرنين المذكور في القرآن الكريم، وأنه التقى بالخضر ذلك العبد الصالح التي ذكرت قصته مع موسى عليه السلام، قبل ذكر ذي القرنين.

ولهذا فإنني سأكتفي بعرض سريع لثلاث صور من قصة الإسكندر ظهرت في الأدب الفارسي بعد عصر نظامي. أحدهما في القرن الثامن الهجري لأمير خسرو الدهلوي تحت عنوان (أئينه سكوندي)، والثانية في القرن التاسع الهجري لعبد الرحمن الجامي، تحت عنوان (خردنامه سكوندي) وهما تقليد لمنظومة اسكندرنامه لنظامي، لذا سيتضمن الفصل الأول الحديث عنهما معا، أما الثالثة فقد بعدت عن التقليد المطلق ولهذا استقلت بفصل مستقل لمنوهر خبان حكيم وذلك لمجرد بيان أن قصة الإسكندر لم تفقد سحرها، واهتمام الناس بها على مر العصور، لأن الناس في كل زمان يعجبون بالبطولة، ويولعون بذكر الأبطال ورواية أخبارهم وتكرارها.

ونبدأ بعرض الصورة الأولى من هذه الصور الثلاث، ألا وهي قصة
الأسكندر كما صورها الشاعر أمير خسرو الدهلوي.

الفصل الول
مقئء ونظامي

أولاً: قصة الأسكندر "أمير خسرو الدهلوى":

كما سبق أن ذكرت أن أمير خهسرو الدهلوى⁽⁴⁰²⁾ من شعراء القرن الثامن الهجري، وأحد مقلدي نظامي الكنجوى، وقد نظم قصة الأسكندر تحت عنوان (أثينه سكندري) أي مرآة الأسكندر ضمن خمس منظومات تعرف بأسم (بنج مثنوى)⁽⁴⁰³⁾ أي المثنويات الخمس تقليدا لنظامي.

وقد بدأ أمير خسرو الدهلوى القصة بالطريقة التقليدية المعروفة عند الشعراء، يذكر الله وحمده والثناء عليه، ووصف بديع صنعه، وعظيم قدرته، وآياته في الآفاق، ثم مدح رسول الله "صلى الله عليه وسلم"، وتحدث عن أخلاقه وصفاته، وذكر أسراه ومعراجه، ثم مدح السلطان، ودعا له بالنصر والتأييد، ثم أشار إلى نظام الشاعر نظامي الكنجوى لقصة الأسكندر، وتقليده له، واقتباسه منه⁽⁴⁰⁴⁾.

ثم أخذ الشاعر بعرض أخبار الأسكندر، ويعرف بشخصيته، ويظهر أهم ملامح هذه الشخصية، فعرض في أبيات قليلة حياة الأسكندر منذ بدايتها إلى نهايتها، منذ ورث ملك فيلقوس ببلاد اليونان، ثم فتح أنحاء العالم المختلفة، فتجلت بطولته ومهارته الحربية، ثم ما أعقب ذلك من اهتمامه بالعلم والحكمة، وجمعه الحكماء حوله، ثم خروجه للطواف في أرجاء العالم المختلفة لنصرة الحق والعدل، ثم انتهاء حياته وموته ودفنه، وبيان فناء الدنيا.

وأنا لا أجد داعيا لتكرار وقائع ذكرتها من قبل في قصص الأسكندر التي تناولتها بالدراسة والنقد، صحيح أن الصياغة الفنية تختلف بين قصة وأخرى، ولكن الوقائع واحدة في جوهرها، ولذلك أكتفى بالقول بأن أمير

⁽⁴⁰²⁾ أمير خسرو دهلوى: هو أحد شعراء إيران الكبار الذين عاشوا في الهند واتصل بحكامها ومدحهم، وقد توفي عام 725م، وقد توفي عام 725م، وإنتاجه يشتمل على ديوان كبير يقع في خمسة أجزاء، وينج مشنوى التي نظمها تقليدا لمنظومات نظامي الخمس.

⁽⁴⁰³⁾ المنظومات الخمس هي: مطلع الأنوار، شيرين وخسرو، مجنون وليلي، أثينه سكندري وهشت بهشت، وتقع أثينه سكندري في ألفي بيت شعر.

⁽⁴⁰⁴⁾ أمير خسرو الدهلوى: أثينه سكندري، مخطوطة موجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم (155 دب فارس طلعت)، ص 116..

خسر والدهلوى بدأ بتصوير الجانب البطولى فى شخصية الإسكندر، فذكر جلوسه على العرش فى بلاد اليونان بعد موت الملك فيلقوس، ثم إتجاهه شرقا لاسترداد ملكه فى إيران، الذى انتزعه منه أخوه دارا، ثم فتح الهند ثم غزا بلاد الترك، ثم توجه إلى بلاد العرب، وزار مكة والكعبة، ثم طاف حول العالم فدان له حكامه بالطاعة والولاء، وغنم أموالا طائلة، فتوفرت له جميع أسباب البطولة والعظمة.

وتأتى بعد ذلك مرحلة أخرى من مراحل حياة الإسكندر، ويظهر جانب آخر من جوانب شخصيته، ألا وهو جانب الحكمة، حين تتوق نفس الإسكندر إلى تعلم أنواع العلم والمعرفة، بعد تأكيد بطولته الحربية، وظهور مهارته بصورة أسطورية، فيأخذ فى جمع العلماء والحكام حوله، ويعمل على نشر العلم والحكمة فى أنحاء العالم المختلفة فيجتمع حوله أشهر حكماء العالم، وفى مقدمتهم أرسطو وأفلاطون وسقراط بطريقة قصصية مثيرة دون تقييد بالزمان أو المكان، فيصبح الإسكندر بطلا أسطوريا يستطيع تخطي حواجز الزمان والمكان، ويفعل أى شيء خارق بحيث يصور بطولته فى ميدان العلم والمعرفة والحكمة.

ثم يصور أمير خسرو الدهلوى بعد ذلك الجانب الثالث والأخير من جوانب شخصية الإسكندر النبى، الذى يظهر فيه فى صورة ذى القرنين، فيطوف العالم غربا وشرقا لمحاربة الظلم والقضاء على الظالمين، ونصرة الحق، وتأييد المؤمنين، ونشر العدل فى أنحاء العالم.

ومن أبرز أعماله بناء سد فى المشرق للقضاء على عدوان ياجوج ومأجوج الذين كانوا مفسدين فى الأرض، حيث كانوا يغيرون على جيرانهم، ينهبونهم ويسلبونهم أموالهم، وقد بنى الإسكندر هذا السد من الفولاذ حتى يكون متينا محكما لا ينهدم إلى يوم القيامة.

وهذا الجانب من شخصية الإسكندر حافل بالأعمال المثيرة التى تروىها قصص طريفة قصيرة⁽⁴⁰⁵⁾.

(405) المرجع السابق: ص 134 وما بعدها.

وقد ظل الأسكندر يواصل تجواله في أنحاء العالم المختلفة فلا يكتفي برفع الظلم عن المظلومين، ونشر العدل بين الناس، وإنما يذهب إلى كل مكان في سبيل تصحيح عقائد الناس ودفع الفاسد منها، حتى تنتصر دعوة الحق، ويستقر الإيمان والتوحيد في قلوب أهل الأرض أجمعين بحيث يوجد المجتمع الفاضل الذي يسوده العدل ولا يحتاج الناس فيه إلى حاكم يحكمهم أو قاض يفصل بينهم إذا اختلفوا لأنهم يعرفون حقوقهم وواجباتهم فلا مجال للتنازع بينهم.

وكما صورت القصة الأسكندر وهو يتقمص ثوب ذي القرنين يواصل تجواله في أنحاء العالم غربا حتى شاهد الشمس، وهي تغرب في عين حمئة، وشرقا حيث رأى كثيرا من العجائب التي تحكي كل واحدة منها في قصة قصيرة⁽⁴⁰⁶⁾.

وتنتهي القصة بأن الأسكندر ظل يطوف السيلاد، حتى بلغ غايته المنشودة، فوصل إلى مكان ليس عليه حاكم وليس فيه قاض، لأن العدل يرفرف على الجميع وكل واحد في هذا المكان يعرف ما له وما عليه، مما يجعل جميع الناس يعيشون في سلام وطمأنينة وسعادة⁽⁴⁰⁷⁾.

وهنا شعر الأسكندر أن مهمته قد انتهت، وأيقن أن نهايته قد قربت، وأن ساعة منيته قد دنت، فسلك طريق العودة، ولكنه مرض أثناء الطريق، واشتد عليه المرض يوما بعد يوم⁽⁴⁰⁸⁾، حتى بلغ مدينة شهر زور فكان الحكماء قلقين عليه، لا يفارقونه لحظة من النهار أو الليل غير أن المنية أدركته فأسلم الروح وسط أتباعه وأحبابه، ثم بين للعلماء والحكماء دليلا على فناء الدنيا وعدم خلود أي إنسان، مهما بلغ من الجاه والسلطان، والعلم والمعرفة، لأن كل إنسان مصيره الزوال، فليس لأحد غير الله بقاء⁽⁴⁰⁹⁾.

⁽⁴⁰⁶⁾ المرجع السابق: ص 152.

⁽⁴⁰⁷⁾ المرجع السابق: ص 155.

⁽⁴⁰⁸⁾ المرجع السابق: ص 156.

⁽⁴⁰⁹⁾ المرجع السابق: ص 157.

ويجدر بنا في هذا الموقف أن نذكر المشهد الأخير من القصة، الذي يصور نهاية الأسكندر، لأن فيه بيانا للحكمة، التي تحرص القصة على بيانها، حيث أظهرها الموت في أقوى صورها.

تقول القصة في هذا الشأن ما ترجمته:

"إن مانح الدر من كثر الكلام، قد أعطى بعض الجواهر من كنز الكلام، وأن جوهر التاج الأسكندري لما بلغ القمة من الرفعة واللمعان، صمم على الذهاب إلى الصحراء لينتقل منها إلى الصحراء الأخرى فبعد أن كان مسيطرا على العالم كله بما فيه من ماء ويابس، صار فجأة راغبا في الرحيل عن هذه الدنيا، وبعد أن كان طعامه في الحياة شهدا مكررا، أصبح يتجرع من هذه الدنيا سما، وكان الجميع ينتظرونه في مجلس الأانس والسرور، فطوى دوران الفلك ذلك البساط⁽⁴¹⁰⁾.

ثم أخذ الحكماء والعظماء يرثون الأسكندر، فذكروا عظمته ويطولته وحكمته وعلمه وإرشاده للناس، ويتحسرون على ذهابه من هذه الدنيا الفانية الغدرة، ونذكر رثاء أحدهم على سبيل المثال، يقول فيه:

(410) المرجع السابق: ص 157:

| | |
|---------------------------|---------------------------|
| جنين داد كهر زكنج سخن | در افشان اين كنجدان كهن |
| زديا بر آمد بنيك اختري | كه جون كهر برتاج اسكندري |
| زصحرا بصحراء ديكر كشيد | از انجا بصحرا علم بر كشيد |
| نكه آب و خاكش برفتن شتاب | قدم تا بود بر سر خاك و اب |
| شد آموز شريت او بزمر | در ان روز كز جاشنها مكرر |
| كه دور فلك درنوشت آن بساط | همه منتظر بهر عيش و نشاط |

"أنظر ماذا حمل معه من كل كنوز العالم التي جمعها"⁽⁴¹¹⁾.

ثم تبين القصة أن الإنسان لا تتفعه إلا أعماله الصالحة، فهذه الأعمال هي التي سيذكرها الناس بعد رحيله من هذه الدنيا، فتكون حياة لصاحبها، يعيش بواسطتها بين الناس، فتذكر دائما أفعاله وخصاله، وتبقى أعماله، ويصبح ذكره بالخير على ألسنة الناس، تقول القصة في ذلك:

"إن ذكر الناس له بالخير علامة طيبة، وهو الأثر الذي يتركه الغيب على صفحة الأرض"⁽⁴¹²⁾.

وتختتم القصة الحديث عن الأسكندر مبينة أن مثله لن يموات أبدا، لأن ذكره سيظل خالدا، ولأن اسمه سيظل باقيا، لأنه ترك من الأعمال الجليلة ما يكفي لتخليد ذكره، وبقاء اسمه، وتذكير الناس به إلى يوم القيامة، تقول:

"لن يموت من ترك ذكرا طيبا، وحمل من الدنيا اسما حسنا، فالرجل ذو الاسم الحسن لا يموت أبدا"⁽⁴¹³⁾.

وبهذا تكون هذ القصة قد انتهت، والواضح بعد دراستها، أنها كانت تقليدا لمنظومة نظامي (اسكندرنامه) ولكن بصورة موجزة، وهذا دليل على مدى تعلق الناس بشخصية الأسكندر، مما شجع الشعراء على إعادة نظمها استجابة لرغبتهم، وإرضاء لأذواقهم.

⁽⁴¹¹⁾ نفس المرجع ونفس الصفحة:

| | |
|------------------------------|----------------------------|
| نكرتسا سرانجام باخود جاء برد | از آن كنج كز روى عالم سترد |
|------------------------------|----------------------------|

⁽⁴¹²⁾ المرجع السابق: ص 158:

| | |
|-------------------------|--------------------------|
| رقم كرده غيب بر نوح خاك | زبان خير مردم رمزيست باك |
|-------------------------|--------------------------|

⁽⁴¹³⁾ المرجع السابق: ص 160:

| | |
|--------------------------|---------------------------|
| رکه مرد نكرنام هرگز نمرد | نمرد آنكس كز جهان نام برد |
|--------------------------|---------------------------|

ولنبداً في دراسة منظومة عبد الرحمن الجامي (خردنامه سكندري)،
لنقف على أهم ملامحها ولنتبين إلى أي حد كان مقلداً لنظامي الكنجوى.

ثانياً: قصة الأسكندر عند عبد الرحمن جامي:

عبد الرحمن جامي⁽⁴¹⁴⁾ هو أحد شعراء القرن التاسع الهجري المشهورين الذي قلدوا نظامي الكنجوى فقد قام بنظم قصة الأسكندر في منظومة تحت عنوان (خرنامة سكندري) أي حكمة الأسكندر، وهذه المنظومة أحدى سبع منظومات باسم (هفت اورنك)⁽⁴¹⁵⁾ أي التيجان السبعة.

وقد بدأ الجامي منظومته، بمقدمة تقليدية في حمد الله والثناء عليه، والضراعة إليه أن يغفر له الذنوب، ويحقق الرغبات، ثم أثنى على الرسول "صلى الله عليه وسلم"، وعرف بالقصة التي ينظمها، وقبل أن يبدأ الجامي في نظم أحداث القصة، سرد لنا أعمال الأسكندر البطولية بصورة موجزة تحت عنوان: "قصة فتح الأسكندر للعالم وتعميره للمدن واختراعه للأعمال على سبيل الإيجاز"⁽⁴¹⁶⁾.

ثم بدأ الجامي القصة بذكر توجه الأسكندر إلى المغرب، حيث بلغ مغرب الشمس، ثم اتجه بعد ذلك إلى المشرق، حيث قاتل دارا، لأخذ الثأر منه، يقول:

"وقاد الجيش من هناك صوب دارا لأخذ الثأر منه صراحة"⁽⁴¹⁷⁾.

⁽⁴¹⁴⁾ عبد الرحمن الجامي: هو نور الدين عبد الرحمن جامي، أحد شعراء الصوفية المشهورين في إيران، عاش في العصر التيموري، له إنتاج غزير منظوم ومنثور ففي النظم له ديوان كبير، وهفت اورنك التي نظمها مقلدا لنظامي، أما في النثر فله بعض الكتب في موضوعات مختلفة وهي نقد التصوص، نفعات الأُنس ولوايح اللوامع، وشواهد النبوة، أشعة للمعات، بهارستان، بالإضافة إلى بعض الرسائل في موضوعات شتى، وقد توفي جامي عام 898هـ.

⁽⁴¹⁵⁾ المنظومات السبع هي: سلسلة الذهب، سلامان وإيسال، تحفة الأحرار، سيحة الأبرار يوسف وزليخا، ليلي ومجنون، خردنامه سكندري. ويبلغ عدد أبياتها 1889 بيت من الشعر.

⁽⁴¹⁶⁾ عبد الرحمن الجامي: خردنامه سكندري، مخطوطة موجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم 21 تصوف فارسي.

وقد صرح بهذا العنوان ص 15 "داستان جهانگیری اسکندر و عمارت شهرها و اختراع کارهای وی بر سبیل اجمال".

⁽⁴¹⁷⁾ المرجع السابق: ص 15:

وتمضي القصة مصورة بطولية الأسكندر ومبينة أنه استطاع السيطرة على جميع أرجاء العالم بواسطة غزواته العديدة التي قادها، وحروبه الكثيرة التي خاضها، وانتصر فيها جميعا، فكان النصر حليفه حيثما ذهب في كل مكان.

ثم تردد للقصة ما سبق أن ذكر نظامي الكنجوى، من أن الأسكندر بعد أن حقق انتصارات باهرة، وتغلب على الحكام والملوك، وصار ملك العالم دون منازع، أخذ يشجع العلم، ويميل إلى الحكمة، ويجمع حوله الحكماء المعروفين، فاجتمع حوله أرسطو وسقراط، وأفلاطون وفيثاغورس واسقلينوس وهرمس وبليناس، ثم أخذ الأسكندر يتحدث مع هؤلاء الحكماء المشهورين، ويناقشهم في الخلق والكون، وفي الحياة والموت، وفي الوجود والفناء، ويتدبر معهم حكمة الخالق عز وجل، ويدبغ صنعه، وأحاطته سبحانه بكل صغيرة وكبيرة.

وتذكر القصة كذلك أن أرسطو كان أستاذ الأسكندر، الذي علمه من البداية وأعطاه كل ما لديه من علم وحكمة، فقد ورد فيها ما ترجمته:

"لقد سلمه أرسطو الذي كان أستاذه كل ما لديه من ثروة علمية"⁽⁴¹⁸⁾.

و الواضح هنا أن صورة الأسكندر التي رسمها الجامي، لا تختلف في ملامحها الرئيسية عن صورته عند نظامي الكنجوى، مما يدل على أن الجامي كان يقلد ما قام به نظامي، ويحاول إعادة نظم القصة بصورة مثيرة، فقد جمع هنا سبعة حكماء حول الأسكندر، لم يعيشوا في عصر واحد، كما بينا عند دراستنا للقصة التي عرضها نظامي، دون النظر إلى صحتها من التاريخية والواقعية.

| | |
|----------------------------|---------------------------|
| از انجا سبه سوى دارا كشييد | وزوكين خود بي مدارا كشييد |
|----------------------------|---------------------------|

(418) المرجع السابق: ص 18:

| | |
|---------------------------|---------------------------|
| ارسطو كمش استاد تعليم بود | بد ونقد خود كرد تسليم بود |
|---------------------------|---------------------------|

وستمر القصة في الحديث عن حكمة الأسكندر، فتذكر أن أخبار حكمته قد بلغت جميع أرجاء العالم المختلفة، بحيث أصبح حكام العالم أجمع يعترفون به حكيمًا، مثلما اعترفوا به من قبل بطلا حربيا⁽⁴¹⁹⁾.

كما ذكرت القصة أيضا أن الأسكندر برغم شهرته في ميدان الحكمة كان يعترف بالفضل لأستاذه أرسطو، ويستأنس برأيه، بواسطة المراسلة إذا كان بعيدا عنه، تقول القصة:

"كتب الأسكندر إلى أرسطو قائلا: أيها الأستاذ المبارك الحسن السيرة، أن قلبي لوح لقلم تعليمك، ورأسي ميدان لتعظيمك، وأنا بدونك ياجوهر السرور، بعيد عن منبع الحكمة"⁽⁴²⁰⁾.

ثم تذكر القصة أن الأسكندر واصل تجواله في العالم بصفته حكيمًا، يحب العلم والحكمة، ويحرص على توجيه النصح والإرشاد، والنطق بالحكمة والموعظة الحسنة، ويسعى إلى مقابلة العلماء والحكماء، ويستمر في تجواله وطوافه بأحاء العالم المختلفة، حتى تتحقق له الغاية التي كان ينشدها، ألا وهي الوصول إلى المدينة الفاضلة التي يسكنها قوم فضلاء، لا يقولون كلاما عبثًا، ويمسكون عن فعل السوء قولًا وفعلاً، فهم لا يبحثون مطلقاً عن العمل السيء، ولا يسعون إلى شيء فيه ضرر، وإنما يتجهون دائماً إلى الأعمال الطيبة والأفعال الحسنة، وليس بينهم فقير، وليس عليهم سلطان أو أمير، فقد قسموا الأموال بينهم بالتساوي، فتساوى نصيب كل فرد فيهم مع نصيب غيره، وهم لا

⁽⁴¹⁹⁾ المرجع السابق 19 - 20.

⁽⁴²⁰⁾ المرجع السابق: ص 20:

| | |
|-------------------------|---------------------------|
| سكندر بسوى أرسطو نوشت | كه اى فرخ استاد نيكو سرشت |
| دلم تخته كلك تعليم تست | سرم خاك ميدان تعظيم تست |
| مم بى توى كهر سور وسرور | زسر چشمه حكمت افتاده دور |

يخشون قحطا ولا بؤسا، ولا يخشون أن تقوم حرب بينهم تعكر صفو السلام الذي يظللهم»⁽⁴²¹⁾.

وهذه المدينة التي وصل إليها الإسكندر، كانت الهدف المنشود بالنسبة إليه، والغاية التي يسعى إليها، وبعد ذلك ركب الإسكندر البحر، وسار فيه حتى وصل إلى جبل قاف، ولقى الملك الموكل بهذا الجبل، وطلب النصح منه⁽⁴²²⁾.

وأخذ الإسكندر بعد ذلك يسلك طريق النهاية، فاكتفى بما قام به من أسفار، وبدأ العودة إل بلاده، وبينما هو راكب في السفينة، كادت السفينة أن تغرق، نتيجة لعواصف هوجاء لولا مساعدة أرسطو، فترك ركوب البحر، وسلك طريقه في البر، وأخذ يدعو الناس في كل مكان ينزل فيه إلى الحق والعدل، حتى بلغ شهرزور، فأصابه المرض وأحسن بدنو أجله، فاجتمع الحكماء من حوله، فأخذ يناقشهم في الموت ودلالته، ويضرب المثل بنفسه، وكيف أنه ملك العالم، وطاف في أرجائه، وظفر بكثير من أمواله وخيراته، ثم هو بعد هذا كله

(421) المرجع السابق: ص 25:

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| سكندر جو ميکشست كرد جهان | خبر برس هر آشكار ونهان |
| در اثنای فتن بشهری رسید | در آن شهر قومی بسند بده دید |
| زگفتار بیهوده بها خموش | فروبسته از ناسزا چشم وکوش = |
| =نجسته بید هر کز آزار هم | بهر کار نیکو روکار هم |
| نه زایشان توانگر کربی فقیر | برایشان نه سلطان کس نه امیر |
| برابر بهم قسمت شان مال شان | موافق بهم صورت مال شان |
| نه از محنت قحط شان سال تنگ | نه بر صفا صلح شان خوف جنگ |

(422) المرجع السابق: ص 17.

يغادر الحياة، لا يحمل من متاعها شيئا، فلا تكون في يده سوى حفنة من التراب.

وأخيرا يلفظ الأسكندر أنفاسه الأخيرة، فيحزن عليه الحكماء ويرثونه واحدا واحدا، وتعلم أسبوفاته، فتحزن عليه وترثيه.

ويقوم الحكماء بالترتيبات اللازمة لدفن الأسكندر حسب وصيته، فيضعون جسمه في تابوت، ويجعلون يده اليمنى خارج التابوت، ويضعون في كفه قدرا كبيرا من التراب، دليلا على فناء الدنيا.

ثم أخذ الحكماء السبعة يشيدون بمناقب الأسكندر، ويطنبون في رثائه، وبخاصة أرسطو أستاذه، الذي كان يعتر به، ويستمع إلى نصحه طوال أيام حياته⁽⁴²³⁾.

وبذلك تكون منظومة خردنامه سكندري قد بلغت نهايتها، والملاحظ أن عبد الرحمن الجامي قد اقتصر في الصورة التي رسمها للأسكندر على تجسيم حكمة الأسكندر، ودمج جانب الحكمة بجانب النبوة، فلم يفصل بين الجانبين كما فعل نظامي الكنجوى، ولم يجعل الحكمة مرحلة يسلكها الأسكندر، أو درجة يصل إليها، قبل أن يبلغ درجة النبوة والرسالة، فقد وصل الأسكندر وهو حكيم إلى ما وصل إليه وهو نبي مرسل مكلف بالتجوال في أنحاء العالم المختلفة، وعاد بعد أن بلغ الغاية بالوصول إلى المدينة الفاضلة التي يعيش أهلها في سعادة وطمأنينة، نتيجة لتطبيق العدل والمساواة بينهم، فلا يحتاجون إلى من يحكم بينهم، أو يفصل في مشاكلهم.

وبرغم أن قصة عبد الرحمن الجامي قصيرة موجزة، إذا ما قورنت بقصة نظامي الكنجوى، فعدد أبيانها لا يزيد على ربع عدد أبيات قصة نظامي التي نظمها من قبل، إلا أنها قد عرضت جميع ملامح الأسكندر التي اشتهر بها، ومن أهمها أنه ذو القرنين المذكور في القرآن الكريم، وأنه كان بطلا مظفرا وملكا فاتحا، ثم صار حكيما، اعترف العالم كله بحكمته، فخرج يطوف العالم،

(423) المرجع السابق: ص 38-40.

وينصح الناس إلى الحق والعدل، حتى قضى نحبه ضارياً أروح مثل لفناء الدنيا
وزاولها.

ولنبداً الآن في دراسة قصة الأسكندر عند منوهرخان، لنقف على أهم
ملاحظاتها ولنتبين كيفية معالجته لها.

الفصل الثاني
قصة الإسكندر عند منوهرخان

الأسكندر كما صورته قصة (اسكندرنامه)

تمهيد:

مؤلف هذه القصة (اسكندرنامه) النثرية هو منو جهرخان⁽⁴²⁴⁾ حكيم أحد كتاب القرن العاشر الهجري، والمعاصرين للدولة الصفوية، التي حكمت إيران من (906-1148هـ) وقد ألفها في سبعة أجزاء، كلها في الحديث عن بطولات الأسكندر الباهرة الخارقة.

وفي الحقيقة هذه القصة أشبه بالأساطير الشعبية، فهي عبارة عن قصص أسطورية مثيرة لا تتقيد بزمان أو مكان، فقد صور مؤلفها الأسكندر بطلا أسطوريا يستطيع تخطي حواجز الزمان والمكان، وفعل أي شيء، والقيام بالخوارق من الأعمال التي تصور بطولته في كل جانب من جوانب الحياة، سواء أكان ذلك في ميدان الحرب والقتال أم ميدان العلم والمعرفة والحكمة، أم ميدان السحر والشعوذة، إلى آخره من الميادين المختلفة، وهذا ما سيتضح فيما يلي:

الجزء الأول:

تذكر القصة منذ بدايتها أن الأسكندر هو ذو القرنين وأنه فارسي الأب يوناني الأم كما ذكر الفردوسي في الشاهنامه، وأنه فكر في الفتح والسيطرة فور وصوله سن البلوغ، فاتجه إلى إيران، لاعتقاده بأن فتحها يعد فتح الدنيا كلها، تقول:

⁽⁴²⁴⁾ لم أعثر في المراجع على معلومات عن منو جهرخانم حكيم وتقيد في التعريف به وبحياته ولكن كل ما ذكرته المراجع أنه مؤلف قصة أسكندرنامه التي تقع في سبعة أجزاء وأنه من معاصري العصر الصفوي.

"حين بلغ الأسكندر حد البلوغ، راوده خيال فتح العالم، وقال في نفسه: لو فتحت مملكة الإيرانيين، فكأنما سيطرت على جميع أطراف الربع المسكون"⁽⁴²⁵⁾.

وتمضي القصة فتصور غزو الأسكندر لإيران، وانتصاره على أخيه داراب الثالث⁽⁴²⁶⁾، وقد كان يصطحب معه في هذه الغزوة الحكماء والفلاسفة، وفي مقدمتهم سقراط وأفلاطون وأرسطو ويستشيرهم في مختلف الأمور.

وقد تمكن الأسكندر بعد مصرع داراب الثالث من الجلوس على العرش، واستطاع الاستيلاء على قصر جشميد، بعد إبطال مفعول الطلسم الموجود فيه⁽⁴²⁷⁾، وبذلك استتب له الأمر، وأخذ يسيطر على سائر أرجاء إيران، ويقضي على من يقف في طريقه، فحارب بلخي شاه⁽⁴²⁸⁾، وتمكن من القضاء على خططه وحيله والانتصار عليه.

ويخلط مؤلف القصة منو جهرخان حكيم الوقائع الحربية التي انتصر فيها الأسكندر بالقصص التي تبين مهارته الحربية وقدرته الخارقة على أبطال سحر السحرة، والتغلب على الصعاب المختلفة، مستعملاً في ذلك أسلوب المحاوره، فيذكر أن الأسكندر انتصر في حروبه مع الشياطين في مازندران، بعد أن نجح في تسخير الريح، وجعلها سلاحاً يحارب به أعدائه، ويكتشف به مواقعهم⁽⁴²⁹⁾.

وبدخول الأسكندر مازندران ينتهي الجزء الأول من القصة، والواضح في هذا الجزء أن منو جهرخان حكيم كان يهدف إلى الإثارة والتشويق لايهمه تحرى دقة الوقائع وصحتها، بقدر ما يهمه أن تكون مثيرة دالة على بطولته الأسكندر، وكانت نتيجة ذلك أن اختلطت الحقائق التاريخية بالخرافات

⁽⁴²⁵⁾ منو جهرخان حكيم: كليات هفت جلدی اسکندرنامه، طبع ایران، ص 1، جون أسكندر نو القرنين بحد بلوغ رسيد، خيال كخور كشائي در سرش افتاد، باخود انديشيد، اكر فاتح مملكت ايرانيان شوم تمام ربع مسكون را مسخر ميشوم.

⁽⁴²⁶⁾ المرجع السابق: ص 2-3.

⁽⁴²⁷⁾ المرجع السابق: ص 6 وما بعدها.

⁽⁴²⁸⁾ بلخي شاه: شخصية وهمية.

⁽⁴²⁹⁾ المرجع السابق: ص 29-38.

والأساطير، لتصور لنا الأسكندر بطلا أسطوريا، لا حدود لمهاراته، وليس لأحد أو لشيء قدرة على الوقوف في وجهه أو التصدي له، بشكل لا يتفق مع العقل والمنطق.

الجزء الثاني:

ويبدأ الجزء الثاني بمواصلة الأسكندر السير حتى تبريز، ويصور هنا المؤلف أعمالا عجيبة، فيقول أن الأسكندر في أثناء زحفه إلى تبريزه كان يقاتل كل ما يقابله في طريقه، ويتغلب عليه عن طريق تسخيره للريح وتحديثه معها، وأبطاله مفعول السحر، ومخاطبة الجبال، وإصدار أوامره للإنس والجن، وقدرته على الوصول إلى أي مكان في سرعة مذهلة، وبهذه الطريقة توجه من تبريز إلى كردستان، وقد صوره منوچهرخان هنا كسيدنا سليمان عليه السلام، فقد استطاع أن يعامل ملكة كردستان الساحرة، كما عامل سيدنا سليمان بلقيس ملكة سبأ، فأظهر لها قوته الخارقة، حتى أذعننت له، ثم توجه إلى مكة داعية من دعاة الإسلام، يدعو الناس إلى الدخول في الإسلام، دين الله الحق⁽⁴³⁰⁾.

والقصة في هذا الجزء مليئة بأحداث ووقائع لا صلة لها بعصر الأسكندر، لأن من المسلم به أنه عاش قبل الإسلام، فلا صلة له بوقائع حدثت في العصور الإسلامية، ولكن المؤلف كما سبق أن ذكرت، لا تهمة الدقة التاريخية بقدر ما تهمة الإثارة وإظهار الأسكندر بطل من أبطال الأساطير الذين لا تقف في وجوههم حواجز المان أو المكان، فالأسكندر يستطيع أن يتخطى القرون، وأن يلتقي بمن يريد من السابقين عليه أو اللاحقين⁽⁴³¹⁾.

وقد واصل الأسكندر زحفه في أقاليم إيران، فذهب إلى شيراز، وكان معه أرسطو الذي أسره في الطريق أحد قطاع الطرق، وكان اسمه (كهنيك العدني)، واستطاع الأسكندر أن يخلصه من الأسر، بعد سيطرته على الأوس والجن وإرسالهم إليه⁽⁴³²⁾.

(430) المرجع السابق: ص 40 وما بعدها.

(431) المرجع السابق: ص 45.

(432) المرجع السابق: ص 55-60.

وتمضي أحداث القصة بعد ذلك بشكل ليس فيه ترابط في المكان، ولا تتناسق في أسماء الأشخاص الذين يرد ذكرهم في الأحداث، فبعضها أسماء إسلامية، ليس من الضروري أن يكون أصحابها لهم وجود حقيقي، وإنما أوردتها المؤلف من أجل الإثارة والتشويق، فهو يذكر أن الأسكندر سيطر بعد ذلك على عدن بحيطه وحذر، ثم توجه إلى فرخ سيستان، على رأس اثني عشر ألف فارس، لتعقب أم فرهنك، أحد الكفار الذي كان قد ثاروا ضده.

وترك قيادة الجيش لأمير عبد الحميد والوس⁽⁴³³⁾.

ويبدو أن الناس في عصر المؤلف كانوا مولعين بأعمال السحر والسحرة فقد حرص مؤلف القصة على الإكثار من ذكر بعض الأسكندر لأعمال السحرة، ونجاحة في أبطال سحرهم، فقد ظل الأسكندر في هذه المرحلة منذ توجهه إلى فرخ سيستان يقضي على أعمال السحرة الواحد في أثر الآخر، حتى تمكن من إحباط مؤامرتهم، وكان يستعين بأرسطو في أبطال السحر، واخضاع السحرة، وبذلك ينتهي الجزء الثاني من القصة.

الجزء الثالث:

اتخذ المؤلف للأسكندر في هذا الجزء لونا جديدا، إذ صوره نبيا مكلفا برسالة، يهدي الناس إلى الدين الحق، فيذكر أن الأسكندر خرج عن عدن، وتوجه إلى اليمن، ثم واصل سيره بعد ذلك صوب تبريزه ثم اتجه بعد ذلك صوب الغرب، ثم تابع الأسكندر سيره، حتى بلغ جبل العقيق، وكان يتعقب حاكما ظالما اسمه (صياد خان الخطائي)، فوصل في أثناء ذلك إلى الغار الذي يقيم فيه أصحاب الكهف، ثم أصبح نبيا وكلف برسالة، وبدأ يتنقل إلى المناطق المختلفة في صورة نبي مرسل من قبل الله تعالى، لنصرة الحق ونشر العدل والقضاء على الظلم والظالمين.

ويصور لنا المؤلف الأسكندر في صورة ملك مسلم مؤمن موحد بالله، كان جديرا بالنبوة وحمل الرسالة السماوية لتقواه وورعه فيقول: "نظر الأسكندر

(433) المرجع السابق: ص 75.

في تلك الصحراء، فأبصر عين ماء تخرج من غار، فدخل الغار وتوضأ وأدى صلاة الصبح، فلما رفع رأسه من السجود، وصلت غمامة سوداء، وقالت للألكندر: أن هناك بشرى لك، لقد أبطلنا السحر، ومنحك النبوة، فاطلب أي شيء تريده في هذا المكان، فإنه سيستجاب، ثم قالت للألكندر: إرفع الحجر الفلاني، فإنه سينفك كثيرا. فلما رفع الألكندر الحجر، وجد لوعا من الحجر مكتوبا عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثم جاءت غمامة أخرى، وقالت للألكندر: أيها الألكندر، اترك دنيا الكفر، حتى نجعلك نور العالم، وتتخلص من الظلمة، فحصل اليقين للألكندر، بأنه قد تشرف بالنبوة، وغلبه البكاء من شدة السرور، ثم عكف على العبادة في الغار⁽⁴³⁴⁾.

وبعد أن تحدث المؤلف عن الألكندر كنبى ورسول يدعو إلى الإسلام دين الله الحق، انتقل إلى الحديث عن قتاله من أجل نصره هذا الدين والقضاء على أعداء الإسلام، فذكر أنه قاتل الزوج وانتصر عليهم، وقاتل (فراسياب البدخشانى) الذي حشد مائة ألف جندي مرة واحدة وهاجم بهم جيش الإسلام الذي كان بقيادته، وحقق النصر عليه⁽⁴³⁵⁾، ثم واصل الألكندر قتال أعداء الإسلام، فقاتل (مرجاه شاه)⁽⁴³⁶⁾ وانتصر عليه، ثم توجه إلى (سلسال خان)⁽⁴³⁷⁾ حاكم الخطا، وتغلب عليه.

⁽⁴³⁴⁾ المرجع السابق: ص 85-86:

النص: اسكندر در آن بیابان نگاه کرد چشمه آبی دید که از میان غاری بیرون می آید داخل آن غار شد وضو ساخته نماز صبح را ادا نمود چون سر از سجده برداشت سپاه بوشی رسید گفت اسکندر مزده باد تو را که جادورا بر طوف کردیم و بیغمبری بتو دادیم در این مکان بطلب هو مطلبی که داری مستجاب خواهد شد و باز گفت اسکندر فلان سنک ار بر دار که در بسیار جا بکار تومی آید اسکندر چون سنکرا برداشت دید که لوحی است از سنک ویرا و نوشته بود لا إله إلا الله محمد رسول الله و باز سپاه بوش دید که رسید گفت که ای اسکندر دنیا را کفر فرو گرفته از جهت همین ترا شمع عالم کردیم که از ظلمت باک سازی اسکندر یقینش حاصل شد که به بیغمبری سرافراز گردیده است از شدت شادی کریه براو غلبه کرد پس در غار بعبادت مشغول شد.

⁽⁴³⁵⁾ المرجع السابق: ص 91.

⁽⁴³⁶⁾ المرجع السابق: ص 102.

⁽⁴³⁷⁾ المرجع السابق: ص 110-119.

وهكذا يمضي المؤلف مصورا حروب الأسكندر الرسول المختار هو وجنوده من أجل نصرته الإسلام. وهو ينتقل من نصر إلى نصر، يؤكد مهارته وبطولته، ونصرة الله له، حتى بلغ الأسكندر التركستان، وكان في أثناء سيرة يواجه السحرة، ويقضي على سحرهم، ويخلص أتباعه من شرهم، ويأتي بأعمال عجيبة⁽⁴³⁸⁾.

وقد استغرقت تحركات الأسكندر على حدود التركستان بقية الجزء الثالث من القصة، كما تضمن بعض الأحداث، كقصة ذهاب فريدون الثاني أحد رجال الأسكندر إلى ناككن، وحربه ضد افراسياب، واصابته بجروح⁽⁴³⁹⁾.

والواضح هنا أن المؤلف يهدف إلى تأكيد قدرة الأسكندر على الخوارق من الأعمال، وبخاصة بعد أن أصبح نبيا ورسولا من رسل الحق، لنصرة الإسلام، كما أن تلك الأحداث كسابقتها تروى بطريقة أسطورية تهدف إلى الإثارة وتجسيم بطولة الأسكندر، دون الاهتمام بصحة الوقائع التي تتضمنها.

الجزء الرابع:

ويشمل الجزء الرابع ذهاب الأسكندر إلى بلاد الخطاء، وحروبه مع الكفار، الذين كانوا يستعينون بالسحرة مثل الساحرة شمامة، وقد استطاع السحرة أن يوجدوا غشاوة على أبصار الأسكندر وقواده، ولكن الأسكندر نجح في أبطال السحر والقضاء على السحرة، والقبض على الساحرة شمامة وقتلتها، وبذلك انتصر الإسلام وعز أبطاله، واندحر الكفر ورجاله⁽⁴⁴⁰⁾.

ثم تأتي قصة الحرب التي قامت بين طغماج بن سلسال الكافر وفريدون أحد رجال الأسكندر، وانتصار جيش الإسلام، وأسر طغماج، ثم دخوله الإسلام هو ورجاله وانضمامهم إلى جيش الأسكندر⁽⁴⁴¹⁾.

⁽⁴³⁸⁾ المرجع السابق: ص 120 وما بعدها.

⁽⁴³⁹⁾ المرجع السابق: ص 122 - 128.

⁽⁴⁴⁰⁾ المرجع السابق: ص 130 - 135.

⁽⁴⁴¹⁾ المرجع السابق: ص 136 - 136.

وتروى بعد ذلك قصة توجه أحد الأسكندر وأسمه (مهترنسيم) إلى أفراسياب، ودخوله في حوزة إبليس وتمكنه من التغلب على إبليس وسلبه شيئاً من صندوقه⁽⁴⁴²⁾.

ثم تأتي بعد ذلك قصة الأسكندر مع ساحرة تسمى دمامة، تمكنت هذه الساحرة من حمله إلى الغار، الذي يوجد فيه أفراسياب، ولكنه نجح في التغلب عليها، وأبطال سحرها، وإظهار بطولاته ومعجزاته⁽⁴⁴³⁾.

ويروي المؤلف بعد ذلك قصصاً أخرى شبيهة بهذه القصة، تبدأ بقصة ملكة زابلستان (كيسيابانو)⁽⁴⁴⁴⁾ وكيف نجا الأسكندر ورجاله من غار أفراسياب بمساعدتها، ثم قصة الأسكندر مع شمسة، بعد قيامها بقتل أبيها مالوت شاه، ولجئها إليه⁽⁴⁴⁵⁾.

وترد بعد ذلك قصة الأسكندر مع سلسال خان الذي تمكن من الوصول إلى جبل قاف، واجلاس شيطان على العرى بدلا الأسكندر، وذكر كيف تمكن الأسكندر من التغلب على سلسال خان، والجلوس على عرشه بمساعدة كيسيابانو⁽⁴⁴⁶⁾.

وبهذه القصة ينتهي الجزء الرابع الذي امتلأ بالأحداث الخيالية، كان الهدف منها إبراز بطولة الأسكندر الخارقة أثناء مدة نبوته، وقتاله من أجل نصرته الإسلام.

الجزء الخامس:

ويبدأ هذا الجزء بالحديث عن جيش الإسلام وأعماله البطولية بقيادة الأسكندر، لنصرة أنصار الإسلام، ومحاربة أئمة الكفر والانتصار عليهم،

⁽⁴⁴²⁾ المرجع السابق: ص 136 - 142.

⁽⁴⁴³⁾ المرجع السابق: ص 142 - 144.

⁽⁴⁴⁴⁾ المرجع السابق: ص 144 - 149.

⁽⁴⁴⁵⁾ المرجع السابق: ص 149 - 153.

⁽⁴⁴⁶⁾ المرجع السابق: ص 153 - 162.

ومهارته في أبطال سحر ساحرة ماهرة اسمها مرجانة، وتصوير حرب
الأسكندر ضد سلسال⁽⁴⁴⁷⁾.

وقد استمر الأسكندر في مطاردة الكفار، حتى وصل إلى بلاد الهند،
حيث يوجد قبر آدم عليه السلام، فتأقت نفسه إلى زيارة القبر، فاستدعي أحد
رجاله ويدعى نسيم، ولبس زي أهل الهند، وتوجه لزيارة القبر، فلما وصلا إليه،
ترجل الأسكندر ملك العالم، ودخل فيه، فلما أبصره خادم القبر، تقدم وتهيباً
لخدمته، فأعطاه الأسكندر خمسمائة دينار له، وطلب منه أن يفتح الباب الذي في
مدخل القبر، ليدخل ويطوف حول القبر، وبعد أن قام الأسكندر بالطواف والدعاء
حسب الأصول المرعية، جلس أسفل رجل آدم، ودعا بما يريد، ومسح وجهه في
التراب تعبيراً عن العجز، وتضرع إلى آدم طالباً من التأييد والعون في مواجهة
ملوك الهند، وفي تلك الأثناء غلب النوم على الأسكندر، فنام فرأى في المنام
ملكاً نورانياً يبدو أمامه، يبشره بأنه سينتصر على ملوك العالم جميعاً قاتلاً: يا
ملك الأقاليم السبعة، لا تجعل للقلق والاضطراب سبيلاً إلى نفسك، لأن لطف الله
تعالى سيكون دائماً قريناً لك، وستكون دائماً مظفراً ومنصوراً على الأعداء، ثم
قال له: أيها الأسكندر: "قم من مكانك، فقام الأسكندر من مكانه، ففك آدم حزام
وسطه، وأعاد شد وسطه بيده المباركة، ثم فتح كف الأسكندر، ووضع فيه شيئاً،
وضم أصابعه ليحكم قبضته عليه، وقال: أيها الأسكندر أفهم معنى هذه الإشارة
وهي أن رب العالم قد وضع زمام اختيار الدنيا في قبضة تصرفك"⁽⁴⁴⁸⁾.

وقد أورد المؤلف هذه القصة لبيان قدر الأسكندر، في أنه قد حظى بتأييد
الله ونصره، وأنه سيحكم العالم كله، ويبدو أن المؤلف في القصة قد تأثر بقصة

⁽⁴⁴⁷⁾ المرجع السابق: ص 164 وما بعدها.

⁽⁴⁴⁸⁾ المرجع السابق: ص 174.

النص: فرمود ايشاه هفت كشور هيچ دغدغه بخاطر مرسان كه درهمه حال لطف ايزد
متعال قرين و هميشه بر دشمنان مظفر ومنصور خواهى بود پس گفت اى اسكندر از جاى
بر خيز اسكندر بر خواست آنحضرت كمرد او كشود و باز بدست مبارك خود بست بس
دست اسكندر را كشوده جيزى در كف دست او نهاده و مشتش را بر هم نهاد گفت اى
اسكندر معنى اين اشاره را درياب يعنى كه حضرت پرورد كار عالم زمام اختيار
جهان را قبضه تصرف تو نهاده.

زيارة الأسكندر لقبر آدم والتي وردت في القصة النظرية التي الفت قبل نظامي حتى يظهر بطولة الأسكندر للقارئ في أقوى صورها.

وينتهي هذا الجزء بقصص تتعلق بأحداث جانبية، تقع في أثناء تجوال الأسكندر، منها اضطراره إلى الاشتباك في حرب ضد الحيات والثعابين⁽⁴⁴⁹⁾، وإرساله بعض أتباعه لقتال أعداء الإسلام، ودخول بعض الأعداء في الإسلام، ومشاركتهم في الجهاد لنصرته⁽⁴⁵⁰⁾، هذا بالإضافة إلى انضمام ملوك الهند والصين تحت لوائه، فصار مطاعا في كل مكان⁽⁴⁵¹⁾.

الجزء السادس:

وهذا الجزء كبقية الأجزاء الخمسة السابقة، يتضمن قصصا أسطورية بعيدة عن العقل والمنطق، وهو يبدأ بذكر أن الأسكندر كان يعاصر مزدك أحد أصحاب المذاهب في إيران قبل الإسلام في العصر الساساني، وقد دعا الناس إلى (الشيوعية) في الأموال والنساء، وقد استطاع الأسكندر القبض عليه وأسره، وقد نجح أحد أتباع مزدك، ويدعي (شرار) في دخول معسكر جيش الإسلام، وتخليص مزدك من الأسر، والهرب به، غير أن أحد رجال الأسكندر، واسمه (برق) اقتفى أثر مزدك وخاطفيه في محاولة لاعادته إلى الأسر، لكنه وق هو في قبضة مزدك، لولا أن أسرع ابنه طيفور، وانقذ والده من أسر مزدك ورجاله⁽⁴⁵²⁾.

ثم تأتي بعد ذلك قصة جمشيد بن أفريدون، وهو من أعداء الأسكندر وجيش الإسلام، وتبين القصة كيفية وقوف (زلزل) أحد رجال الأسكندر وفي وجه جمشيد هذا، مما جعله يرتكب أعمالا خسيهه ضد رجال جيش الإسلام، فأسرع الأسكندر بقمعه⁽⁴⁵³⁾.

⁽⁴⁴⁹⁾ المرجع السابق: ص 179

⁽⁴⁵⁰⁾ المرجع السابق: ص 184.

⁽⁴⁵¹⁾ المرجع السابق: ص 188 وما بعدها.

⁽⁴⁵²⁾ المرجع السابق: ص 196 - 199.

⁽⁴⁵³⁾ المرجع السابق: ص 201 - 222.

وترد بعد ذلك قصة عشق (لندهور) ابن عم الأسكندر لابنة مرجان شاه واسمها (سوسن بانو)، حتى ظفر بالزواج منها⁽⁴⁵⁴⁾.

ثم تأتي قصة هجوم (نهنك المغربي) أحد قواد الكفار على جيش الإسلام، وتصوير فشل هذا الهجوم، وانتصار جيش الإسلام، وإصابة هذا المعتدي الغادر بجرح، مما جعله عبرة لغيره من المعتدين⁽⁴⁵⁵⁾.

وترد بعد ذلك قصة قضاء الأسكندر وجنوده على عد وآخر للإسلام وهو (طهماسب ابن عنقويل)، والقضاء عليه وقتله شر قتله⁽⁴⁵⁶⁾.

وتلى هذه القصة قصة اشتباك الأسكندر في حرب ضد (كشواد) أحد قواد الكفار وانتصاره عليه، وقتله في النهاية، وقد اشترك في الحرب أفلاطون وغيره من أتباع الأسكندر⁽⁴⁵⁷⁾.

وترد بعدها قصة حرب الأسكندر ضد خاورشاه المغربي الذي أكثر من الظلم والفساد، ولكن جيش الأسكندر عزز نصره السابق، وقضى على خاورشاه المغربي وقتله⁽⁴⁵⁸⁾.

واشتباك الأسكندر بعد ذلك في حروب ضد الظلمة والمتمردين، وكان النصر حليفه في هذه الاشتباكات.

وتذكر القصة أن الأسكندر توجه بعد ذلك إلى جنة عدن هو ورفاقه، وكان أرشده إلى الطريق إليها أحد أتباعه، ويدعى (شهباك بن شاهرخ برى) فلما وصل إليها، توجه إلى جنة ارم، وكان بصحبته نسيم أحد أتباعه المخلصين⁽⁴⁵⁹⁾.

⁽⁴⁵⁴⁾ المرجع السابق: ص 223 - 224.

⁽⁴⁵⁵⁾ المرجع السابق: ص 204 - 206.

⁽⁴⁵⁶⁾ المرجع السابق: ص 206 - 208.

⁽⁴⁵⁷⁾ المرجع السابق: ص 209 - 214.

⁽⁴⁵⁸⁾ المرجع السابق: ص 214 - 216.

⁽⁴⁵⁹⁾ المرجع السابق: ص 220 - 222.

وأخر قصة في هذا الجزء هي اشتباك الأسكندر في قتال مع (هيكلان) ألد أعداء الإسلام، وانتصاره عليه⁽⁴⁶⁰⁾.

وقد صور المؤلف في هذه القصة بطولية الأسكندر ومهارته القتالية في المواقف المختلفة، فضلا عن التأييد الإلهي له الذي مكّنه من التفوق على كل أعدائه.

الجزء السابع:

ويبدأ هذا الجزء بقصة ظهور اثنين من الملمّنين في جيش الإسلام، وقد رفضا أن يكشفوا عن شخصيتهما إلا في حضرة الأسكندر، الذي أمر بإدخالهما عليه، وبعد تكريمهما طلب منهما اظهار وجهيهما، فتبين أنهما من أبناء أتباعه الموالين له، فسر الأسكندر وشكر الله على ذلك، واحتفل بهما لمدة أربعة أيام⁽⁴⁶¹⁾.

ثم تذكر القصة بعد ذلك أن أعداء الأسكندر داهموا رجاله، وتمكنوا من أسر بعضهم، وكان الأسكندر حينذاك مشغولا بالصيد، فلما علم الأسكندر بذلك حزن حزنا شديدا وساق جيشه بسرعة هائلة، لانقاذ الأسرى، وقد نجح في تخليصهم، والحاق الهزيمة بالأعداء⁽⁴⁶²⁾.

وتأتى بعد ذلك أحداث متفرقة غير مترابطة، بعضها يتعلق برجال الأسكندر، وبعضها الآخر يتصل بالأسكندر نفسه، وذهابه إلى قبر آدم صفي الله، وقد تجلت في هذه الرحلة أخلاق الأسكندر على حقيقتها، فيظهر عطفه وكرمه وحرصه على أداء حقوق الله من الصلاة والصدقة ومساعدة المحتاجين.

وقد ظهرت في هذه الأحداث شخصية أرسطو كذلك، وهو يعلق في بعض المواقف، حين قدم الأسكندر مساعدة لأحد الحكام الذين أخنى عليهم الدهر، فأصابهم الضعف بعد القوة، وانتقلوا من العزة إلى الذلة، فعلق أرسطو بقوله ببيت الشعر قائلا:

⁽⁴⁶⁰⁾ المرجع السابق: ص 224 - 226.

⁽⁴⁶¹⁾ المرجع السابق: ص 228.

⁽⁴⁶²⁾ المرجع السابق: ص 231.

"هكذا أسلوب الحياة الحقيقي، فأحيانا تكون فوق السرج، وأحيانا يكون السرج فوقك" (463).

ثم تأتي بعد ذلك أحداث حرب الإسكندر ضد طائفة كفار تدعي (فيلكوشان) فقد ظل يقاتلها طوال الليل حتى شروق الشمس، وقتل زعيمها. وحينذاك طلب أفراد هذه الطائفة الأمان، ونطقوا بالشهادتين وأعلنوا إسلامهم (464).

ثم يذكر المؤلف قصة أخرى تبين قوة الإسكندر وغلبنه، وخشية ملوك العالم منه، لأنه يستطيع أن يتفوق عليهم، ويطيح بهم، وتمضي القصة فتقول أن الإسكندر توجه إلى بلد اسمه (عيانية) فلما علم ملكها ويدعى محمود شاه، بخبر قدومه على رأس جيش كبير، خشى بطشه، وفكر وتدارك الأمر، ثم خرج على رأس جند كثيرين، وندماء ووزراء، وتوجهوا جميعا إلى معسكر الإسكندر.

ولما وصل الخبر إلى الإسكندر بأن محمود شاه جاء لاستقباله، سر كثيرا، وأمر بخروج العظام لاستقباله، واصطحابه باحترام وتكريم إلى حضرته، فلما دخل محمود شاه الحضرة وأبصر الإسكندر، خر على الأرض احتراما ورهبة، فكرمه الإسكندر وأجلسه إلى جواره، فقدم محمود شاه الهدايا التي كان قد أحضرها معه إلى الإسكندر، ثم اصطحبه هو وقواده إلى بلده (465).

ثم يذكر المؤلف بعد ذلك قصة يبين فيها أن الإسكندر بعد أن أصبح نبيا ورسولا من قبل الله صار قريبا من ربه يناجيه فيتجيب لندائه، ويمده بالعون الإلهي فيقول أن جالنيوس أحد حكماء الإسكندر، قد فر إلى شيرزادخان حاكم مدينة شيردره، ولجأ إليه، شاكيا من معاملة الإسكندر له، فأرسل الإسكندر بعد ذلك رجلا من قبله إلى مكان قريب من مدينة شيردره ليقدم فيه معسكرا، فغضب

(463) المرجع السابق: ص 242.

| | |
|------------------------|------------------------------|
| جنين است رسم سراى درست | كهى بشت بزین وكهى زين به بشت |
|------------------------|------------------------------|

(464) المرجع السابق: ص 231.

(465) المرجع السابق: ص 245.

حاكمها شيرزادخان، واشتبك مع الأسكندر في حرب ضارية، فلما أبدى شيرزادخان مقامة عظيمة، ووجد الأسكندر أن الانتصار أمر صعب تحقيقه، ناجى ربه فاستجاب لندائه، وأمه بملائكة ملثمين في لباس أصفر اللون وأخضر اللون نزلوا إلى ميدان القتال، وعاونوه في القتال، وقتلوا شيرزاد خان، وقد وردت هذه الرواية في القصة تحت عنوان: "مناجاة الأسكندر ربه قاضي الحاجات، ومجئ ملائكة ملثمين في لباس أصفر اللون وأخضر اللون، ونزولهم إلى الميدان وقتلهم شيرزادخان وبقية القصة"⁽⁴⁶⁶⁾.

وبعد مقتل شيرزادخان، تقدم الأسكندر إلى رأس جيشه، وأستولى على شيردره.

يذكر المؤلف بعد ذلك قصة سبق أن ذكرتها جميع الأعمال السابقة، فلا داعي لتكرارها وهي أن الأسكندر ذهب إلى مدينة كل سكانها من النساء⁽⁴⁶⁷⁾.

ثم تبدأ بعد ذلك أحداث عجيبة تنتهي بها القصة، أولها أن الأسكندر صمم على السيطرة على الشمس كما سيطر على الأرض، وصرح بذلك لأتباعه قائلاً: هيهات أن أقوم بكل هذه الفتوحات في الأرض، وأتحمل كل هذه المشقات، وأشهر السيف، وأضرب به، وأقطع رعوس المخالفين، ثم لا أحقق هدفي ألا وهو أذهب إلى قرص الشمس، وأشاهده، وأنصب منجنيقا في منطقتة"⁽⁴⁶⁸⁾.

لكن أتباعه نصحوه بعدم المجازفة والقيام بهذه الرحلة، لأنه ليس لديه طاقة لتحمل حرارة قرص الشمس، لأن الشمس حينما تشرق تصدر صوتا

⁽⁴⁶⁶⁾ المرجع السابق: ص 261:

النص: مناجات كردن اسكندر بدر كاه قاضي الحاجات وآمدن نقابدار زرد بوش وسبزيوش ودرميدان رفتن وشيرزاد خان رازدن وباقي داستان.

⁽⁴⁶⁷⁾ المرجع السابق: ص 267-270.

⁽⁴⁶⁸⁾ المرجع السابق: ص 270:

امير كبير فرمود هيهات آنقدر در روی زمین زحمت کشیدم وشمشیرها زدم وسردکردن کشان را بخاک هلاک افکندم وتمام منظورم این بودکه بروم وکره آفتاب را مشاهده کنم ومنجنيقي در آنجا بزنم.

مرعبا يهلك أي مخلوق في الدنيا من سماعه، لكن الأسكندر رفض وصمم على الاستعداد للقيام بالرحلة.

وتمضي القصة فنذكر أنه بينما كان الأسكندر يشق طريق لغزو الشمس، أبصر في أثناء الطريق غزالا بديع الشكل جميل المنظر، له قرنان أحدهما من ذهب والآخر من فضة، وظهره مرصع بالفضة، فتعلق به وأراد أن يصطاده، وأمر رجاله بعدم ذهاب أحد وراءه، لأنه وهو وحده الذي سيذهب في أثره لاصطياده، وظل الأسكندر يطارد الغزال ثلاثة أيام متتالية دون أن يلحق به ثم اختفى الغزال، وضل الأسكندر طريقه، ولم يجد بدا من العودة، لكنه لم يعرف إلى أي جهة يذهب، وفجأة رأى جماعة من بعيد، يصيحون بصوت عال قائلين: لقد كدنا نهلك عطشا لأنه كان يوجد في ذلك المكان عين ماء مالح، وكانوا يشربون منها فلا يرتون، فبقى الأسكندر في حيرة⁽⁴⁶⁹⁾.

ثم وصل الأسكندر إلى جماعة أخرى، كان جميع أفرادها عرايا، وكانوا يشعلون النار ويلقون بأنفسهم فيها، وأمامهم جماعة أخرى على أفرادها ملابسهم، وهم ينصحون أفراد الجماعة الأخرى بأن يجعلوا على أجسادهم الملابس، وأن يمتنعوا عن إلقاء أنفسهم في النار، ولكن النصيحة لا تجدى، فحاول الأسكندر أن يفهم شيئا عن سر ما يحدث، ولكن أحدا لم يلتفت إليه⁽⁴⁷⁰⁾.

وواصل الأسكندر السير فرأى امرأة عجوزا تمسك مغزلا وحولها مجموعة من الأطفال يشكون من العرى، والعجوز تهدي من روعهم، وتقول لهم أنها تشتغل بالمعزل لتصنع لهم ثيابا يلبسونها، ولكنها بعد أن تغزل خيطا طويلا تجعله أشبه بالقوس، تلفه حول رقاب الأطفال وتخنقهم به، فسألها عن سبب قتلها هؤلاء الأطفال بدون ذنب إقترفوه، ولكنها لم تجبه، فتحير الأسكندر، وتضرع إلى الله في هذه الصحراء، حتى أرشده إلى حديقة غناء، فقطف منها بعض الفاكهة، ولما شق هذه الفاكهة، وجد باطنها أسود مليئا بالدود، فتعجب من أمرها، وترك المكان، وأخذ يناجي ربه، ويسأله أن يخلصه من ذلك المكان

⁽⁴⁶⁹⁾ المرجع السابق: ص 270-271.

⁽⁴⁷⁰⁾ المرجع السابق: ص 271.

العجيب، فرأى فجأة شيخاً هرماً نورانياً قد ظهر في تلك الصحراء، وكان النور يشع من وجهه، وأخذ يتجه صوب الأسكندر، فلما وصل الأسكندر إلى هذا الشيخ، تبين أنه الخضر عليه السلام، فسلم عليه، وقال له: "يا نبي الله أي مكان هذا الذي صرت فيه، رأي الأشخاص هؤلاء الذين شاهدتهم، فقال الخضر: "أيها الأسكندر هنا ولاية مشرق الأرض، التي فيها عجائب كثيرة، والعين الأولى التي أبصرتها عين الحرص وتلك الجماعة جماعة الجهال عباد الدنيا، ومهما شربوا من تلك العين لا يرتوون، وكلما كثر مالهم، إزداد حرصهم، أما العراة فهم أهل الحسرة الذين يحرقون أنفسهم في دار الحسرة، وأما هؤلاء الذين يلبسون الثياب وينصحونهم فهم أهل الصدق، وكانوا يعظونهم دون جدوى أما المرأة العجوز التي رأيتها فهي الفلك الذي يدور، والخيطان الأبيض والأسود هما الليل والنهار، والأطفال الذين يلتفون حولها، هم أهل الدنيا الذين يأتون إليها، ويكبرون ثم يهلكون، وهذه الحديقة التي رأيتها هي الدنيا، وأهل الدنيا هم الذين ظاهراً هم حسن، وباطنهم سيء، فغرق الأسكندر في التفكير، وعلم أنه لا بد من صرف النظر عن هذه الدنيا، بعد كل هذه الأحداث والوقائع، ثم أوصله الخضر عليه السلام إلى المعسكر، وقال له: أيها الأسكندر أنظر جيشك، ثم اختفى من أمام الأسكندر (471).

ونظر الأسكندر فرأى جيشه ومعسكره، وكان الجنود قد تفرقوا في الصحراء، يبحثون عنه، فلما أبصروه أسرعوا إليه، فجلس على عرشه، وقص ما وقع له عليهم.

والواضح هنا ان مؤلف القصة قد تأثر بما ورد في سورة الكهف عن قصة سيدنا موسى عليه السلام والخضر، فشبّه الأسكندر بسيدنا موسى، ليضفي عليه شيئاً من القداسة.

ثم واصل الأسكندر سيره بجيشه حتى وصل إلى جبل ضخّم لا مثيل له في الضخامة، فمهما نظر الإنسان إلى الجبل لا يستطيع أن يرى قمته، فقال

(471) المرجع السابق: ص 272.

الأسكندر: "لم يعد هناك مكان في الربيع المسكون، لم أذهب إليه"⁽⁴⁷²⁾، وقرر أن يرسل شخصا من قبله، ليصعد ذلك الجبل، ويطلع على أبعاد، وحقيقته، فأختار رجلا من أتباعه ويدعى (مهتر نسيم بابا "للقيام بهذه المهمة وصنع له أرسطو زيتا يطلّى به رجليه أثناء صعوده، حتى تتباعد الكائنات عنه، فصعد الرجل الجبل، وهم ينظرون إليه حتى أخفى، ثم اشتغلوا هم الصيد"⁽⁴⁷³⁾.

وتأتي بعد ذلك قصة صعود مهتر نسيم بابا، وقد ظل مدة ستة أشهر كاملة يصعد هذا الجبل العجيب، حتى بلغ قمته، وخيل له أن قمة ذلك الجبل ملتصقة بالسماء وكلما نظر حوله، لم يشاهد شيئا غير الماء، وشاهد داخل المساء حيوانات عجيبية وغريبة، فغلبته الدهشة والحيرة، وفجأة سمع صوتا مدويا، ورأى شخصا يهبط على قمة الجبل يشبهه في الخلقة، فاخفى مهتر نسيم بابا خلف حجر، ونصب شباكاً، واصطاد به ذلك القادم الجديد، وجشم فوق صدره، وقيده يديه، ثم نظر في وجهه، فوجده شخصا شبيهاً به، فأخذ يتحدث معه، ولكنه لم يفهم لغة مهتر نسيم بابا، ولم يفهم بابا لغته، فحملة بابا، ونزل به الجبل، وذهب إلى الأسكندر، وقص قصته إليه، فأمر الأسكندر باحضار الرجل والتحدث معه ولكن أحدا لم يستطع التفاهم معه، فسأل الأسكندر أرسطو أن يحل هذه المشكلة، فاقترح أن يزوج الرجل بإمرأة، ثم تؤخذ المعلومات اللازمة من نسله، وبعد ثماني سنوات عرف الأسكندر من ابن ذلك الرجل، أنه يسمى (مهتر نسيم عيار) وأنه حارس الأسكندر الذي يكون تارة أمامه، وتارة خلفه، وأنه يقود جيشاً عدده أربعة وعشرون ألف جندي ماهر يحرس به الأسكندر، ثم ذكر أنه يوجد في الجانب الآخر للجبل عالم آخر، وأنه قد استولى على هذا العالم الآخر، ويستطيع أن يجعله تحت تصرفه، ثم قص الرجل كيفية لقائه بمهتر نسيم بابا ووقوعه في قيده.

فلما سمع الأسكندر ذلك تعجب كثيراً، وقال لأتباعه: لقد صار واضحاً أنني شاهدت نصف العالم، ثم سجد ذكراً لله، وأمر الرجل مهتر نسيم عيار بالذهاب، فانصرف واخفى⁽⁴⁷⁴⁾.

⁽⁴⁷²⁾ المرجع السابق: ص 272.

⁽⁴⁷³⁾ المرجع السابق: ص 273.

⁽⁴⁷⁴⁾ المرجع السابق: ص 273-275.

ثم قرر الأسكندر ترك المكان، والسير من جديد للسيطرة على الشمس، وكانت على بعد ثلاثة منازل، فلما بلغ الأسكندر محطة الشمس، نزل بالقرب منها، وقرر أن يذهب هو وسبعة عشر نفرا من أبنائه وأحفاده حيث توجد الشمس نفسها، فساروا طوال الليل حتى لم يبق على ظهور الصباح الصادق أكثر من ساعتين، حتى وصلوا إلى مكان لا يمكن تجاوزه أو الاقتراب من الشمس أكثر من ذلك المكان، لشدة الحرارة هناك، وظل الأسكندر مصرا على السيطرة على الشمس حتى رآها ذات مرة، وهي تخرج من بئر عميقة راكبة أسدا، وتحدث معه قائلة: "أيها الأسكندر ذو القرنين: لقد سيطرت على وجه الأرض كلها، ألم يكفك هذا، حتى تجئ إلى هنا، فماذا تريد مني؟ فقال الأسكندر: لقد أخذت الخراج من جميع أنحاء العالم حتى جئت إلى هنا والآن أريد أخذ الخراج منك، ويقول الرواي أن الشمس أعطت لأمير العالم عقدا مرصعا باللؤلؤ، حتى ينصرف عنها⁽⁴⁷⁵⁾.

ثم صعد الأسكندر فوق الفلك، فأصيب من كانوا معه بالإغماء، وغابوا عن الوعي مدة، ثم رجع إليهم وعيهم، وأصيب الأسكندر بالحمى، حتى أنه لم يعد قادرا على مواصلة السير، فلزم الفراش، واجتمع رجاله حوله، فطلب سرعة حمله إلى المعسكر، ليودع جنوده قبل الرحيل من الدنيا، بعد ما أيقن أن وقت رحيله قد حان.

وقد تجمع الأطباء حوله في محاولة لعلاج، لكن محاولاتهم باءت بالفشل، وأيقن أتباع الأسكندر أنه ميت لا محالة، فحزنوا حزنا شديدا، واضطرب أمرهم، ثم نظر الأسكندر إليهم، وقال لهم وصيته وهي: "ضعوني في تابوت، وأخرجوا إحدى يدي من التابوت، وصفوا جميع الأمراء والأموال والملوك والعظماء والخزائن والأموال أمام التابوت بصورة غاية في الجمال

⁽⁴⁷⁵⁾ المرجع السابق: ص 275:

النص: اي اسكندر ذو القرنين تمام روى زمين را كرفتي، ترا بس نبود كه در اينجا آمده اي، از من چه ميخواهي؟ اسكندر فرمود از تمام عالم باج كرفتم تابدين مكان رسيدم الحال از تو باج ميخواهم بكيرم، روى كويد كه كلوبندي باعقد مروايد آفتاب بامير دادا تا امير اورا رهاكرد.

والزينة، لأن جثمانى يجب أن يكون في الخلف، ثم طوفوا في جميع الولايات التي تحت سيطرتي، والمكان الذي أسحب فيه يدي إلى داخل التابوت ادفنوني فيه، وبعد الدفن ينصرف الجميع»⁽⁴⁷⁶⁾.

وتقدم الأمراء والعظماء والقواد، فقلبوا وجهه، ثم تبسم الأسكندر وفاضت روحه، فحزن الجميع، وشقوا ثيابهم، ثم ترحموا عليه، وقرأوا الفاتحة، ونفذ وصيته، فوضعوه في التابوت.

وواضح من هذه الرواية أن المؤلف تأثر بما أورد نظامي عن وصية الأسكندر في منظومته سكندرنامه، وأخرجها في صورة شبيهة جداً بها.

ويموت الأسكندر أسدل الستار على قصة الأسكندر عند منوهرخان حكيم، فلنبدأ الآن تقويم هذه القصة:

⁽⁴⁷⁶⁾ المرجع السابق: ص 276:

النص: مرا در تابوتي بگذاريد ويكدست مرا از تابوت بيرون كنيد، وتمام شاهزادگان وباد شاهان و بزرگان و خزينة و دفينه را به آراستگي هرچه تمامتر در جلو تابوت من بپريد كه جنازة من از عقب باشد و در تمام ولايتي كه در تصرف من هست بگردانيد هر كجا كه من دست خود را در تابوت كشيدم مرا همان خادمن بعد از دفن تمام مرخص هستند.

تقويم قصة الأسكندر عند منو جهرخان حكيم

غلبت الخرافات والأساطير في هذه القصة على الحقيقة والوقائع التاريخية، فصورت الأسكندر بطلاً أسطورياً يقوم بخوارق الأعمال، ويخترق حواجز الزمان والمكان، ويفعل المعجزات، فهو تارة ملك فاتح وبطل مظفر، يحقق الانتصارات تلو الانتصارات بفضل شجاعته النادرة، ومهارته القتالية الفائقة.

وتارة أخرى ساحر ماهر يفوق جميع السحرة، فيبطل سحرهم، ويخاطب الريح ويسخرها، ويكلم الجبال، ويسخر الأنس والجن لخدمته.

وأهم ما نلاحظه على هذه القصة هو سيطرة النزعة الإسلامية عليها، ويرجع هذا إلى تأثر مؤلفها منو جهرخان حكيم بظروف العصر الذي عاش فيه، فكما سبق أن ذكرت أن منو جهر عاش في عصر الدولة الصفوية تلك الدولة التي أعلنت بقيامها قيام المذهب الشيعي في إيران، وعدت الجهاد من أجل نشر المذهب الشيعي، ومحاربة أصحاب المذهب السني والقضاء عليهم جهاداً في سبيل الله - فطبيعي أن تنعكس هذه الظروف في معالجته لشخصية الأسكندر في القصة، فصوره في معظم أجزاءها نبياً مرسلًا من قبل الله عز وجل لنشر الإسلام، وهداية الناس من الضلال إلى الحق، ومجاهداً في سبيل نصرته الدين الإسلامي، فصور لنا معارك كثيرة لا تحصى، خاضها ضد الكافرين من أجل نشر الدين الإسلامي وحمايته، ونجاحه في القضاء على بعضهم، وتسليم البعض الآخر واعتناقه الإسلام، وذلك بفضل مهارته الحربية الفائقة، وبالعون الإلهي له.

ومن الملاحظ أيضاً أن اضطراب الأوضاع السياسية نتيجة للصراع المذهبي في العصر الصفوي في إيران قد أثر في العادات والتقاليد الاجتماعية كان من بينها انتشار السحر والشعوذة بين الناس، وقد بدأ هذا واضحاً جلياً في القصة، حيث غلبت عليها الحكايات التي تصور الأسكندر ساحراً ماهراً يتغلب على جميع السحرة بأعماله السحرية الباهرة.

وأخيرا ليس لنا من كلمة نقولها بعد ذلك إلا أن قصة الأسكندر عند منوچهرخان، قصة خرافية، أو أسطورة شعبية كانت خاتمة الأعمال الأدبية التي تناولتها شخصية الأسكندر في الأدب الفارسي.

الخاتمة

في نهاية بحثي هذا ينبغي أن أشير إلى أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال تناولي لقصة الأسكندر في الأدب الفارسي بالدراسة والتحليل والنقد، لأهميتها بالنسبة للقارئ، وتتلخص فيما يلي:

غلب الجانب الأسطوري على أكثر أحداث القصة في الأعمال الأدبية التي تناولت الأسكندر نظماً ونثراً، فحرصوا على تجسيم بطولته سواء في الحرب، أو في الحكمة، أو في النبوة، دون تقيد بزمان أو مكان.

أدعى جميع مؤلفي قصة الأسكندر من شعراء أو كتاب أن الأسكندر المقدوني هو ذو القرنين المذكور في القرآن الكريم، وأنه التقى بالخضر ذلك العبد الصالح الذي ذكرت قصته مع موسى عليه السلام، قبل ذكر ذي القرنين فخلطوا بسبب ذلك صفات الأسكندر المقدوني بصفات ذي القرنين المذكورة في القرآن الكريم، ثم شطح بهم الخيال، فأضافوا إلى سيرة الأسكندر في صورته التي رسموه فيها أعمالاً بطولية خرافية جعلته بطلاً من أبطال الأساطير، الذين يحطمون حواجز الزمان والمكان، ويقدرّون على فعل كل شيء بحيث أصبح لنا أن نسمي قصة الأسكندر "أسطورة الأسكندر ذي القرنين".

هناك ملاحظة أخرى جديرة بالذكر، وهي أنه على الرغم مما تمتعت به شخصية الأسكندر من اهتمام واحترام وتبجيل من بعد الفتح الإسلامي لإيران حتى القرن العاشر الهجري، إلا أن هذه النظرة قد تغيرت في العصر الحديث فأصبح الإيرانيون الآن ينظرون إلى الأسكندر المقدوني نظرهم إليه قبل الإسلام وهي أن الأسكندر كان مستعمراً ظالماً باغياً، ويؤيد هذا رأي السيد محمد جعفر محجوب، الذي صرح به في مجلة سخن عند حديثه عن ترجمته لكتاب فرنسي إلى الفارسية تحت عنوان (زندكى افسانه أسكندر كبير) أي أسطورة الأسكندر الكبير، إذ يقول ما ترجمته "نحن الإيرانيون لا نحب الأسكندر، ولا نسميه مطلقاً الكبير، بل كنا نسميه في العصور القريبة من عصره بالملعون والمطرود وقد

أوردت كلمة الكبير بعد اسم الأسكندر في عنوان الكتاب من أجل الالتزام بدقة الترجمة عن المتن الأصلي⁽⁴⁷⁷⁾.

(477) مجلة سخن: دوره بیست و ششم، شماره دهم 1357، ص 1034. النص: ما ایرانیان اسکندر را دوست نداریم، و نه تنها هرگز وی را کبیر خوانده ایم، بلکه در روز کار نزدیک به دوران وی او را "گجستک" و مطرود و ملعون نامیدیم، لغت کبیری که به دنیال نام اسکندر آمده برای حفظ وفاداری نسبت به متن بوده است.

ثبت المراجع

أولاً: المراجع الفارسية:

- ابو ريحان بيروني: (ابو ريحان محمد بن أحمد بن بيروني خوارزمي).
- 1- ترجمة آثار الباقيّة أبو ريحان بيروني، جاب تهران 1321 هـ.ش.
 - 2- اسكندرنامه:
مجهول المؤلف، تصحيح ايرج افشار، جاب تهران 1343 هـ.ش.
بديع الزمان بشرويه خراساني:
 - 3- سخن وسخنوران، جلد اول، جاب دوم 1318 هـ.ش.
براون باك:
 - 4- ايران نامه ياكار نامه ايرانيان در عصر اشكانيان، جلد دوم، وسوم، تهران 1321 هـ.ش.
بناكتي:
 - 5- تاريخ بناكتي: كمبوشش جعفر شعار، تهران 1348 هـ.ش.
بهار: (مصدق تقى بهار ملك الشعراء)
 - 6- سبك شناسى، جلد دوم، تهران 1321 هـ.ش.
بيكولوسكايان رد يكران:
 - 7- تاريخ ايران از دوران باستان تا پايان سده "هجره ميلادي، ترجمه "كشاورز، تهران 1354 هـ.ش.
تئود ورنو لدكه:
 - 8- حماسه ملّى ايران: ترجمه بزرك دلوسي، تهران 1327.
حسن بيرينا:
 - 9- اسكندر " تهران 1344.
حسن بيرينا وعباس اقبال:
 - 10- تاريخ ايران از آغاز تا انقراض قاجاريه: بكوشش محمد دبيرسيماقي، جاب تهران.
خواندمير:
 - 11- حبيب السير في معرفة اخبار البشر: جلد اول، جاب دوم، تهران 1353 هـ.ش.

ذبيح الله صفا (دكتور)

- 12- حماسه سرائی در ایران، جاب تهران.
- 13- کنج سخن: جلد أول، جاب دوم 1339 هـ.ش.
- زين العابدين مترجم الملك:
- 14- آئینه اسکندري: جلد أول، 1326 هـ.ش.
- فردوسي:
- 15- شاهنامه: جلد سوم و چهارم، تصحيح محمد رضائي، تهران 1312 هـ.ش.
- محمد علی تريبست:
- 16- دانشندان آذربيجان: تهران 1314 هـ.ش.
- منوچهرخان حكيم:
- 17- اسکندرنامه: جاب تهران.
- نظامي گنجوی:
- 18- اقبالنامه: تصحيح وحيد دستکردی، تهران 1321 هـ.ش.
- 19- شرفنامه: تصحيح وحيد دستکردی، تهران 1319 هـ.ش.
- 20- مخزن الأسرار: تصحيح وحيد دستکردی، تهران 1312 هـ.ش.

ثانياً: المراجع العربية:

- ابراهيم رزقانه وآخرون:
- 21- حضارة مصر والشرق القديمة، طبع مصر.
 - ابن جرر الطبري: (أبو جعفر بن جرير بن يزيد الطبري)
 - 22- تاريخ الطبري: الجزء الثاني، طبع مصر.
 - البنداري:
 - 23- الشاهنامه: ترجمها إلى العربية الدكتور عبد الوهاب عزام، الطبعة الأولى، القاهرة 1350هـ - 1932م.
 - زهراى خانلری کیا دکتوره وبرویز ناكر خانلری دكتور
 - 24- من روائع القص في الأدب الفارسي: تعريب للدكتور أمين عبد المجيد بدوي، طبع القاهرة.
 - سيد الناصري: (دكتور)

- 25- الأغر يق (تاريخهم وحضارتهم): الطبعة الثانية، القاهرة 1977م.
الشهابي:
- 26- حاشية الشهابي على تفسير البيضاوي: الجزء الثالث والرابع، طبع مصر.
الشهرستاني:
- 27- الممل والنحل: الجزء العاشر، القاهرة 1923م.
طه ندا: (دكتور)
- 28- دراسات في الشاهنامه، طبع الإسكندرية.
عبد النعيم حسنين: (دكتور)
- 29- نظامي الكنجوى (عصر وبيئة وشعره): طبع القاهرة 1954م.
الفخر الرازي:
- 30- تفسير الرازي: الجزء الخامس، طبع مصر 1308هـ.
القرطبي:
- 31- الجامع لأحكام القرآن: الجزء الحادي عشر، طبع القاهرة، 1360هـ- 1941م.
البنهاني:
- 32- تفسير البنهاني: طبع القاهرة 1338هـ.
النسفي:
- 33- تفسير النسفي: المجلد الثاني، طبع القاهرة 1339هـ.
هـ. أيدرس بل:
- 34- مصر من الأسكندر الأكبر حتى الفتح العربي: نقله إلى العربية الدكتور أحمد على، طبع القاهرة، 1968م.
و. وتارن:
- 35- الأسكندر الأكبر: ترجمة زكي على ومراجعتة الدكتور محمد سليم سالم، طبع القاهرة 1963.
- ثالثًا: المراجع الأوروبية:

BURY, S.A COOK, TE. ADOCK:

36- The Cambridge of Anoient Mistory, Vol VI, Cambridge, 1927.

37- Mistory of Greeoe: London 1900.

38- Johss Pentaland Mahaffy: The Story of Nations, London.

رابعاً: المراجع التركية:

بروسه لي محمد طاهر:

39- عثمانلي مؤلفري، الجزء الثاني، استانبول سنة 1333:

خامساً: المطبوعات:

أ- المطبوعات الفارسية:

40- سخن (مجلة أديبات ودانش و هنر)، دوره بيست و چهارم 1354 هـ.ش ودوره بيست و ششم 1357 هـ.ش.

ب- المطبوعات العربية:

41- حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس، العدد الثاني عشر 1969م، مقالة تحت قصة الأسكندر ذي القرنين كما صورها الأدب الفارسي الإسلامي، بقلم الأستاذ الدكتور عبد النعيم حسنين.

42- مجلة المجلة، العدد السابع والأربعون، نوفمبر 1960م، مقالة تحت عنوان أسطورة الأسكندر ذي القرنين، بقلم الأستاذ الدكتور عبد النعيم حسنين.

سادساً: المخطوطات الفارسية:

أمير خسرو دهلوي:

43- آئينه سڪندري: مخطوطة موجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم (55 ادب فارسي طلعت).

عبد الرحمن جامسي:

44- خردنامه اسڪندري: مخطوطة موجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم (21- تصوف فارسي).

45- فتوحات اسڪندرمشهور بنو القرنين، مخطوطة موجودة بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم (721 فارسي).

سابعاً: المعاجم الفارسية:

برهان قاطع: (محمد حسين بن خلف تبريزي متخلص ببرهان قاطع).

46- فرهنگ برهان قاطع، جاب تهران 1330 هـ.ش.

دهخدا:

47- لغت نامه، تهران، 1331 هـ.ش.

زهراى خانلرى كيا: (دكتور)

48- فرهنگ ادبيات فارسى، تهران 1348 هـ.ش.

ثامناً: دوائر المعارف العربية:

البستاني:

49- دائرة المعارف، الجزء الأول، طبع بيروت 1876م.

| <u>الفهرس</u> | |
|---|--|
| 5 | <u>المقدمة:</u> |
| <u>الباب الأول</u> <u>الأسكندر المقدوني</u> | |
| 8 | أولاً: الصراع بين الفرس والاعريق. |
| 13 | ثانياً: الأسكندر المقدوني وفتوحاته. |
| 13 | أ- الأسكندر المقدوني. |
| 13 | ب- فتوحاته. |
| 21 | ثالثاً: شخصية ذي القرنين. |
| <u>الباب الثاني</u> <u>قصة الأسكندر عند الفردوسي</u> | |
| 28 | <u>تقديم:</u> |
| 28 | أ- الفردوسي. |
| 28 | ب- الشاهنامه. |
| 31 | ج- قصة الأسكندر- كما صورها الفردوسي وطلب فيلقوس الصلح. |
| 32 | حروب داراب مع فيلقوس وطلب فيلقوس الصلح. |
| 33 | زواج داراب من ابنة فيلقوس وانجابه الأسكندر. |

| | |
|----|------------------------------------|
| 34 | تولى الأسكندر عرش بلاد اليونان. |
| 35 | ذهاب الأسكندر إلى مصر. |
| 35 | ذهاب الأسكندر إلى إيران. |
| 40 | مقتل دارا الثالث. |
| 44 | جلوس الأسكندر على عرش إيران. |
| 45 | زواج الأسكندر من روشنك. |
| 47 | ذهاب الأسكندر إلى الهند. |
| 51 | زيارة الأسكندر إلى الكعبة. |
| 51 | عودة الأسكندر إلى مصر. |
| 51 | ذهاب الأسكندر إلى بلاد الأندلس. |
| 55 | ذهاب الأسكندر إلى مدينة برهمن. |
| 56 | ذهاب الأسكندر إلى الحبشة. |
| 57 | ذهاب الأسكندر إلى مدينة نرم بايان. |
| 58 | ذهاب الأسكندر إلى مدينة الروم. |
| 61 | ذهاب الأسكندر إلى الظلمات. |
| 63 | بناء الأسكندر سد يأجوج ومأجوج. |
| 64 | ذهاب الأسكندر إلى الصين. |

| | |
|---|--|
| 68 | ذهاب الأسكندر إلى بلاد الهند. |
| 69 | ذهاب الأسكندر إلى اليمن. |
| 69 | عثور الأسكندر على كنز كيخسرو. |
| 70 | ذهاب الأسكندر إلى بابل ومعرفته بدنو أجله. |
| 71 | وصية الأسكندر إلى أمه. |
| 72 | وفاة الأسكندر ودفنه بالاسكندرية. |
| 74 | رثاء حكماء اليونان للأسكندر. |
| 75 | رثاء أمه وزوجته روشنك. |
| 79 | تقييم قصة الأسكندر عند الفردوسي. |
| الباب الثالث | |
| اسكندرنامه | |
| القصة النثرية المؤلفة في بداية القرن السادس الهجري | |
| 82 | أولاً: قصة الأسكندر كما صورتها القصة النثرية اسكندرنامه. |
| 88 | ثانياً: مقارنة بين ما ورد في الشاهنامه والقصة النثرية عن الأسكندر. |
| الباب الرابع | |
| قصة الأسكندر عن نظامي الكنجوي | |
| 94 | الفصل الأول: أولاً: نظامي الكنجوي. |

| | |
|-----|--|
| 97 | ثانيا: المصادر التي اعتمد عليها نظامي عند نظم منظومة اسكندرنامه. |
| 99 | ثالثا: التعريف بمنظومة اسكندرنامه. |
| 103 | الفصل الثاني: الأسكندر الملك في منظومة شرفنامه. |
| 105 | ذكر الأسكندر. |
| 106 | أصل الأسكندر. |
| 111 | جلوسه على العرش. |
| 112 | ذهابه إلى مصر. |
| 115 | النزاع بين الأسكندر ودارا. |
| 127 | جلوس الأسكندر على عرش إيران. |
| 133 | زيارة الأسكندر للكعبة. |
| 134 | ذهاب الأسكندر إلى مملكة بردع. |
| 137 | ذهاب الأسكندر إلى جبل البرز. |
| 138 | ذهاب الأسكندر إلى قلعتي دربند وسرير. |
| 139 | ذهاب الأسكندر غار كيخسرو. |
| 140 | ذهاب الأسكندر إلى إقليم خراسان. |
| 142 | ذهاب الأسكندر إلى الهند. |

| | | |
|-----|--|--|
| 144 | ذهاب الأسكندر إلى الصين. | |
| 148 | ذهاب الأسكندر إلى القيجاق. | |
| 149 | ذهاب الأسكندر إلى بلاد الروس. | |
| 151 | أسطورة ماء الحياة. | |
| 154 | عودة الأسكندر إلى بلاد الروم. | |
| 157 | الفصل الثالث: الأسكندر الحكيم في منظومة اقبالنامه. | |
| 157 | بداية الحكاية. | |
| 159 | لما سمى الأسكندر بذى القرنين؟ | |
| 163 | الأساطير. | |
| 166 | انكار الحكماء السبعين لحكمة الفيلسوف هرمس. | |
| 167 | إساءة أرسطو إلى أفلاطون. | |
| 168 | الخاتم والراعي. | |
| 169 | أحوال الأسكندر مع أرسطو. | |
| 171 | حديث الحكيم الهندي مع الأسكندر. | |
| 174 | خلوة الأسكندر بالحكماء السبعة. | |
| 179 | الفصل الرابع: الأسكندر النبي في منظومة اقبالنامه. | |
| 182 | طواف الأسكندر النبي للعالم. | |

| | |
|-----|--|
| 183 | توجه الإسكندر صوب الغرب: |
| 183 | ذهابه إلى مصر. |
| 173 | ذهابه إلى بيت المقدس. |
| 185 | ذهابه إلى بلاد الأندلس. |
| 185 | ذهابه إلى مغرب الشمس. |
| 187 | بحثه عن منابع نهر النيل. |
| 188 | ذهابه إلى حديقة ارم. |
| 190 | ذهابه إلى جماعة المتوحشين. |
| 191 | توجه الإسكندر صوب الجنوب: |
| 194 | توجه الإسكندر صوب الشرق: |
| 194 | ذهابه إلى الهند ثم إلى مدينة لنكريهشت. |
| 195 | ذهابه إلى الصين. |
| 197 | توجه الإسكندر صوب الشمال. |
| 198 | بناؤه سد يأجوج. |
| 200 | ذهابه إلى المدينة الفاضلة. |
| 202 | عودة الإسكندر إلى بلاد اليونان. |
| 203 | وصية الإسكندر. |

| | |
|--|--|
| 207 | تقويم منظومة اسكندرنامه. |
| الباب الخامس قصة الأسكندر بعد نظامي | |
| 215 | الفصل الأول: مقلد ونظامي. |
| 216 | أولاً: قصة الأسكندر عند أمير خسرو دهلوى. |
| 222 | ثانياً: قصة الأسكندر عند عبد الرحمن الجامى. |
| 229 | الفصل الثاني: قصة الأسكندر عند منوچهرخان حكيم. |
| 230 | الأسكندر كما صورته قصة (اسكندرنامه) |
| 249 | تقويم قصة الأسكندر عند منوچهرخان حكيم: |
| 251 | الخاتمة. |
| 253 | ثبت المراجع. |

